

تقرير من واشنطن:

سلامة
أحمد
سلامة

ضرب محورا الشر مقابل الحل!

ثورة يوليو: خمسون عاما

عصر يتهاوى!

محمد حسنين هيكل



الشيوعيون! المصريون

و ثورة يوليو
محمد سيد أحمد

الجزائر: تغييب الجغرافيا

و إحباط الحاضر!
محمد الميلى

أمريكا.. الاقتصاد

قبل البيئمة
حسين عبد الله

كارل بوبر و قرن توهج فيه

التفكير العلمى
يمنى طريف الخولى

حاربوا الإرهاب و حاربوا

الفقر والجهل أيضا
جوزيف ستيجليتز

فرار الأمريكان من السياسة

إلى الإيمان
ريتشارد سينيت

فى معرض الفنان محمد حجي

الوجه الآخر
للمقاومة

عزالدين نجيب





رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم
عضو مجلس الإدارة المنتدب للإنتاج
أحمد الزين
البحوث والمتابعة
هديل غنيم



تعبير المقالات المنشورة عن آراء مؤلفيها، ولا تعبر
بالضرورة عن رأي «وجهاً نظراً» إلا إذا أشارت إلى
ذلك صراحة.

كتاب العدد :

- ١ - جوزيف ستيجليتز .. أكاديمي أمريكي وحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠٠١.
- ٢ - حسين عبدالله ... أستاذ اقتصاديات البترول .
- ٣ - ريتشارد سينيت .. أستاذ النظرية الثقافية والاجتماعية بكلية لندن للاقتصاد .
- ٤ - سلامة أحمد سلامة .. صحفي .
- ٥ - عز الدين نجيب .. ناقد وفنان تشكيلي .
- ٦ - فاروق عبدالقادر .. كاتب .
- ٧ - محمد حسنين هيكل .. صحفي .
- ٨ - محمد سيد أحمد .. صحفي .
- ٩ - محمد الميلى .. المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة .
- ١٠ - نبيل مطر .. أستاذ الأنجلوية والإنسانيات بمعهد فلوريدا للتكنولوجيا .
- ١١ - أيمن طريف الخولي .. أستاذ فلسفة العلوم بكلية الآداب . جامعة القاهرة .

رسوم العدد للفنانين :

محمد جسي - سعد الدين شحاتة - محمد حاكم



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على عامات ورقية
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة
أو أجزاء منها، بغیر إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٢٩٣٠٤٩٠ / ٢٩٣٠٤٩١ / ٢٩٣٠٤٩٢ / ٢٩٣٠٤٩٣ / ٢٩٣٠٤٩٤ / ٢٩٣٠٤٩٥
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com
البريد الإلكتروني : weghatnazar.com
الرقم على الإنترنت :

الاشتراكات :

السنة الواحدة (ثلاث عشرة عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد برید
عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠ دولاراً
أمريكياً - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيوفيه المصري، ص. ب. ٣٢ البابوراما، مدينة نصر
هاتف : ٤٠٢٣٩٩٠ - فاكس : ٤٠٢٣٩٨٥ . e-mail : weghatnazar@alkotob.com

ثمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية . السعودية : ريالاً - الكويت : ١٠٥ دينار - الإمارات : ٢٠ درهم -
البحرين : ديناراً - قطر : ١٥ ريالاً - عُمان : ريالاً - لبنان : ٥٠٠٠ ليرة - سوريا : ١٥٠ ليرة -
الأردن : ديناراً ونصف - ليبيا : ديناراً - الجزائر : ٢٠٠ دينار - المغرب : ٢٠٠ درهم - تونس : ٤ دنائير -
اليمن : ٢٠٠ ريال - فلسطين : ٣ دولارات .
Austria , France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$5.

طبع بطابع الشروق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٣ • كلمة .. زيارة إلى أمريكا ..
- ٤ • سلامة أحمد سلامة ..
- ضرب محور الشر مقابل الحل ..
- ١٠ • ريتشارد سينيت ..
- فرار الأمريكي من السياسة إلى الإيمان ..
- ١٠٠٠ The Clash of Fundamentalisms: Crusades, Jihads and Modernity ..
- ٢ • تأليف : طارق على ..
- Two Hours that Shook the World, September 11, 2002: Causes and Consequences ..
- ١٢ • محمد الميلى ..
- في الذكرى الأربعين لاستقلالها .. الجزائر بين تخييب الجغرافيا وإحباط الحاضرات ..
- ١٨ • حسين عبد الله ..
- أمريكا وقمة الأرض .. الاقتصاد قبل البيئة ..
- ٢٢ • محمد سيد أحمد ..
- الشيوعيون المصريون وثورة يوليو ..
- ٢٦ • نبيل مطر ..
- الرحلة العرب في أرض الفرنجة ..
- In the Lands of Christians: Arab Travelers to Europe and America (1611-1700) ..
- ترجمة وتقديم : نبيل مطر ..
- ٣٠ • أيمن طريف الخولي ..
- مثنوية كارل يوبر .. قرن توجع فيه التفكير العلمي ..
- ٣٦ • عز الدين نجيب ..
- الإبداع الفني فعل ثوري .. الوجه الآخر للمقاومة ..
- شعب تحت الحصار .. معرض الفنان محمد حجي ..
- ٤٤ • محمد حسنين هيكل ..
- ثورة يوليو خمسون عاماً .. عصر يتهاوى ..
- ٦٢ • جوزيف ستيجليتز ..
- صفقة عادلة للعالم : حاربوا الإرهاب ولكن حاربوا الفقر والجهل أيضاً ..
- George Soros on Globalization .. تأليف : جورج سوروس ..
- ٦٦ • فاروق عبدالقادر ..
- في الرواية المصرية الجديدة .. نماذج مختارة ..
- ٧٤ • رسائل ..
- ٧٦ • عروض موجزة ..
- ٨٠ • قراءات جديدة ..

زيارة إلى أمريكا

هددت إسرائيل بإغلاق مكاتبها لأنها نقلت بعض مشاهد لا ترضى عنها إسرائيل.



الجنون الأمريكي ما بعد سبتمبر، واستثمار اللوبي الصهيوني له هناك، لا يبدو بعيداً عن استقبال الأوساط الثقافية في أوروبا وأمريكا لكتاب «طارق على الجديد عن صراع الأصوليات The Clash of Fundamentalisms» والذي تعرض له «وجهات نظر في هذا العدد. وتتحدث فكرة الكتاب الأساسية بأن العالم يعيش حالة التمزق تحت وطأة الصراع القائم بين أصوليات مختلفة فيما بينها. الأول يكمن في التنوع الإسلامي، والآخر في «الامبراطورية الأمريكية. الأم الطبيعية لجميع أنواع الأصوليات». ففي حين احتق الحق الثقافي لجريدة التايمز TLS، والذي يعمل حالياً في لندن روائياً ومخرجاً سينمائياً، انتقد آل «نيويورك تايمز» الكتاب بعنف. إذ اعتبر كاتبها «جبردار دوجرو» أن كتاب الناشط التروتسكي القديم، لم يكن سوى أجزاء مبغضة لخليط ينقصه الإبداع الكمال، إضافة إلى لغته الصاخبة، وحشده بحكايات غير مناسبة وتفصيل تاريخية زائفة. فضلاً عن أن الكتاب جاء سيئاً كما تقول آل «نيويورك تايمز» نتيجة إعداده بشكل سريع للحاق بأجواء الحدث إذ تمنح الأزمات الكبيرة الكتاب فرصة ذهبية للنشر. الكتاب في التحليل النهائي للمطبوعة الأمريكية «لا يرقم إلا بتأجيل المشاعر السلبية. وهو يعيد استخدام أساطير ماركسية مستهلكة ونبرة خطابية حادة معادية لامريكا».



إنما ما كان أمر اختلاف المثقفين هناك حول كتاب «طارق على»، فإن ما يعنينا يتمثل قبل كل شيء، في السؤال التالي:

آين تقف أمريكا؟ وهل هناك من حكمة في المراهنة عليها؟

الإجابة. ويغض النظر عن الأساليب والمبررات، ورغم انف التنازلات والتواطؤات وحملات العلاقات العامة. تبقى سافرة وقاضحة في الواقع / المشاهد التالية:

١. قبل شهرين فقط بصوت ٢٥٢ عضواً بمجلس النواب مقابل ٢١، و ٩٤ عضواً من الشيوخ مقابل اثنين، لإعلان «التأييد المطلق لإسرائيل». ويحرص ٤٢ حاكماً من حكام الولايات الأمريكية الخمسين على حضور اجتماع سكرتريو الذي دعا إليه اللوبي اليهودي لتأييد إسرائيل.

٢. الثلاثاء ٢٢ يوليو: طائرة إسرائيلية إف ١٦ أمريكية الصنع تحلق في «أجواء أمتة» كما يقول التعبير العسكري. فوق «أراض محتلة»، وفق التعبير القانوني، تقصف تحت جنح الليل مبنى سكني في أكثر أحياء غزة ازدحاماً وقرراً، فتقتل في فراش النوم ١٦ فلسطينياً بينهم تسعة أطفال، وينتشل المسجون في ضوء المصابيح اليدوية مائة وخمسين جرحاً من تحت الأنقاض. شارون يفخر بالعملية الناجحة فلا يفتق و «احترام الرئيس بوش. وعندما يجتمع مجلس الأمن (الدولي) ليبحث في أمر المذبحة يطلب من المجموعة العربية، بقاء المندوب الأمريكي ليطالب علناً بقرار يندد بالإرهاب «الفلسطيني» (!!!)

وربما لا مكان.. منطقاً.. لعلامات التعجب هنا. فالقاعدة المنطقية تقول إن «المقدمات تقضي طبيعياً لخواتيم».

وجهات نظر

تقليون ربما من يتذكرون ما حدث للأمريكيين من أصل ياباني إبان الحرب العالمية الثانية. ولكن «الصدمات توقظ الذاكرة» كما يعتقد السيكلوجيون. فقبل عشرة أيام فقط قال أحد أعضاء هيئة حقوق الإنسان الأمريكية (لاحظ الجهة) أنه ليس مستبعداً أن يطالب الأمريكيون «بإقامة مسكرات اعتقال للأمريكيين من أصول عربية..» إذ وقعت هجمات إرهابية أخرى في الولايات المتحدة.

التصريح نقلته صحيفة «يمامي هيرالد»، وصاحبه هو بتر كيرسانو. وهو بالمناسبة. العضو المعين بالهيئة من قبل الرئيس جورج دبليو بوش.

عن «مسكرات اعتقال جماعية على أساس عرقي» يتحدث المسؤول الأمريكي ببساطة شديدة، مؤكداً أنه إذا «نفذت الهجمات مجموعة من نفس الأصول الثابتة التي ينتمي إليها أولئك الذين هاجموا مركز التجارة العالمي والبنتاجون، فإنك يمكن أن تنسى كل شيء عن حقوق الإنسان».

هذا إذن عالمٌ ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. أو بالأحرى هذه هي أمريكا القرن الحادي والعشرين. ولكن أصرت في «ديريان» قبل قيامه سبتمبر أن يُدعى الجميع لما أرادت. ولا ف من ليس معنا فهو ضئلاً.. ولم يكن الشعار التهديد الشهير قد ظهر بعد، ولكنه كان جاشاً على صدر كل الحوالين في كواليس مؤتمر مناهضة العنصرية يومها. كما كان واضحاً كل الوضوح في قراته التي خالفت، عندما صدرت، آراء الجميع لتتفق. فقط. مع الإطلاات الأمريكية / الإسرائيلية.

إلى أمريكا القرن الحادي والعشرين. أو إلى أمريكا after September 11 إذا استعزنا التعيين الأكثر شهرة، والذي يصر عليه الكثيرون، سافر سلامة أحمد سلامة رئيس تحرير هذه المطبوعة، في زيارة سريعة ليعود إليها ب «تقرير من واشنطن» يحال فيه قراءة المشهد الأمريكي بتلايفه وتغدياته المركبة. مشيراً إلى صعوبة هذه القراءة «ليس فقط لأن نظرة الزائر العابرة أشبه بنظرة طائر يطل على العموميات من عل فلا يرى غير التضاريس الرئيسية وقد لا يلتقط كل التفاصيل، ولكن أيضاً لأن التعيين المتعدد والسرية الشديدة لا تفرصتها إدارة الرئيس بوش على نفسها في معطم سياستها، تجعل من الصعب حتى على أقرب القربين وأوثق الحلفاء أن يستقروا ما يجري في عقل الرئيس بوش وما يدور بخاطر الذين يعدون له الخطط والخطط ويلقونهم التصريحات والكلمات والإجابات التي يتعين عليه أن يدلي بها في مؤتمرات الصحفية وخطبه العامة».

ويحكى سلامة أحمد سلامة ما حدث أثناء زيارته القصيرة لواشنطن حين تكاثف اللوبي اليهودي لإسقاط عضو الكونجرس الديموقراطي الأسود ايرل هيلارد عن ولاية إلينوا بعد خمس دورات متتالية احتفظ خلالها بمقعده، وذلك لأنه ضُبط متلبساً «بالجرم المشهود» بإبداء تعاطفه مع الفلسطينيين. وكيف أن كثيراً من المراقبين المحايدين يعترفون «بأن اللوبي الصهيوني نجح في تحالفه مع الدين المسيحي المحافظ في تكميم أي مناقشة حرة للأوضاع في الشرق الأوسط. فلا يكاد يسمح إلا لأنصار إسرائيل بالتصدي للحدوث والتعليق في وسائل الإعلام، وسرعان ما يوصم غيرهم بمعاداة السامية إذا بدا من حديث الواحد فيهم أي نقد لإسرائيل حتى لو كان يهودياً. وحين ظهرت في بعض صحف أمريكية مثل نيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز وسان فرانسيسكو كرونكليل التي تعرف طوال تاريخها بمعاداة إسرائيل، بعض التقارير التي تتحدث مجرد حديث ودون تعليق عن الذابح التي وقعت في جنين أو عن الاحتلال الإسرائيلي، قامت حملة عنيفة تنهتها بوش وعدم الموضوعية في تغطية أحداث الشرق الأوسط، ومن ثم تدعو إلى مقاطعةها وإلغاء الاشتراك فيها. ونفس الشيء حدث مع محطة سبي إن إن التي



كونوليسا رابيس



بوش

التعظيم

المتعمد والسرية
الشديدة التي فرضتها
إدارة الرئيس بوش على
نفسها في معظم سياساتها،
تجعل من الصعب حتى على
أقرب المقربين وأولئك
الحلفاء أن يستقروا
ما يجري في عقل
الرئيس بوش وما يدور
بخاطر الذين يعدون
له الخطط

التعظيم

سلامة أحمد سلامة

ضرب محذور الشر

من الصعب حتى على أقرب المقربين وأولئك الحلفاء أن يستقروا ما يجري في عقل الرئيس بوش وما يدور بخاطر الذين يعدون له الخطط والخطب ويلقونه التصريحات والكلمات والإجابات التي يتعين عليه أن يدلي بها في مؤتمراته الصحفية وخطبه العامة.

وقد قيل إن السبب في إقدام كولين باول وزير الخارجية على الإلقاء بتصريحات صحفية عن الاتجاه لعقد مؤتمر دولي خلال شهر أغسطس يجري خلاله بحث إقامة الدولة الفلسطينية المؤقتة أو ذات الحدود المؤقتة، ثم تراجع عنه ذلك وإغفال بوش كلية لهذه الفكرة في خطابه الموعود أو المشهود، يرجع إلى أن دائرة ضيقة جداً من معاوني بوش - لم يشارك فيها باول - هي التي عكفت على إعداد خطاب بوش حول الشرق الأوسط الذي ألقاه بعد ذلك، وضمت عناصر فاجأت الجميع، بما في ذلك

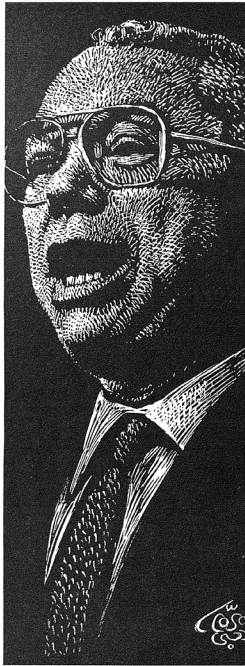
مستوبة بمراكز الأبحاث والدراسات التي يمولها البين المحافظ تحت شعار «الحرب ضد الإرهاب».



وفي البداية، لا بد من تحفظ نقضه الأمانة بقدر ما نقرض صعوبة قراءة المشهد الأمريكي في واشنطن بتألفيه وتعقيداته المركبة، ليس فقط لأن نظرة الزائر العابث أشبه بمنظرة طائر يطل على العموميات من عل فلا يرى غير التضاريس الرئيسية، وقد لا يلتقط كل التفاصيل، ولكن أيضاً لأن التعظيم المتعمد والسرية الشديدة التي فرضتها إدارة الرئيس بوش على نفسها في معظم سياساتها، تجعل

والبيت الأبيض، ولكنها ترسل بين الحين والآخر بصيصاً من الأضواء الإعلامية العاكسة التي تتسرب إلى شاشات التلفزيون وصفحات الصحف، لتجهيز الرأي العام الأمريكي إلى اللحظة الحاسمة التي يتحتم عليه فيها أن يتحمل تكاليف بناء نظام محكم للأمن الأمريكي، يضمن التفوق الكامل والسيطرة التامة على كل عوامل الخطر ومصادر التهديد القائمة والمحتملة.. وهي مراكز للخطر تحدت سلفاً في عدد من المواقع في الشرق الأوسط. ولكن شريطة أن تخجنب واشنطن مخاطر الزج بقواتها في عمليات التحام عسكرية مباشرة. وقد كانت أفغانستان هي «البوابة الأولى» للحامرة كونه تستعد إدارة الرئيس بوش لخوضها في مناطق أخرى من العالم مدعومة ومدفوعة بقوة المسيحية الصهيونية التي يزداد نفوذها على المؤسسة الأمريكية الحاكمة.

يبدو أنه لابد أن يذهب المرء إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لكي يترك حجب المشكلة التي بانت تواجه العالم العربي في التعامل مع السياسات الأمريكية. ويحس عمق الهوة التي تفصل بين الجانبين. ليس فقط فيما يتعلق بقضية الصراع العربي الإسرائيلي والانحياز الأمريكي المعلن في تأييد إسرائيل، ولكن أيضاً فيما يتعلق بالتحول الذي طرأ على الرؤية الأمريكية لمجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذه المنطقة من العالم، وازدياد الاقتناع الأمريكي بالحاجة الملحة للتدخل المباشر للعمل على تغييرها بدون حاجة إلى انتظار التطور الطبيعي الذي يلغى إلى الغير الإصلاحى المطلوب. تبدو سحب العاصفة وهي تتجمع من بعيد، يجري التخطيط لها بدقة وإمعان في الفاعات المغلفة للبتناجون والمخابرات المركزية



هارول



رامسفيلد



نتشيني

مقابل الحبل

من سيطرة اليهود على الحياة العامة في أمريكا.

ويعترف كثير من المراقبين المحافظين بأن اللوبي الصهيوني نجح في تحالفه مع اليمين المسيحي المحافظ في تكسيه أي مناقشة حرة للأوضاع في الشرق الأوسط. فلايكاد يسمح إلا لاتصار إسرائيل بالتصديق للحديث والتعليق في وسائل الإعلام، وسرعان ما يوصم غيرهم بعبادة السامية إذا بدا من حديث الواحد فيهم أي نقد لإسرائيل حتى ولو كان يهودياً. وحين ظهرت في بعض صحف أمريكية مثل نيويورك تايمز ونولس أنجيلوس تايمز وسان فرانسيسكو كرونكل التي لم تعرف طوال تاريخها بمعاداة إسرائيل، بعض التقارير التي تتحدث مجرد حديث ودون تعليق عن المذابح التي وقعت في جنين أو عن الإحتلال الإسرائيلي، قامت حملة

وتعمد في خطبه يوم الإحتفال بعيد الاستقلال في ٤ يوليو أن يصوغ خطابه في عبارات دينية رنانة مؤكداً على أن الحكمة والعناية الإلهية هي التي قادت خطى الشعب الأمريكي طوال عامي.

لم تكن الأصولية الدينية في أمريكا أقوى في أي وقت آخر منها كما هي الآن. فقد امتزج الولاء للدين بالولاء للوطن بدرجته غير مسبوقة، غير أن الظاهرة الدينية في أمريكا اتخذت أشكالاً أعقد بكثير من ذلك، فعلى حين يمنح اليمين الأمريكي إلى كراهية اليهود بينه وبين نفسه في الداخل، تقوى وتشدد مناصرتهم لإسرائيل واليهود في الخارج. والظهور مثال ذلك القس بيلي جرامام الذي أفرج عن محاوراته مع الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون أخيراً، وفيها بدا - على عكس مواقفه العلنية المؤيدة لإسرائيل - متبرحاً

وكليا تعبيرات أضعفت أثناء الحرب الباردة عام ١٩٥٤ للربط بين حب الوطن والإيمان بالله، ولم تعجب هذه العبارة التي تقحم في حب الوطن والد إحدى التسميات فرقع دعوى أمام محكمة عليا في كاليفورنيا يطالب فيها بإلغاء هذه العبارة من القسم الذي يقرضه المدرسون على التلاميذ، لأنها منافية للدستور الذي ينص على الفصل بين الدين والدولة أو بين الكنيسة والنظام السياسي، وما إن أصدرت المحكمة حكمها مؤيدة لطلب الأب، حتى هاجت قوى اليمين المحافظ في أمريكا وتظاهر أعضاء الكونجرس على سلاط ميني الكابيتول هيل يقسمون عليه الولاء باسم الله تحدياً لقرار المحكمة. ومدن قرار بوقف تنفيذ حكم المحكمة تمهيداً للنقضة في محكمة أعلى. وقد وجدت هذه القضية أصداً بعيدة المدى لدى الرئيس بوش نفسه الذي اتفقد الحكم.

بالول نفسه والأطراف العربية التي زارت أمريكا وتباحثت مع بوش ساعات طويلة في منزعه بتكساس، وفي كامب ديفيد قرب واشنطن.



منذ اليوم الأول لدى وصولي إلى العاصمة الأمريكية وجدتهني أتابع قضيتين والتين تعبران من مواربة عن الأجواء السائدة في واشنطن وعن طبيعة المزاج الأمريكي الراهن والمشارع الدينية التي تحكمه وتحركه.

كانت القضية الأولى تدور حول «قسم الولاء» الذي يؤدى للتلاميذ في المدارس الأمريكية «أشبه بنشيد الصباح»، وفيه يؤكد التلاميذ ولأهم أو حبهم للوطن، «في رعاية الله» أو «تحت حماية الله» أو «ببركة من الله»



وكوريا الشمالية. ومثل هذه الاستراتيجية لا تتخذ بالضرورة إشكالا عسكريا بعد أن خلقت الحرب الإلكترونية مجالات الصراع الدولي وتطورت بدرجة غير مسبوقة. وقد كشف الرئيس بوش عن هذه الاستراتيجية أخيرا في خطاب القاه في قاعدة وست بوينت العسكرية؛ وقال فيه «إننا لو انتظرنا حتى يتم تنفيذ التهديدات، لكان علينا أن نتنظر طويلا... لا بد أن ننتقل المعركة إلى العدو ونفسد خطه، ونواصه تهديداته قبل أن يجد الوقت لتنفيذها».

من الواضح إذن أن بوش لا يكتثر كثيرا بميثاق الأمم المتحدة، الذي حدد المادة ٥١ منه معنى الدفاع عن النفس واشترط في تعريفه أن يتعرض الدولة لعدوان مسلح... هنا لم يخطئ بوش إلى انتظار وقوع هجوم مسلح، بل يخطئ من مجرد «احتمال» وقوعه مبيرا لتوجهه ضربة مسبقا. وقد نفس المنطق الذي شنت به إسرائيل حرب يونيو ١٩٦٧، ومرت بمقتضاها مفاعل العراق النووي عام ١٩٨١ من هنا تبدو خطوة تنامي الضمار الاتهامات الإسرائيلية الميمنية داخل الإدارة الأمريكية. وما صحيحها من تحريض متصاعد ضد العراق ومن أنقاص إسرائيل لهرولها المركزي في التناظر على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط والاختصاص الضمنية الفلسطينية، وتبوءها مركز رئيسي في المشروع الأمريكي الذي تحمكه أفكار التيار الميمني المحافظ الذي الزعة المسيحية الصهيونية.

فنايد إسرائيل ليس مجرد واجب ديني كما يرى أصحاب هذه الزعة، على أساس أن الرب قد وعد اليهود بأرض إسرائيل وأن يقام إسرائيل لشروط عودة المسيح في نهاية العالم، ولكنه يصير عن اقتناعه هذا الذي حقق إسرائيل في تفعل بالسلطة الفلسطينية ما فعلته أمريكا بطالiban والقاعدة في أفغانستان وما فعلها باعتدبار حربا ضد إيران وإجهاضا لقوى الشر. والأولى بالآثار الأمريكية... من وجهة نظر هذا التيار -لا تفتق في وجه إسرائيل وحسن المشكة ضد الزراهب الإسرائيلية- ومن ثم فإن المشكة الحقيقية التي يجب أن تنزع الإدارة الأمريكية بها هي العراق وليس الصراع العربي الإسرائيلي. ولو وجدت أمريكا في تغيير الخطا العراقي، سوف تنجح في إقامة علاقة جديدة بين أمريكا والعالم العربي. وسوف يكون من السهل بعد ذلك التجميع التحول الديمقراطي في الدول العربية التي ظلت الأوضاع فيها مستعصية على الحرية والديمقراطية، وهي التي أنشأت تربة خصبة لشعار العداة والكرتاية ضد أمريكا والغرب. وانتجت تنظيم القاعدة وبن لادن والظواهر وأشياعها التي دبروا الهجوم على واشنطن ونيويورك. ومارت تهديداتهم وتنظير في اجواء المدن الأمريكية ومطاراتها في أشكال وأوقات مختلفة.



في هذا الإطار، وفي هذه الأجواء، وفي هذا السياق حرب وقائع الفهات التي جرت بين بوش والقادة العرب في مزرعة بوش بكنساس مع الأمير عبد الله وفي مجلس السعدي في أم كابم بديف من الجيش ميبار.

وطبقا لمصادر مطلعة، شهدت تفاصيل المحادثات التي دارت بين الرئيس بوش والرئيس ميبار، فقد نجحت هذه المحادثات -وقتها- في الحصول على وعدين قبل أن يلقى الرئيس بوش خطابها الذي أعلن أنه سيحدد فيه سياسة أمريكا إزاء الشرق الأوسط: الوعد الأول هو الالتزام بتحديد إطار زمني لقيام الدولة الفلسطينية، وبعده الثاني هو إعطاء عراقات فرصة أخرى لإصلاح الأوضاع الداخلية وإحكام سيطرته الأمنية، واستخدام كل نفوذه لوقف العمليات الانتحارية (الاستشهادية) بشرط ألا يعرّف عراقات شيئا عن هذه المهمة، ليطول تحت الضغط المستمر لتنفيذ إصلاحات جذرية.

وفي يوم ١١ أغسطس بعد زيارة شارون لوانشون التي أعنيها بسبب وقوع حادث التفجير في يريشون ليرزبون ولحق فيه ١٥ إسرائيليا، ألقى كولين باول حديث قصير في «الحياة والتنمية»، قال فيه: «إن شارون يعرف أننا لو توافق على تفكيره بشأن إسرائيل -عراقات- فعرقات هو رئيس السلطة الفلسطينية، والحكومة الأمريكية تعترف بحكومتها. وقد كرت ذلك عدة مرات من قبل». ولكن بعد عشرة أيام، وقعت ضالحتها عمليات استشهادية متعددة. في الوقت الذي كانت تجري فيه كتابة خطاب بوش الذي سيحدد سياسته في الشرق الأوسط وهو يتأرجح مسعودا وميوطا، وحذفا وإضافة، وتعديلا وتصحيحا، قبل المالحق العسكري الإسرائيلي في واشنطن الاتفاق مع المسؤولين في مجلس الأمن القومي الأمريكي وأطلعه على صورة شيك بأعضاء عراقات مبلغ ٢٨ ألف دولار، صرف لأعضاء منظمة شهداء الأقصى، التي كانت قد أعلنت في نفس اليوم معلوليها عن الحوادث الانتحارية التي وقع يوم ١٩ يونيو.

وتقول الرواية التي تتداولها العاصمة الأمريكية، أن هذا الدليل كان حاسما في تغيير موقف بوش ليعتلى ببساطة عن وعده السابغة التي إلتصقا للقادة العرب. وبعد أن عدلت مسودة خطاب بوش نحو ٢٨ مرة، حسم الرئيس الأمريكي موقفه، ووقف يعلن في مؤتمر صحفي عقده بمدينة اللورود في البيت الأبيض، أنه إذا أراد الشعب الفلسطيني أن يحصل على دعم أمريكا لإقامة دولته، فلابد أن يختار قيادات

جديدة لا تتلوث أيديها بالإرهاب. ويقال إن هذا «الدليل» الذي قدمته إسرائيل، هو الذي حسم الخلاف داخل الإدارة الأمريكية، من ناحية بين باول ورجاله في وزارة الخارجية، الذين كانوا يرون اعتماد خطاب يخلو على قدر من دبلوماسية الغموض الإيجابي التي يترك لقب إبرة إعرافات في ينفذ منه... وبين الصقور من أمثال ديك تشيني نائب الرئيس ورامسفيلد وزير الدفاع الذين حذوا بوش على ضرورة انتهاز سياسة قاطعة لا مكان فيها للمهادنة في الحرب ضد الإرهاب، خصوصا بعد أن تأكدت علاقات عراقات بالعمليات «الانتحارية»، وهكذا منى باول بوزيعة، سحبت زمام المبادرة من بين يديه وتركتها في أيدي الصقور المتشددين في مكتب نائب الرئيس تشيني ودوائر المبتناجون ومجلس الأمن القومي. وبالتالي سفلحت فكرة المؤتمر الدولي للسلام الذي دعا باول إلى عقده من الصيف ولغيت أراج الراج. وعاد بوش بذلك إلى موقفه السابق الذي يعطيه الفرصة كاملة لتفادي الاشتباك مع شارون أو الخوف المباشر في مفاوضات مرفقة وشارون كالتى تورط فيها الرئيس السابق كيتنون يوم جوي، قد أعاد ذلك مكتب موقفه الجديدة أثناء لقائه بشارع الصقور في كندا، وضاعف هجومه على عراقات والسلطة الفلسطينية مؤكدا أنه لا يمكن إقامة دولة فلسطينية على أساس الإرهاب والفساد الذي يعيش بين يديها.

وعني ذلك ببساطة أن الإدارة الأمريكية قد تخلت وقعتها عن عمل أي للضرر عن الزامة في قول الرأى، بل حتى عن مطالبة إسرائيل بسحب قواتها، تاركة لشارون حرية التصرف. في انتظار أن تتحقق الأوضاع الجديدة لكي تغزو إسرائيل جديدة في الأراضي الفلسطينية. وهذا أكثر من شهر من خطاب بوش، لم يطرأ أي تغيير على الموقف، فيما عدا ما تقوم به «الاجتماعات الرباعية» التي تضم ممثلين عن أمريكا والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة من جهود لسمد الفراع بحجة الإشراف والمساعدة على عملية الإصلاح الأمني والسياسي والاقتصادي التي طالب بها الرئيس بوش في فلسطين في انتظار ظهور قيادات بعينها. وعرفنا هو ما يتفق مع الزراهب التي يعبر عنها تشيني ورامسفيلد من أن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي لا يمثل تهديدا حالا للصالح الحيوية الأمريكية في الشرق الأوسط. على العكس من



الدليل الذي قدمته إسرائيل كان حاسما في

تخلي بوش عن الوعد الذي قدمها للقادة العرب..

وهو الذي حسم الخلاف داخل الإدارة الأمريكية، بين باول ورجاله في الخارجية، وبين الصقور من أمثال تشيني ورامسفيلد

لانتهاز سياسة قاطعة ضد الإرهاب بعد أن تأكدت علاقات عراقات بالعمليات «الانتحارية».



التهديدات التي يمثلها انغماس العراق في تطوير أسلحة الدمار الشامل.



في ضوء خطاب بوش الذي جاء صدمة للعالم العربي، رغم كل التيات الحسنة التي أبدتها التظلم العربية والجهود المتكفلة لمحاولة استخراج أفضل ما من جوانب إيجابية، أو بعبارة أخرى لمحاولة استنتاج ما لا يمكن استنتاجه فيه طبقا لقوانين القياس المنطقي التي تخفرض وجود التناقض في المقدمات بصورة ضمنية، فإن العاصمة الأمريكية باتت تترنن بفكر ومخططات جديدة تحمل طابع الإمبريالية الميمنية ذات الاتهامات المسيحية الصهيونية. وتتطور هذه الأفكار في اتجاهات مختلفة ولكنها تصب جميعا في ضرورة استخدام القوة العسكرية الأمريكية طبقا ليدأ الضربة الاستباقية أو الضربة الإيجابية بهدف إعادة ترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط. وتتسارع هذه الأفكار على أن الاستراتيجية الأمريكية وصلت إلى ملحق طريق. ولم يعد أمام الإدارة الأمريكية إلا التخلل على ملحق الشرق الأوسط الذي حل حاليه في القوضي التي تجعل من المنطقة مرتفعا للإرهاب، على حد قول جيم جوجال من ملال مهم تغير بصيغة «واشنطن بوست»، يعبر عن وجهة نظر المتشددين في الإدارة الأمريكية.

وتعتمد هذه الخطط على مشاركة الناتو وبعض قوات أوروبية مع قوات أمريكية لتتحقق هدفين: محاربة بوش قوات التحالف، ودعم قضاي الديمقراطية في العالم العربي بما يؤذي للحفاظ على بقاء إسرائيل، وذلك على عكس التدابير لحل القضية الفلسطينية أولا. قبل أن تدين القوات الأمريكية لإزالة أسلحة الدمار الشامل من العراق وقواته المتحصنة، بل الاتجاد الأخير لم يعد يلقى تأييدا كبيرا، بل تغلب الاتجاه الآخر بما قد من خطاب بوش، من الشرق الأوسط. فقد فهم من الخطاب أنه أعاد ترتيب الأولويات على أساس أن حل العدة العراقية -سوف يسهل حل المشكة الفلسطينية-، وكذا أن الانسحاب من إسرائيل والفلسطينيين والصمت القوي، كما أصبح الغزو الأمريكي للعراق أكثر إلحاحا. ومن بين الأفكار التي يزداد الانتعاش بها طبقا لهوجلاند، إبالة القوات الأمريكية في الأراضي العراقية لمدة سنوات، ليصبح الوجود الأمريكي قاعدة انطلاق للتحول الديمقراطي في العراق، في جعلها نموذجا للديمقراطية في سائر دول المنطقة... ويشجع على هذا الاتجاه أن معارضة روسيا وفراشا للتلخيل العسكري الأمريكي في العراق قد تضاعفت. وشرعت كل من الدولتين في فتح قنوات اتصال مع المعارضة العراقية... من الواضح أن ثمة تنسيقا مستمرا بين إسرائيل وخطط الإدارة الأمريكية لغزو العراق.

لا يختلف هذا الاتجاه كثيرا عن الاتجاه الذي ورد في ورقة قدمها مارتن أتيك المسؤول حاليا عن مركز أبحاث الشرق الأوسط في معهد روكوتشيز للعلوم السياسية من الإدارة الأمريكية. وكان أتيك، هذا الاسترالي الأصل من أبرز أركان إسرائيل كيتنون -



ضرب محسوس...



وسفيراً سابقاً في إسرائيل ومديراً لليبانا الميمنية وعضواً للباراجية الأمريكية. وفي هذه الورقة يقترح أندرك وضع «خريطة عمل دبلوماسية» تقوم على توسيع نطاق عضوية «اللجنة الرباعية»، يضم مصر والسعودية والأردن إليها - وهو ما ساعد فعلاً - وتعارض هذه اللجنة ضغوطها على عرفات لكي يعتزل منصبه الحالي، ويتولى منصباً سياسياً شرفياً، ويترك السلطة الحقيقية لرئيس وزراء منتخب، يشكل حكومة مسؤولة أمام مجلس تشريعي منتخب (وهي الفكرة التي اقترحها يوشكا فيشر وزير خارجية ألمانيا في مشروع مقدم إلى اللجنة الرباعية).

وفي هذه الأثناء يعود جورج تينيت مدير المخابرات الأمريكية لتتشيط «مجموعة عمل أمنية» تشارك فيها مصر والأردن لإعادة تشكيل أجهزة الأمن الفلسطينية بحيث تكون مسؤولة عن وقف كل العمليات الإرهابية وأعمال العنف. ويتم خلال ذلك ترتيب استعجاب تدريجي للقوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية.

دون ارتباط بجداول زمنية محددة.

ولكي لا ينشأ فراغ في الأراضي الفلسطينية يسمح بعودة المفاوضات وأعمال الإزهاق، فإن المجموعة الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية - كما يقترح أندرك في ورقته - سوف يعهد لها بوضع الأراضي الفلسطينية تحت سيطرتها. وبعد مؤتمر دولي يعلن إقامة الدولة الفلسطينية «الموقتة»، ولكنه يضع الأراضي الفلسطينية (٤٢٪ من الضفة ومعظم قطاع غزة) تحت وصاية دولية بقيادة أمريكا لمدة ثلاث سنوات تحدد إسرائيل بدايتها ونهايتها. ويتم خلالها التفاوض بين الفلسطينيين وإسرائيل حول الحدود النهائية، وتجرى الانتخابات لقيادات فلسطينية جديدة تشمل المسؤولين السياسيين، وهو نفس ما حدث قبل ذلك - كما يقول أندرك - في البوسنة، وتيمور الشرقية،

وإفغانستان. وما يمكن أن يكون قد تم إنجازه خلال هذه الفترة في العراق.



من واشنطن، يبدو المشهد العربي عبر المحيط مثقلاً بكثير من الضغوط والمشاحنات والخلافات العربية العربية، الناجمة عن الجمود والعجز عن التصرف حيال التعقيدات التي تلف الأزمة، ولأسباب كثيرة. أحسّت الدول العربية وبالأخص كل من مصر والسعودية عن المعارضة الصريحة لمبدأ يوش الذي أعلنه في خطابه عن الشرق الأوسط والذي جعل نقطة الانطلاق فيه التخلص من عرفات، وتمسكت الدولتان بأن خطاب يوش حوى عناصر متوازنة تحدثت عن قيام دولتين فلسطينية إلى جانب الإسرائيلية، ولكن بعض جوانبه ما زالت بحاجة إلى إيضاح. وربما تكون الاجتماعات التي عقدها «اللجنة الرباعية» مع «اللجنة الثلاثية»، التي ضمت مصر والسعودية والأردن في نيويورك، ثم

الاجتماع الذي عقدته الثلاثية مع الرئيس بوش واشتغل على تقرير الفجوة بين أمريكا والدول العربية، بالاتفاق على «معالجات» معينة، تستهدف بالدرجة الأولى تحقيق الأمن، كما طالب به إسرائيل، وتخفيف المعاناة عن الشعب الفلسطيني وليس رفع الحصار أو إنهاء الاحتلال في توقيت معين وإصلاح السلطة الفلسطينية وتجهيزها لإحداث تغييرات قيادية. ولكن كل هذه «المعالجات»، التي اقترحت من الموقف الأمريكي تقل مروحة بموافقة شارون، إنها أشبه بصندوق بلاك شارون وحده مفتاحه. وليس يوسع بوش أن يكرهه على استعماله رغم إرادته. ولن يمكن ترجمة هذه «المعالجات» التي قد تصاب بفكسة شديدة لدى كل عملية من عمليات المقاومة، أو قيام شارون بمذبحة من مذبحة المدير كما حدث في المجزرة الأخيرة في غزة التي قتل فيها ١٥ من المدنيين وأصيب عدة عشرات من الجرحى. إلا مع بداية عام ٢٠٠٣ - ولا أحد يتوقع أن تنهى إسرائيل احتلالها للأراضي الفلسطينية، لكي تتمتع السلطة من إجراء الانتخابات، حتى هذا التاريخ. إذ لن

تكون إسرائيل قد انتدبت من إقامة الحاجز الأمني. وفي أحسن الظروف لن تتحقق غير فترة تهدئة على الجبهة الفلسطينية، تسع لأمريكا بتقليص مخططاتها في العراق.

وإذا كانت الدول العربية بسبب تهافت وتمزق أوقافها، قد أدت احتجاج المبدأ القائل: «انضم إلي خصمك إذا عجزت عن هزيمته» IF You Can't Beat Them Join Them فإن الخصم يبدو مصرًا حتى النهاية على عدم ترك الباب مفتوحاً للتفكير، فإسرائيل ترفض تجديد المفاوضات وغيرها من أساليب بقاء الثقة. ولا تعبها الإزهاق الأمريكية بأن تدعو شارون أو تحسه على خلق الظروف الملائمة لإحداث التغيير المطلوب في السلطة. بل على العكس رفضت حكومة شارون طلب بوش بالإفراج عن المبالغ المتجمدة لحساب السلطة الفلسطينية (٦٠٠ مليون دولار) وأقدمت على إغلاق مكاتب السلطة في القدس. ولا يمكن في هذا الإفراج تجاهل الحملة التي تجددت بشأن اتهام مصر بالحصول على كوربة، وكذلك تصعيد الضغط على صينية أو كوربة. وكذلك تصعيد الضغط على سوريا بسبب إيوائها لمتنظمات إرهابية ودعمها لحزب الله. فضلاً عن استبعاد سوريا وليدان اللتين تحتل إسرائيل بعض أراضييهما، من معظم الاتصالات والتحركات الجارية.

ليس من المتوقع في ظل هذه الظروف أن تتحرك إدارة بوش، في أي اتجاه من شأنه إثارة خلافات مع شارون ومع التيار اليميني المحافظ في الكونجرس، خصوصاً مع تعجر الفصائح المالية الأخرى والازدواج المالي الأمريكي إلى أوضاع مضطربة واقتراب موعد الانتخابات التصفية للكونجرس. ومع ذلك فلا أحد يضمن بقاء الأوضاع المساوية في الأراضي الفلسطينية تحت السيطرة، والمستقبل يبدو محملاً بئز خريف ساخن يصعب التنبؤ باحتماله. ■



بنك المهندسين
MOHANDES BANK

رقم الترخيص ٢٧ لسنة ٢٠٠٢

شهادات الإذخارات الجوائز

أرباح
١٠٠ ألف جنيه مصري

خاصة الرسوم والضرائب

محب دوري كل ثلاثة أشهر

• مدة الشهادة : ٥ سنوات وتجدد تلقائياً .

• الفئات : ١ - ٥٠ - ١٠٠ - ٥٠٠ - ١٠٠٠ - ٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ج.م .

ولكل عشرة ج.م هبات فورية دخول السحب الدورى

• الاسترداد : تسترد القيمة الإسمية بعد ٦ شهور من تاريخ الشراء ومن أي فرع من فروع البنك

• لحاملى بطاقات بنك المهندس الإئتمانية يمكنكم الشراء تلقائيوياً والخصم على البطاقة

المركز الرئيسى وفرع الدقى: ٥٠٣ شارع مصدق - الدقى القاهرة : ٣٣٦٢٧٨٠ - ٣٣٦٢٧٨١

فرع الاسكندرية : ٤٨٧٧١٧٦

فرع كلية الهندسة : ٥٧٢٧٠٤٤

فرع طيبة : ٤٤٦٤٥٨

فرع الأزهر للمعاملات الإسلامية : ٤٥٥٢٢٠

فرع الزقازيق : ٢٣٠٥٢٢١

فرع بور سعيد : ٢٢٤٨٨٠

Find us at www.mohandesbank.com Email : info@mohandesbank.com

دار الشروق

تقدم

أهم الكتب بأقلام كبار الكتاب



- قضايا ورجال : وجهات نظر
- العروش والجيش
- أزمة العروش صدمة الجيوش
- عمام من الأزومات
- محمد حسنين هيكل

- مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية
- التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده
- طاهر شاش

- العرب : أصل وصورة • من نهج الثورة إلى فكر الإصلاح • الرهان على الحصان
- مصطفى الفقى

- محاكمة الصهيونية
- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
- روجيه جارودي

- أزمت النظام العربي وآليات المواجهة
- جمال زهران
- التهديد الإسلامى : حقيقة أم خرافة؟
- جون ل. إسبوزيتو

- عولمة القهوة
- جلال أمين
- الاختراق الصهيونى للمسيحية
- القس إكرام لمعى
- ثلاثية غرناطة
- رضوى عاشور

- العربى التائه ٢٠٠١ ..
- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل
- عواصف الحرب وعواصف السلام
- سلام الأوهام
- من نيويورك إلى كابول

- اليد الخفية : دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ
- عبد الوهاب المسيرى

- أمريكا طليعة الانحطاط
- محاكمة جارودي

- بنو إسرائيل فى القرآن والسنة
- محمد سيد طنطاوى
- الإرهاب يؤسس دولة النموذج الإسرائيلى
- هيثم الكيلانى
- حرب الجبابرة والصراخ
- محمود المراغى
- أرض الميعاد والدولة الصليبية
- ترجمة رضا هلال
- سنوات مع الملك فارق
- حسين حسنى

- كل رجاء الباشا
- خالد فهمى

تطلب من : دار الشروق : ٨ شارع سيوييه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٢٢٩٩ ومكتبة الشروق : ١ ميدان طلعت حرب تليفون : ٣٩٢٤٨٠

ومكتبة الشروق : مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٢٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون : ٥٧٣٥٠٣٥

✳ أو اتصل برقم ٤٠٢٢٣٩٩ ليصلك كتابك المختار إلى منزلك ✳

فرار الأمريكان من السياسة إلى الإيمان

ريتشارد سينيت



نانسي ريغان، جورج بوش، وترت لوت زعيم الأقلية في الكونجرس.. أثناء الصلاة

العنيف». وتكشف المواقف تجاه إسرائيل عن تعقيد مشابه. فكثير من الأمريكيين الميميلين، ويمتلئهم بيلي جراهام (Billy Graham) الذي أقرح مؤخرًا عن أحاديته المسجلة مع الرئيس نيكسون عن «السيطرة العالمية لليهود على الولايات المتحدة)، معادون للسامية في الداخل ومصادفون بقوة من إسرائيل في الخارج. ولدى الأمريكيين مواقف تجاه إسرائيل نفسها أكثر تشويشًا من تصريحات زعمائنا الدينيين، حيث يخشون من أن تشكل عواصف الأصوليين اليهود تهديدًا للقدرة الإسرائيلية طويلة المدى على البقاء.

ومع ذلك فإن طارق على حق في تسمية كتابه الجديد (صراع الأصوليات)، Fundamentalisms (صراع الأصوليات)، كتريفة لتسمية من يحدون الصراع الصلياني، وإن كنت لا أظن أنه فهم الأسس الأمريكية الخاصة بالله والوطن فهنا صاحبنا. فطارق على سليل العائلة الباكستانية العلمانية الخشوية ذات الاتجاه اليساري، والروائي والمخرج السينمائي الذي يعمل حاليًا في لندن، يرسم خريطة اشتباك التديع مع الإسلام وقوى التشدد الموجهة داخله. والكتاب من أربعة أجزاء هي مراجعة عامة وسريعة للتطور الإسلامي وانتهياره، ويبحث أدق تفصيلًا في العلاقة بين الاقتصادات البترول والحركات الدينية في الشرق الأوسط. ثم للسياسة والدين في باكستان وأفغانستان وكشمير، وأخيرًا نقد قصير وحاد للطرق التي اتبعتها السياسة الخارجية الأمريكية لتقليص العالم الإسلامي.

وقد عُثِرَ «صراع الأصوليات» بأسلوب رفيع ويقدّر كبير من الذكاء والصوعية، وتامل أن تكون إحدى الفسائى من نصيب هذه الدراسة الرائعة، ومع أن طارق على لا يزال على علمانيته، فهو شديد الوعي بالطريقة التي يمكن بها للإسلام أن يوفر إحساس بالكرامة والعزمية للفقراء، وما تطلق عليها «أصولية» تمثل إلى حد ما رد فعل تجاه الانهيار الكوني للعالم المؤسسات التي كانت تقيم أود الفقراء في الماضي.



أما الثقافة الأخرى التي في صراع الثقافات التي يصوره هو فمضمونة من عوكلات شديدة الاختلاف. فالأصولية المسيحية الخاصة بالله والوطن ليست مجرد فضاء الحكم الكوني، بل إنها تمثل تجربة دينية تفرق بين الذات والعالم، مع وجود بعض المؤسسات المهيمنة الثابتة في الوقت، وقد لاحظت الأصولية المعاصرة فرانسين فيتزجيرالد الأمريكية Frances Fitzgerald العاطفة الدينية الأمريكية الجديدة الغربية وتوجهه للداخل، وذلك بسبب أصولها التطهيرية، وإذا بدت الظاهرة مهددة باستمرارها، فإن الفساد الأخلاقي، فإن أزمات

يعني أن يحارب الفقراء وغير المتعلمين تعليمًا عالميًا في الخارج بدلًا منا. وهذه الوصايات التي تطلق شرف اليسار المدني أتت على قدره عناصر يعينها على التحدث إلى الآخرين بإيمان صادق.

وتشكل العقيدة الأكثر عمومية، التي تحول دون النقاش النقدي المتعلق بشأن الدور الذي قامت به أمريكا في مشاكلنا الراهنة، التصيرين المقاطعين للهوية الأمريكية والدين. فغالبيتهم الأمريكيون يؤمنون بالوجود المادي لجنتهم، كما يؤمن أقلية كبيرة من المسيحيين أنها اتصلت اتصالًا مباشرًا بالروح القدس. وادى هذا التدوين الراسخ بالأمريكيين إلى دعم المستشفيات والمدارس والمؤسسات الخيرية التي تقوم على أسس إيمانية. فبالدين يؤدى إلى تماسك المجتمع المدني، وهو ما لا تفعله الحكومة.



وقد يبدو أن الإيمان الذي لا ينصلط بالرب والوطن هو الذي يحدد كل شيء. ويعتذر به الأمريكيون في العالم الأكبر. ولكن الصورة أكثر تعقيدًا من ذلك. فقد وضع الجمهور العام منذ مندية سيمتير خطًا ثابتًا بين الإسلام في حد ذاته والإرهاب. وهو كذلك ما فعله الرئيس الأمريكي، الذي يعود إليه الفضل الكثير في ذلك؛ ويشير استطلاع للرأي أجرى مؤخرًا إلى أن أكثر من ٧٠ في مائته من الشعب الأمريكي يرفضون الفرضية التي تفكر في العلم وتؤكد أن الإيمان بالإسلام «يؤدى إلى السلوك

الفرار ضد سوزان سونتاج Suzan Sontag التي ربطت، في مقال نشرته في مجلة «نيويورك» New Yorker، التغيرات مباشرة، بين النفوذ الأمريكي والغضب القاتل الذي من الخارج. وكثيرًا ما كان نصيب أسناد العلوم السياسية تشاغلر جونسون Chalmers Johnson وهو المحلل الجهاد والمحاظ - تلويث سمعته على أيدى أناس لم يقرعوا بكتاب و Blowback: The Costs and consequences of American empire (الارتداد: ثمن الإمبراطورية الأمريكية وواقعيها)، كما لو كان قد صدق الفرضية الشائعة القائلة إن «أمريكا هي التي جلبتة لنفسها، ولكن الصدمة القادمة ما زالت قائمة: التحولات التي تتناول لا عقلانية الأصولية الإسلامية في تزايد، في الوقت الذي لا تزال فيه مناقشات الأتال العالية للنفوذ الأمريكي على استحياتها.

ولدى اليسار الأمريكي السبب الذي يجعله منشغلًا بإثبات أن له موقفًا يتسم بالإخلاص والولاء. ويمكننا إرجاع الخوف من أن يبدو المرء «غير أمريكي» إلى حرب فيتنام من ناحية، ومن قبلها إلى المكارثية McCarthism من ناحية أخرى. إلا أن تعالي الجماعات بصورة عامة من الصدمة المكارثية كان أسرع من تعالي التفكير. الذين كانوا يرون أن التواطؤ - يعلم أو بدون علم - مع قوة شمولية أجنبية مسألة بالغة لا يمكن الفصل عنها. ولا يزال يجلي يحمل جرحًا محليًا من حيلة فيتنام أن يتقدم أبداً! فسمعهم الشباب في الجامعات كانت لديهم الوسائل للهروب من الخدمة العسكرية، وهو ما كان

ما الذي تعلمته الولايات المتحدة من الحادي عشر من سبتمبر؟ لقد أدت المذبحة إلى تصلب الشرايين ذات النزعة الأحادية في الحكومة: ففي الوقت الراهن تجري نسوية وكوريا الشمالية أو معاقبة إيران، تحت اسم مكافحة الإرهاب. ومع أن الشعب الأمريكي لا يزال غاضبًا، فإن الكثيرين منه يزدادون حيرة من أمر العالم الواقع فيما وراء حدود أمريكا. وقد تنسم شكوى الأمريكيين العاديين التي يتنوى عليها تساؤلهم «لماذا يكرهوننا؟» بالأسباب، ولكنها تنسم كذلك بسلامة النية وتستحق الرد عليها بإجابات صادقة.

ولكن من يمكنه تقديم تلك الإجابات الصادقة عاجزًا إلى حد كبير عن تقديمها. فالحصافة المطبوعة تنقل تأويل الحكومة على أنه حقيقة لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وترزح موجات الأتير بيسرامج منسل The Military Diaries (المذكرات العسكرية) الذي ينتجه ر. ج. كتر R.J. Cutler ويهدف إلى تقديم «التفريفة العسكرية». وكانت أفلام الدعاية الأمريكية والبريطانية في فترة الحرب العالمية الثانية تنشر - مذكرات عسكرية - توضح للجندو وجهتهم، وما عليهم القيام به هناك. وأسباب فهمهم به. أما «التفريفة العسكري» فهو على العكس من ذلك يركز على المشاعر: ذلك أن البرنامج الأذاعي يركز على ما يخاله الجندو، والموسيقى التي يسمعون إليها، وكم مضى من الوقت منذ آخر مرة مارسوا فيها الجيش.

وتوضح نزعة خشوية لا واعية في الصحافة الأمريكية إلى حد ما سبب اعتقادهم أن ما هو أفضل من ذلك قد يجعل الناس يشعرون بالملل. ولكن كما أشار المذيع التليفزيوني البارز دان راثر Dan Rather مؤخرًا، فإن زعماءه يخشون كذلك وصمة أن يبدو «غير أمريكيين». وبذلك تعكس الصحافة انهيًا عامًا للتمسار الأمريكي على الحادي عشر من سبتمبر.



وفي اليوم التالي مباشرة للهجوم، ربما بدت مناقشات الأتال السلبية للنفوذ الأمريكي في غير وقتها إلى حد كبير. فقد انقلب جمهور

1-The Clash of Fundamentalisms: Crusades, Jihads and Modernity
(صدام الأصوليات الحروب الصليبية والجهاد والحداثة)

Tariq Ali
Verso, 2002, 852P.

2- Two Hours that Shook the World, September 11, 2001: Causes and Consequences

(ساعتان هزتا العالم ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. الأسباب والنتائج)

Fred Halliday
Saqi, 2002, 256P.

في الوقت الراهن تجسّر تسوية الكثير من الحسابات القديمة، مثل عزل كوبا وكوريا الشمالية وأعاقبة إيران، تحسنت أساليب مكافحة الإرهاب



الذي هو تهديد القوة من أعلى من ثم أدنى، وفي هذا السياق نتخسّن كل بداية من البداية الكبرى لنصاً المناقشة الحرب العادلة، والظروف التي في ظلها يكون استخدام القوة مشروعاً، ونوع القوة التي يكون من المشروع استخدامها.

ويقول هاليداي إن لهذا السبب فإن الشكل الفج لـ «مطابقة الإسلام بالإرهاب فيه إساءة استغلال للمصطلح الأخير من أجل أغراض سياسية مثيرة للجدل.... إذ يقصر مناقشة الإرهاب على الدول المسلمة وحدها، ولا يعارض الموقفون على «ما الذي نحارب من أجله» ذلك - من حيث المبدأ - إلا أنهم ليسوا مهتمين بما قد يشعر به من تلقيهم أمريكا من رعب من قوتها، ولا بالعواقب غير المتوقعة الناجمة عن كراهية المرء لعجزه، على الجانب الآخر.



قد يكون هناك اعتراض على عدم وجود عامل تهديد في كلام هاليداي الصريح إلى عائلات ضحايا الحادي عشر من سبتمبر، أو عامل تهديد من الحد حيث يريد من شعب ما أن يكون ناعقاً ذاتياً بشأن قوته، ولكنه هو وطرق على بطران، ويعطيرتني مختلفين تماماً، سؤالاً واحداً، هو كيف يمكن تأكيد سلامة السياسة العالمية؟ قد كانت الولايات المتحدة، مثلها مثل معظم الديمقراطيات الغربية الأخرى، تشهد سقوطاً سريعاً لكل من مشروعيتها العظيمة السياسية والساسة في السبعينيات، والشهوان بشأن الأخلاق السياسية ابتكر سواي خبارين، مما العودة إلى المشهد السياسي - وهو ما يمكن Berlusconi الذي تناسب فيه المشاهد السياسية الخاصة به الترفيه العسكري، الجميع بشكل مأسوس جداً - أو اللجوء إلى الدين كمرشد للسياسة.

إن نزاهة السياسة أمر يحتاجه المفكرون الأمريكيون بشدة. فكوننا موصوفين في بعض الأحيان بعدم صدق الإيمان، وفي أحيان أخرى بالزعة التفوقية غير الواجبة، فإننا لم نعد أصولاً انتقادية وثوقاً بلا تعير عن شعينا، وليس استعادة كل التشريعية من طريق الجشور إلى العاطفة الدينية، بالوقوف على «الفردة» الدينية، سوى إعلان أن المفكرين هم كذلك أمريكيون صالحون. ويقول فريد هاليداي صراحة إن النفوذ الأمريكي آثار الظلم التكنوي والعداوة الكونية، وهو ما يعني أن الرء على سؤال «ما الذي نحارب من أجله»، ولعلّ نبشنا سلمية. وهذا يعادل التراجع عن السياسة؛ وهو ما لن يفيد بكل صراحة.

ترجمة خاص من
بثينة أحمد محمود

وأنا لا أقصد بهذا النقد أي تعليق على إيمان من كتبوا الإعلان، بل فقط هو أن الإعلان يفصل القليل من أجل الضوء على المسألة الأخلاقية التي تليق بالقوة العظيمة. وقد ولف كتاب فريد هاليداي Fred Halliday وعنوانه That Shook the World «ساعتان زلزال العالم» تلك المسألة بعرض تاريخ طواظ أمريكا السابق مع أعدائها الحاليين. وهاليداي الخبير البريطاني يشئون كل من منطقة أفغانستان والشرق الأوسط، ليس معادياً تلياً زعيمها، فهو يرى العدالة الحقيقية في الحملة الأمريكية ضد العراق قبل عقد من الزمان. وإن لم تنطو على عدالة مساوية؛ فقد كانت ترسانة صدام الكيميائية والبيولوجية هي التي برزت الحرب. وهو متشدد جداً بشأن الخبث الإسلامية؛ ذلك أنه مثل طارق على يعتقد أن الخلقى عن مسؤليتها الاستثنائية تجاه شعبها ساعد على خلق تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تنتعش فيها الأصولية الخالصة.



وتخلق القيود الزمانية الخاصة بالإنتاج صعوبة ما تتعقّب بهذا الكتاب. فمع أنه نُشر في الولايات المتحدة وحسب، فلم يظهر في بريطانيا إلا بعد بضعة أشهر من مذبحة سبتمبر؛ ولا تتعدد مجموعة هاليداي من الاقتباسات المتنوعة على مر سنوات كثيرة في مركز اهتمامي، ولكن هناك حقيقة غير مريحة تتخلل الكتاب بكامله. إذ يوضح هاليداي الطواظ الأمريكي في الماضي مع من يهددون أمن أمريكا الآن - وهو ليس طواظاً مع الشر، وإنما طواظ مع الشرير - «العداوة الاستراتيجية للإسلام» سياسة يربيعها هو إلى سياسة البترول، وبالأخص إلى أزمة البترول في عام ١٩٧٢، وفي اللعبة الأخيرة لعبت أمريكا دور الإمبراطورية السوفيتية. وكأي من ممارسات السياسة الواقعية، كانت «العداوة الاستراتيجية للإسلام» تشعل وتخبو حسب الظروف، وهو ما جعل الولايات المتحدة تدخل منذ قضي في علاقات ودية مع طابان في السر، وفي ظل هذه السياسة الداخلية السعودية، يبحث هاليداي مرونة أمريكا بشأن خداع الأنظمة الحاكمة، والعناصر التي كانت تمول المنظمات التي كانت بدورها تمول الإرهاب. وربما تقرأ أية سياسة خارجية أخلاقية، على أقل تقدير، المكان والزمان التي يحدث من التنازل بين بعض القيم من أجل قيم غيرها.

وفي قلب الكتاب تكمن رؤية أخلاقية أكثر إيجابية وبساطة في التحليل المحكم الذي يقدمه هاليداي للإرهاب كما يفهم «من أعلى» مقابل فهم «من أسفل». وعلى حط هذه المسألة بشكل بسيط، يفرّق هاليداي بين «الإرهاب» كتهديد لأن الأمنيين و«الترهيب» كتهديد للناس.

الأمريكي مثل الفيلسوفين جان بيته الستين Iean Beathke Elstain ومالك Walzer Francis Fukuyama وروبرت بوتنام Robert Putnam، وليس إعلاناً النوايا هذا مجرد وعد متعصبة، ولا يدعو بالتكثفون ومن وقوعاً معه إلى مبدأ «العين بالعين». بل إن هدفهم هو بيان أن هناك أوقاتاً لا يكون فيها شن الحرب سموحاً به أخلاقياً وحسب، بل من ضروري في المعالجة الأخلاقية، لرد على أعمال الإرهاب المأساوية والكراهية والظلم. وهذا وقت من تلك الأوقات.

ولكي يبررو موقفهم، فإنهم يناشرون بتلك «القيم الأمريكية» التي لا تخص أمريكا وحدها، بل يشترك فيها ميراث البشرية في واقع الأمر. وهم يناشرون بصورة أمريكية من الإيمان بالدين باعتبارها أهم تلك القيم. وبينما يعترف بيان المثقفين الأمريكيين بأنه «ليس هناك تراث ديني يتسم بالكمال»، فإنهم يرفضون ما يسمونه «العمالة» الأيديولوجية - (توضيح إحدى الحواشي أنهم يقبلون فصل الكنيسة عن الدولة ولكنهم ضد «رؤية العالم التي تقوم على رفض الدين أو معاداة الدين»). ولا يؤيدونه، أو الإيمان بالدين بمعهم من أبعاد الفريية، والواقع أن الإعلان يركّز على إيران صوته الخلال؛ وبينما يبدو أن الدين، شأنه شأن الوطنية، يوحى بخضوع الذات أو حشوها، نجد أن التركيز هنا على «من نحن».



وما لا يوضحه البيان هو كيف سيؤدي الإيمان «باعتباره بعداً هائلاً من أبعاد الفريية» إلى ضم كوريا الشمالية إلى «محور الشر» الذي تحدث عنه بيليه بوش. ولتأقيد الوثيقة أخلاقية الاستراتيجية الأمريكية العظيمة في منطقة أفغانستان؛ بل إنها تصر على حقيقة العامل الأخلاقي الخالصة. وأنا أفهم أن تشن الحرب للقضاء على مخزون المجنون صدام حسين من الأسلحة البيولوجية والكيميائية، ولكني لا أفهم أن تكون لفريية علاقة بذلك.

ويكمن منطق «ما الذي نحارب من أجله» في الانتقال من «أنا أنؤمن» إلى «أنا مخلص للديار الأمريكية» إلى النتيجة التي تقول إن «شن الحرب ضروري من الناحية الأخلاقية». وما يفيد عن هذا المنطق - وهو أدخل إقرار غياب العمالة - هو الاقتناع بأننا قد اكتشفنا مبادئ أخلاقية معيارية في علاقاتنا الخلقية بعضهم البعض. وهناك إقرار عام بأننا مهمة اقتصادية وسوسولوجية وسياسية شاقة. ويجاؤز منطق الإيمان كل هذه التفاصيل التي يصعب علاجها. وبذلك فإن «ما الذي نحارب من أجله» يبرر، رغم الاختلاف الطفيف في درجاته وإتساعه، تسمة طارق على للحظة الراهنة بأنها صراع أصوليات.

الإيمان كانت تهدد الأفراد أكثر من تهديدها لأجيال المدينة؛ فقد كان الضمير الفردي وليس البيروقراطيات الكنسية هو صلب العقيدة.

والآن، وكما كان الحال في البداية، يتحدث الضمير في أي مكان - فقد كان يتحدث إلى الظهري الذي يتجول في الغابة فيضاً، والأن يتحدث إلى من يستمعون إلى الإذاعة الدينية وهم يمشون سياراتهم. وإعطاء الصيغة الفردية للإيمان هو السبب، على سبيل المثال، في أن الكثيرين من الأمريكيين الذين يعتقدون أن لهم اتصالاً شخصياً بإله، يصلون لهذا الاعتقاد من خلال تحليلهم لسلوهم وليس من خلال دراساتهم للكتاب المقدس. وحين حلّ وليام جيمس William James ظاهرة اعتناق عقائد جديدة منذ قرن مضى، كان يظن أن إعجاب الأمريكي بأن يصعب المرء «مولوداً من جديد» يمكن في الرغبة في تغيير نفسه وليس في الإعتقاد لما أمر به الرب. وهذه هي أصوليتنا، أي أصولية الشخص.

وتشعّب فينجرالد دراسة السياسة الخارجية، باعتبارها سياسة تعكس بشكل مباشر هذه الرؤية الدينية شديدة الفريية. فهي ومدرستها ترجعان المنطق الديني لدور الصواريخ الأمريكية على سبيل المثال، إلى خوف الأمريكي من النفوذ الفردي من الخارج؛ فأنهناك الأخلاق لا يابه بالصلحة العليا؛ ويذكر تبدو قوى كوريا الشمالية النووية في إطار الوعي بالخطر أكبر من ترسانة روسيا. وتصبح الأصولية الإسلامية، لكن تفهم على أنها خضوع الضمير الفردي للحكم الجمعي، غريبة إلى حد كبير؛ ويسير التصك بالنظام الدوجماتي في اتجاه معاكس تماماً لتجربة التحول الداخلي التي ينبغي أن تحرر المرء من أغلال العادة والمؤسسات. والواقع أنه في أمريكا القرن التاسع عشر كان البروتستانت «النافعة» بلفة تشبه إلى حد مثير تلك المناقشات التي تدور حول الأصوليين الأجانب في الوقت الراهن.



وبطبيعة الحال فإن «هناك» عالماً حقيقياً، وفي لحظات الأزمة - كما حدث أرباب الحروبين العالميين - كان الناس يستجيبن له في نهاية الأمر. وليست أصولية الفردية أصولية أنانية وحسب، بل إنها تقود إلى احترام صادق ذات الآخرين، ولكن من زاوية أمريكية مميزة.

وتتضح الطريقة التي يعمل بها الآن هذا الاتجاه إلى الخارج في مغول المفكرين في إعلان بيليه عن «ما الذي نحارب من أجله». يكتبه يعقوب بلانتنهون David Blankenhorn رئيس معهد القيم الأمريكي ويحمل توقعات نقاد القوياء آخرين للمجتمع

في الذكرى الأربعين لاستقلالها

الجزائر

بين تغييب الجغرافيا وإحباط الحاضر!

محمد الميلى

مجنّات جزائريات في جيش التحرير الوطني



برز دور مدينة الجزائر منذ القرن السادس عشر عندما اتجهت إمبراطورية ناشئة هي أسبانيا المسيحية إلى احتلال بلدان المغرب العربي خاصة مدنه البحرية، بعد أن نجحت في القضاء على آخر دويلات الأندلس، وهي دولة بني سراج في غرناطة



لأسكانها، بينما تكون فراغات البحار عامل جذب للمقيمين على صطائها، وفي كلتا الحالتين تمثل المسالك التجارية والمسالك والمسابك البحرية أدواراً هامة في التطور الحضاري للأمم التي تؤمن إحصال بضائع وسلع إلى حيث يكون الطلب عليها شيئاً والأرباح التي توفرها مرتفعة.



لكن كلا من الموقع البحري والصحراوي لا ينتج حضارة إن لم يتعانق فيه التاريخ مع الجغرافيا. لأن الجغرافيا لا تقتصر على دراسة الأرض، إنها تمتد وتشمل كل ما هو حي على سطحها، خاصة الإنسان، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبشر، حسب تعبير أندريه سيجريه.

إن هذا التعريف للجغرافيا يجعله ملائم مع التاريخ، في علاقة عضوية تفسر كون كل منهما يعتبر أقدم علوم الأرض، ويتداخل كلاهما مع أولى خطوات الفكر الإنساني، وقد يعنى أن التاريخ هو علم وليس فناً أو أدباً فقط، كما حسم على ذلك لوي بورديو منذ عام ١٨٨٨ عندما أكد على أن لوي بورديو «علم ولا يمكن أن يكون غير ذلك».

هذا السلام هو الذي جعل «برويدي» يستعمل مصطلح «جيو تاريخ» في كتابه «مطبخ التاريخ»^(١)، ويعرف هذا المصطلح بأنه «هو التاريخ الذي يفرسه المحيط على الناس بما يتضمنه من نوابغ، وهو ما يحدث غالباً، أو بتقريبه عندما يترتب على تاريخه هو أيضاً تاريخ الإنسان في صراعه مع فضاءه، متفاحضه على امتداد حياته الشاقة المجهدة، متصراً على فتحه مقابل أعمال مدعومة يوماً لن تتجدد».

إن هذا التراباط بين التاريخ والجغرافيا هو ما تتيبه له القضاة في الفترات الحاسمة من تاريخ شعوبهم.

وهذا ما يفسر المكانة التي اكتسبتها مدينة الجزائر منذ أصبحت عاصمة للمغرب الأوسط في العهد العثماني، اكتسبت تلك المكانة بفانوق الجغرافيا، لأن الذي برز في الكلام في السياسة عليه أن يضع أمامه خريطة ينظر إليها ويدرس أوتامها وخطوطها، ويحدد فقط بحق له أن يتكلم برأى ويجهته بحكم حسب تعبير الجزائر دي جول، كما قلته الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل^(٢).



تؤكد مقولة الجزائر دي جول هذه عندما نلاحظ أن المدن الكبرى الواقعة على ضفاف المتوسط أدت دوراً استراتيجياً، عندما

لم يكن هناك من تصورات أن موقع «إيبوس» كما كانت تسمى في العهد البربري (ومعناه المكان المغطى) سوف تصبح له مكانة معتبرة منذ القرن السادس عشر الميلادي، وكانت قد عرفت باسم «اقسون» في العصر البيزنطي، وهي كلمة مشتقة من كلمة «ايكوس» اليونانية وتعني «عشرين»، يقال أن تلك التسمية مرتبطة بعدد الجزر والصحور التي كانت توجد في مدخلها، ويقال إن ذلك يرجع إلى أسطورة يونانية خلصتها إن عشرين من رفاق «هرقل» انفصالوا عنه عندما ابصر في طريق عودته من بحر الفلكلما إلى اليونان، وإذا لم يتفقوا على تسمية واحدة لهذا الموقع أطلقوا عليه «عشرون» وهو الرقم الذي يعبر عن عددهم بعد.

بعد ذلك بقليل قرُون استقرت بالمكان قبيلة «بني زغبة» وهي من فروع صنهاجة التي كانت تنطق المخاطبة التليّة المدة من القبائل إلى مصب نهر الشلف. لذلك عرفت «اقسون» أو «برقسيسوم» في المنطق اللاتيني باسم «جزائر بني زغبة»، وأقصر على «الجزائر» بعد ذلك وهو الاسم الذي اشتهرت به خاصة بعد أن سعى «يوليان بن زيري» الصنهاجي إلى إعمارها، قبل أكثر من ألف سنة.

ولأنك إن هذا الموقع على البحر كان أحد العوامل التي ترشحها لأن تتطور وتتدجج في ركب الحضارة، فالفضاءات البحرية من شأنها أن تجذب الإنسان الذي يبحث عن الشروة والمغامرة والشهرة. فليس من قبيل الصدفة أن يشغل البحر حيزاً كبيراً في أذهان ليلية وليلة، بعد رحلات الاستبداد البحري ومغامراته «خطاف العرائس» وأمالك التي يسيطر عليها سلاطين الجبان في أعماق البحار. إن فضاءات البحر الحالية من العمران الكاثيك تفسر إلى حد كبير نشأة وتطور الحضارات التي قامت على ضفافه منذ القدم المصنوع مثل الحضارة المصرية واليونانية مد الرومانية.



وتشبه الفضاءات البحرية التي الجوار في كونها هي الأخرى كما لها دور في نشأة وتطور الحضارات تشكلت حول الواحات. يؤكد ذلك المساحة التي كان أطلقها العرب على الجميل «سفينة الصحراء»، هناك أوجه شبه بين فضاءات البحار وفضاءات الصحراء: فمذلت الحضارات البحرية، أولاً، برجان إلى، وقد سبب نشاط القرصنة، كما تطورت هذه الواحات الصحراوية بغلق ما تشتمل عليه من حدائق وثمار وتخييل، وكذلك بسبب الغنائم التي يتحصل عليها فرسان الجبدو الرحل إلى غاراتهم وهي غزواتهم، ولعل أحد الفرق الأساسية يتمثل في كون الفراغات الصحراوية تشكل عامل طرد

وجابية وطرابلس، وإن نوبن بها الكاثوليك بصورة كلية، كما كتب في شهر أكتوبر من نفس السنة إلى أنطونيو دو روفيدا يقول عن بجاية: «يجب أن نتخذوا الإجراءات اللازمة بأن تملأوا المدينة فور احتلالها باتباعنا من الموريسكيين».

لكن محاولة احتلال مدينة الجزائر التي قادها ديبيجو دو فيرا عام ١٥١٦ فشلت، كما فشلت حملة سنة ١٥١٩، وإن كانت قد نجحت في احتلال جربة عام ١٥٢٠.

وفي عام ١٥٢٩ وجه خير الدين ضربة موجهة للاسبان عندما طردهم من القلعة التي أقاموها على الصخرة المواجهة للمدينة، رغم تحصيناتها. في عام ١٥٣٥ مارتان دو أوغولو في حملته ضد لفسسان، في الوقت الذي تمكن «شارلوتان» من الاستيلاء على ميناء «حلق الواد» بمعاونة تونس، إلا أن هذا الأخير لم يهزمه ملاحقة أمام مدينة الجزائر بعد ذلك بست سنوات، توالى التهاطل الكاثوليكية بعد ذلك إذ طرد فرسان الملائم من طرابلس عام ١٥٤٤، وخرج الكاثوليك من المسجدة عام ١٥٥٨، كما انتهت الحملة ضد مسجدة بكنارة كبرى بالنسبة للكاثوليك الاسبان.



عبيقية خير الدين

على أن ما يفسر المكانة التي احتلها مدينة الجزائر منذ أن استقر بها الأخوان، عروج وخير الدين، هي «الجيو تاريخ»، أي الالتحام بين الموقع والمحتوى التاريخي، التمثل في العبيقية التي كان يتمتع بها خير الدين في المجال الحربي والغزواني البحرية، أي ما يمكن تسميته بالنشأة «عبيقية الزمان» مع «عبيقية الزمان» حسب المصطلح المفضل عند أحد عاقله الفكر الجغرافي والتاريخي وهو المرحوم جمال حداد صاحب كتاب «شخصية مصر».

فقد تبنين أن ميناء الجزائر يمثل موقعاً حروبياً لذا يستطيع التحكم في جميع المسالك البحرية التي تلتصق الحوض الغربي للمتوسط. فانوق الجغرافيا لقيته متصلاً بعبيقية خير الدين الحربية أو الذي يفسر ذلك التطور الذي عرفته الجزائر سياسياً والذي الإزمار الذي حللته اقتصادياً، وخاصة بعد أن نجح خير الدين في طرد الاسبان من حصونه المواجهة للميناء، وقد اغتنت تلك الفرصة فربط الحصن المذكور الواقع على صخرة يحيط بها الماء وشدها إلى البر بواسطة صيف يضع البواخر والسفن في مأمن من غلاء البحر وهيجان امواج، ولم يبق محض صدفة أن يجعل بعض المؤرخين هذا الحدث

المدينة، بينما لا تأخذ بل تمتنع نفسها، ومن أية ناحية جعلتها تبدو أنها «صردت عن سابق تمتنع لتأخذ لاحقاً».

كان بعض المظاهر الخداعة لصدمة الهزيمة ووقع الاحتلال، انطلقت القاذوة بقيادة قبيلة صردت عن معسكر تسعسي لثقل المعارك من البحر إلى البر، استمرت القاذوة إلى نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، بدلاً على شدة الرض وشراوة الصمود. وقد قاد الأمير عبد القادر، قد انهزم عسكرياً، فقد سعى إلى تعويض الاحتلال الذي حدث في توازن القوى المادية بين جيوش، بحرب معنوية تحفظ القلوب خلفاً للإسلام، عامرة بالإيمان، ترفض أن يستولي المحتل على العقول بعد أن استحوذ على الأرض.

تجّح الخزاف في بسط تفردهم على كامل البلاد، بعد أن نجحوا في تجسيد الجرائين، تمهيداً لاحتلالها، ثم تركوا شبيبة سيادة للجنائين حتى يتفرغوا للقلب يسون شرايينهم ويتعاملون كل ما كان به هو، فلم يتركوا بصمة منها إلا للظفر، ولا يخلصون ريعهم للقلب إلا الصلوة بمسكتانهم، حتى تعليم القرآن، وحجوا إلى العبادات، حتى يفقد الشعب إلى أم في النهوض، وتضيق فيه إلى اليد جذوة المقاومة، تمهيداً ليوم يأتي فيه جيل جديد يعتز بأنه مخدّر من سلاله الغال.. وكانت فترة ركود وسبات، في الظاهر على الأقل.



لم يكد بعد القرن حتى انشغل الاستعمار، أصبحت مجاهدين هنّوا الضمّان الفرنسية إلى الأبد، لم يعد السكان يفكرون في تمرد أو ثورة، لقد قضى على رؤوس المقاومة، ونفقت أبناء مدغم من السكان بغضامنة، جماعة كبرى تدعى ضحيته مئات الآلاف إن لم يبلغ عددهم المليونيين في نظر بعض المؤرخين.

تصور الفرنسيون أنهم نجحوا إلى الأبد بإنهاءهم، وضفوا وأهم، تهرّبوا بالفرار والبطش والتجريح أو تغيّباً بالجاه والنفع أو إغراء بالمال والغش.

حتى الذين تقادروا إلى أسس الاستعمار للواقع، وتعاونوا مع الفرنسيين كفلسو غليظهم وكثيروا، فأنهم لم يلبثوا عواظهم، يروى أن حاكم مدينة «نيس» الشهير بجبروته، كان يتجول في شوارعها مع مساعده في جزائري، أحد مسرورهما بالآثار الأوراشية والبيزنطية على الحاكم، انظر هذه الآثار، لا أدب عليه عشرة عشرة وقوة إمبراطورية، إلى أجياله مساعده، صحيح، ليس أعظم منها إلا القوّة التي همزتها.

في عام الجمهورية الثالثة عرف الإعمار والاستيطان الأوروبي متغيراً كبيراً، فاعتبار الجزائر فرنسية وضع جاك لوسيفر بالمستعمر، فاصبحت، كما قيل، انحداراً للجزائر الفرنسية، من هنا كان لابد أن تتطور مدينة الجزائر بما يجعل منها «عاصمة أفريقية»، كما كتب بعضهم. تعزز هذا الإحساس بعدة قسّة السوسيين في ١٨٩٦، إذ أُلغيت لقياء المدينة دفعا جديداً.

ظنّ أن التمدد الفرنسي الجديد نحو تكثيف التوطن الأوروبي في مدينة الجزائر على الخصوص، سكانها الذين كان عددهم ٤٢٠٠٠٠ منهم ٣٤٠٠٠ أوروبي عام ١٨٧٢، صارا ٢١٠٠٠٠ منهم ٦٠٠٠٠ أوروبي، مقابل ٢١٥٠٠٠ جزائري.

أصبحت المدينة آنذاك هي «رأس الحربة» لسياسة الاستيطان التي تجد الإهتمام بها، الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، تؤكد ذلك عدة إجراءات قانونية، من أشهرها إقرار الجنسية الفرنسية لمن يريد أن يستقر، علماً بأن مدينة الجزائر أصبحت خلال هذه الفترة عبارة عن خلية إخراج ضخمة، مشاطرة مربية، ومثل مثل الجنسية الفرنسية لليهود بصورة جماعية عام ١٨٧٠، وفي عام ١٨٩٦ ظهر قانون عرفه صواهد بقوانين منح الجنسية الفرنسية بصورة أوتوماتيكية لجميع الأوروبيين غير الفرنسيين، وعرفت المدينة انقلاباً كبيراً في مجالات الإعمار والاقتصاد فيما بين ١٨٧٠ و ١٩١٧، فاستضافت الواسع في مواجهة البحر أنعم عام ١٨٧٤ فقامت حواليه وبالرغم من أحياء أصححت وتيرة تطورهما ونموها أسرع من السابق، مثل حي باب الواد، حي إيزلي، وحي بلكون.. كما أن حي مصطفى عرف نمواً كبيراً بعد أن أصبح إلى قفّز عدد سكانه من ١٢٠٠٠ عام ١٨٨١ إلى ٤٠٠٠ عام ١٩٠٠، وسدت في نفس الوقت سكك للترام، كما تمّت توسعة المدينة، وشيدت محطات للسكك الحديدية.

كان المردود المرتفع للاستثمار في مدينة الجزائر سبباً في جلب الأوروبيين، إذ كان يعتبر من ضمن الاستثمارات وأرفعها مردوداً بالنسبة لغيره.

وهكذا ارتفع عدد السكان من ١١٥٠٠٠، منهم ٥٠٠٠ أوروبي عام ١٨٩٦، إلى ٢٢٦٠٠٠ منهم ١٧٠٠٠ أوروبي عام ١٩٢٦، ليصبح عدد الجزائريين مرور القرن ٣٦٧٠٠ نسمة، مما يجعل مدينة الجزائر تحتل المرتبة الرابعة بين المدن الفرنسية.

هناك انطباع المذهل عن احتفاظ الأوروبيين بأغلبية ساحقة، لم يتل من الجزائر إلى باقي البلاد.

فكان منطقة القبائل الذين انتزعت منهم أراضيهم بعد غسل نهر القنطرة عام ١٨٧١ في جبال إلى القصبة التي تكتسب فيه، ولم يجدوا من مناصب العمل إلا حمل الصانع في المياه، ولليل هم الجزائريون الذين سمحت لهم إكسابهم بالسكن حتى القصبة.

أنشأه من التلّون برز حيّان متميزان من حيث السكن، حتى القصبة التي كان معظم سكانه من الجزائريين، وحي باب الواد الذي كان معظم سكانه من الأوروبيين من أصل إسباني.

استمر الطابع الفرنسي لمدينة الجزائر يتطور، واستمر صوت الجزائري المسلم ضعيفاً حتى كان سنة ١٩٣٠، احتفالات ضخمة بمرور مائة سنة على الاحتلال، تكرر خلالها الحضور الفرنسي وترسخ بصورة لا يمكن معها النيل منه، مواكب غزيرة وبهجة، واستعرضوا للوقوع في صف، وتذكروا الانتصارات الحربية من غير ما يشاع بالجزائريين. أم لم يتكمن الاستعمار من القلابة على تاريخ كامل قبل يبق للتمسكان وتيارات ويمسكس وهرغان، من الجزائر والدية وكوكو، ومن حياجة وسوقنفة وويو، ما يشهد بحراة تاريخ وأصاهاض لفر لاثني، فلما كانها ما يشهد بعلقة فرنسا وشدة باسها، مخرطها، متسلطة، تفسد الطبيعة الحاصنة المدنية للسيطرة على شيء، طبقة السبق من أفاق تشر، فرنسا، إسبانيا، إيطاليا، مالطا، لا يجمع بينها شيء إلا

كونها أجنبية عن البلد، لتتلقى على كره الأملى وتجريده من حقوة، فاستحوذت على الإرادة والجيش، وعلى الأرض والاقتصاد، صناعة وتجارة وزراعة، وعلى الثقافة تعليمياً وصحافة وثقافة.

حتى الجغرافيا غيرت، لم تكن بتلون الخرافات التي جعلت الجزائر ينسب لكون الخرافات التي تمثل فرنسا، بل أدعت أن البحر الأبيض المتوسط ينسب فرنسا شطرين، كما ينسب لهر «السين» باريس شطرين.

راحت الجسوع الأوروبية تتوالد على الجزائر العاصمة في مظاهر بذخ صارخ، وتقدم مسرحيات تمثل عمليات الإنزال في سيدو، فرج، وتوجد العهد بجان دارك، بوصفها بظلة فرنسية وسيدية، غير أنها بشاعر الأملى..

لم تطول ترحيباً بعودة القادمين من الداخل صعبة زجاتهم وإبناتهم وبنتهم وقد لبسوا أزياء اللباس والحاجب وأغلى المصوغ، يتبخشون زمريون ومزيمرون عن ظفرهم بالجزائر إلى الأبد، سالت النخيل الطوار، وأضاعت الليالي أنواراً، لم بعد هناك فرق بين ليل ونهار إذ توأما عبر سهرات صاخبة تمتد حتى الصباح.

وكان كل ذلك لا يفي، فاختار سؤتمر القريان الفرنسيين، المؤتمر الأفريقي، ذلك المناسبة للتعهد في فطاح، حيث أقام مواكب تمثل القديس لويس (لويس التاسع)، (كان كل حضر حضر لوتنس عام ١٢٧٠ ليقنع ملكها باعتقال المسيحية، لم يتوجه من هناك إلى مصر قائلاً للحمة الصليبية الثامنة، لكن الموت لم يلبسها)، وأعيد تمثيل مسرحية عن «بلانش دي كاسابل»، وكبار القادة الصليبيين بملابسهم العسكرية وروادعهم الحربية.

كانت صدمة كبرى لدى بعض المواطنين تارة تلتف وجوههم، سياسياً طبعاً جلودهم، ولعنة تلك طرائق المحسبات.

صدمه تروى استضافها في صفة لورد، شعّر بها الشعب على اختلاف فئاته ومساوياته، تحدياً لأعز ما يكسب، تكرر الأسلاف الذين يعتز بالانتماء إلىهم، ذاكراً للأثر التي أخذتها على التاريخ، ودمه منذ فجر التاريخ وبدايات الدنيا، الذين الذين أيدهم بخصارة من أفع الحزازات، لغة اللقاة التي تم تغيبها وجرم تعليمها، لم يعودوا يرددون من قرأتها إلى قرأها صمراً لكونها في الأصل، دون أن يلبثوا إلى معنى في عقلمهم الأجيال.

حتى الذين كانوا يتعاملون مع الفرنسيين سوتلفين في إدراكهم، أو متلفين أو أفراسين لكسادهم، أو يشتغلون في الحقول والمزارع لغائدهم، معمرهم، أو عناصر الحشية من أضياء ومسيادة ومحامين، شعروا بشعورهم الصدمة، فالتفتت من جدج جدج كان يفتن أنها الشامت، والتفتت جدوة تار كان يفتن أنها خدمت، وتكرار تاريخ كان يفتن أنه قبر ودفن إلى غير رجعة.



لم يكن هناك على القصبة البقية، بين الفرنسيين الذين يمكن الحل والعقد من لآخذ تمثل المار، لم يوجد من ترجع - إلى لآخذ - «الهيبة اللغزة والغزة المحتشمة».

إذ لم يكن هناك ما يدفع الأوروبيين إلى اللق، فاستقبلت الجزائر الفرنسية وأعد، الأماشي، لا خوف منهم، لقد قبلوا بالامر الواقع، واستقبلوا للقدرد الحظوم، ضمن دينهم بينهم الاستكانة للقدرد والرقم بقسمة الله، اليس إلى مساكنتهم من لرقم شعار «فاق أو تافق أو فارق»، وفاق على وجوه الاستعمار، وإن لم يعيدوا واقع الاحتلال فقلّظهم بامر يعيدوا وأنه لم يرتاح، وإن لم تستطع فعلك إلا أن تملك مسالك الخراب، حيث لا يوجد فرنسيون.

المستقبل بالنسبة للأماشي، أن أصبح عنه مدينة الجزائر، جازراً، فقلّظ مولد كان له آثار على الخط أن يعيش كفرنسي، أصبح إدم الجزائر الفرنسية، لاكتساب السوسول الأوروبى أو يوليوس ١٩٢٠، هاهي القصبة مسفر حكمه الدايات بالنسب يسبق بين فيها وتشتق بالوالدين عليها من داخل الجزائر، اغنا اختزلت منهم أراضيم فصاروا يتكسبون على بنات أبلية السواط، تروى بركتة ادمه من فن غابر، تروى بعينون جامدة إلى مستقبل كله ظلام وياس ونوط.

لما أحياء الحقبة فلاندا لا أحييت تنتهي تلك اللامحاة، وإذا كان «باب عزون» نهجاً غير واسع لمثل الأنهج التي استحدثت في القرن التاسع عشر، فانه يربط بين «ساحة العود» والحديثة، وتفتحها لمدنة الأوروبية، بصلاتها الخلفية وقطاعها الجديدة، ولامها بصلاتها الخلفية وقطاعها الجديدة، تصاد نحو «التليمي» و«الإير»، أو تآذى البحر حتى تنحني لظلالاً وشمالاً «بمصطفى» و«ساست أوجيه».



الجنرال عبد الحفيظ بن بلعيد، رئيس المجلس الوطني للثوار، مع أعضاء المجلس في الجزائر العاصمة، 1963-1964

**تري لو جمعنا
بعض المسنين
المعمرين الذين
حضروا احتفالات
ذكرى القرن
مع مثسلي
الأجيال الجديدة الذين
ولدت بعد استقلال
الجزائر، فهذا يقول
بعضهم لبعض،
أي أما الحوار
الذي يمكن
أن يجريه
الطرفان؟**

وإذا كان هناك أوروبيون قليلو الإنكسارات، لم يحصلوا بعد على موقع في «ديسون» أو «فيلو» أو «إيرتل»، أو «ميشلي» فإن لهم في «باب الوالد» و«بلكور» مرتعا يشبهون فيه نهيم إلى الشمس، وحاجتهم إلى الضجيج، يستطيعون أن يمارسوا هناك لعبتهم المفضلة: السلطة على ابن البيل بصورة أو بآخر، إن لم يكونوا من الجيل الجديد الذين يتعاطفون مع المبالى، وهؤلاء لاهن لحسن الحظ، إن إشباع شهوة التفوق وممارسة هواية التسطيط على ابن البيل لا تحتاج دأشأأى سوط... يكفي في تحقيقها أن تشعر بن من يصادفك من العرب والقبائل، بخشاش ويريد، أنبساطه المرحمة قد تحمل لأوروبي من المتعة ما قد يضاهي المتعة التي تحملها أئات الماتم تحت سيطار الجبال الذي تعود على التلذذ بانات المعذين في أرهم.

كانت الاحتفالات بالذكرى المئوية فرصة لتعليق رخلات لئبنا فرنسا ألا تسمح لهم أن يتصرفوا على هذه البلاد التي قد لا يكونون عروفا إلا لأن خلايا حكايات مسكون بآفات

دوميرج» (١٨٦٣ - ١٩٣٧) وقد استصحب معه أركان النظام: رئيس مجلس الشيوخ، ورئيس مجلس النواب، وعددا من الوزراء والنواب، جابوا الأرض من العاصمة إلى «بوفاريك» ومن هناك إلى السنطية وعقاية ووهران. في «بوفاريك» استقبله رئيس بلديتها «اميدو فرجي»، أحد أساقفة الجزائر الفرنسيين، قال في خطاب جاء فيه: «عندما قرر المارشال بربوي ديلران أن يحتل بوفاريك، لم يكن هناك أي عسار مهم: مجرد سوق أسبوعي يسمى «سوق الاثنين».. مكان مشؤوم أشبهت ببشر أسطورية.. وأشجاره المتصببة كانتا مشاقق.. وسط مستنقعات، رائدة مجاهها، كثيفة أحوالها، سلعهم اعيرة عزلة خائفة ورتابة رهيبه.. كانت الأغال تخفي فطاع طرق يهددون العبايرين الذين يتصرفون أيضا بسلل المستنقعات.

عندما يصل إلى السنطية، يستقبله واحد من أبرز أعباها، محمد مصطفى بن باديس، يختم خطابه، بعد أن طرح مطالب معتدلة: «سيد الرئيس احملوا هذه المطامح واعملوا على التآخي أمثالا كليل». وفي العاصمة في «بيدراجاك (دورو) أية غضاضة في أن يقول: «إن مرسوم فبراير ١٩٦٩ قد حصد النواب الجزائريين في المجالس الجوية بنسبة الأربع من مجموع نواب الجزائر (ثلاثة الأرباع من الأوروبيين)» وذلك يعني سيد الرئيس أنه لا يوجد هنا أي تمييز بين الفرنسيين الأصليين والفرنسيين الأتالي في مجالسنا التي تمثل خلاصة حجة لاستمررتنا الجيلة».

**بيديات مبيكرة
لمشاعر الإحباط:**

بعد أن تصفحت بعض ما قيل في وصف احتفالات القرن في ذكرى القرن، رجعت إلى الحاضر، يوليو ٢٠٠٢، ذكرى مرور أربعين سنة على الاستقلال.

تري لو جمعنا بعض المسنين المعمرين الذين حضروا احتفالات ذكرى القرن مع مثسلي الأجيال الجديدة الذين ولدت بعد الاستقلال، فهذا قول بعضهم لبعض، أي أما الحوار الذي يمكن أن يجريه الطرفان؟ لقد تشكلت اتجاهات الجيل القديم في غمرة الصراع ضد استعمار السجيل التي أعني، معاركة، في وقت من الأوقات. كان الانتمار فيها مستحيل. إذا كان انتمارهم في معركة الاستقلال عاملا أساسيا في تشكل شخصيتهم، فاماوا قد تتصوروا في تلك الحركة ونجدوا في التآخي الاستقلال فاما لا يتجنون في كسب معارك التتمة.

إلا أن الاختلاف في الرؤى بين قيادات الجيل القديم انعكس سلبا على المشهد السياسي، خصوصا مع ما بدأ لتكرير أنه مجرد صراع على السلطة، بنيع من رغبة ل فريق في احتكار السلطة والتمرد في دون الآخرين، وهذا ما دفع بعضا قليل من المثقفين والمناضلين يتكهنون بمصير قائم يقف على طرفي نقض من المستقبل الزاهر الذي يبشر به الخطاب الرسمي وتحتاجا معه الجاهير غير المطلعة على الخبايا.

أذكر أن وزيرة خارجية فينتمان الجنوبية زارت الجزائر عام ١٩٦٦ ولم تكن بلدها قد استقلت بعد، إلا أن ساسة عمل في طرف حزب جبهة التحرير تحدثت بإسهاب من مشاكل

الحرب ومصاعب الكفاح ومشاريع المستقبل.. أعجب الحاضرون، رجلا وأتساء، بيلافتها وتصميمها وتفاؤها. أراد رئيس الوفد الجزائري إثر الجلسة أن يعرف رأي إحدى الحاضرات كات ضمن الوفد الجزائري.. فسألها: ما رأيك؟ أجابته زئب فرحات، فاسألوا كان موجها لها، دون أن تتعلم:

«خسارة أن «تعرض» هذه المرأة وميلاتها وأضالها للاسقلال وتصاحب الأمل وأغتيال الحلم. كانت الةجة التي نلقت بها حمالة أوجه كما قال: فهم منها البعض أنها مجرد تفة، وهم آخرون وهم اللة أنها قصت أن الاستقلال يكون في بعض الحالات امتحانا وولي وخيبة أمل نتيجة ممارسات تناقض قيم التحرر.

وأذكر أنني التقيت بعد ذلك ببعضه أشهر مع صديق كان تعمل سويا ضمن الفريق المشرف على صحيفة «المقاومة الجزائرية»، خلال عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧: أكد أخباره أن انقطعت عني، سألته، وقد عرفت أن زواجه تخلف عادة عن أسالته.. ما رأيك في الأوضاع الراهمة؟ أجاب: لست متفائلا.. «الركة مابله»، وهو مثل شعبي يضرب أن تركب الخيل دون دراية قبل مدعوا، وكيفية امتطالها، فهو يدعو للقسوط، ولم يتمكن من إكمال المشوار، لم حاول ترجمتها إلى الفرنسية قائلا: on est mal parti، «ستغير» عنوان كتاب صدر عام ١٩٦٢ بعنوان: «Le Par- l'Afrique».

للعام «روين موموند. صممتي آنذاك شأشأ.. والواقع أن كلا المؤقنين لم يكونا يعبران عن رأي شائع، لم منهما تعبير شألا لا يقاس عليه ولا يؤخذ به، الفكر السائد آنذاك كان لا يزال متأثرا بما تعودت على قيادات الجبهة أثناء دور التحرير من مراسلات لم تكن تسمح بظهور رأي مخالف، كانت الخلافات تنسج بالرساح والتصفية البيئية، منطق الحركة المسلحة كان يعتبر أن كل صوت نثار ورأي مخالف يصب في خاتمة العدو.

سأعد على سيادة هذا المنطق عدد من العمال يصعب حصرها لكن يمكن إجمالها فيما يلي:

أولا: لم يتمكن الفكر الوطني ولا منطق الحركة المسلحة بعد أن يقضي على العقيلة القوية والعصية الجبهة، خصوصا إذا كانت هذه ظلت قبل ذلك لتعزيز طلب الاستقلال، وتغذية الثورة، واستعملت من طرف الأعداء لإجهاض الثورة المسلحة.

وقد ظهر أثر هذا العمال في بعض التسميات التي أطلقت على هذه الكتلة أو تلك من التكتل المتصارعة على الحكم مثل «كتلة وجة» و«كتلة الأرباس» و«كتلة الأتالي» وفي نفس السياق ظهرت تصنيفات مثل

«السترياليس» (أي أعضاء اللجنة المركزية لحزب الانتمار وال«الماجيسيت» (الأتباع صمالي الحاح، وال«الملايسيت» (اتباع جمعية المصالح) الخ.. وتجدر الإشارة إلى أن هذه التصنيفات لم تظهر في إطار دراسة علمية تصور خريطة الجرائل السياسية وتضاريسها الفكرية، ولتكتها تصنيفات غالبا من أجل الطعن وترويتها وإخلاصها وبالتالي تهيمتها

وبإعادها عن مراكز القرار، مما إن تم تهتم بالتحاليل أو الخبايا.

ثانيا: إن الحركة الوطنية قدمن في بعض فصائلها وتياراتها كانت قد استعملت الهامش اللال

الذي كان موجودا، زاد الاستعمار، مما يسبح به القانون في مجال تكوين الجمعيات والأحزاب، لكنها لم تنفصل عن ذلك ما يمكن تسعيبه ب«قافة ديكتاتورية» فضلا عن أن تفكر في العمل على ترسيخ «دولة القانون» عندنا تأخذ شكل خصوصا أن القانون الاستعمار كان يعطل الاحتكام إلى القانون علما يكون لفاعلة الحركات الوطنية وليجا عليها بعدة مفاعلة الأمر بتطبيق إجراءات قانونية معينة ضطبت ضوابط لخدمة الوجود الاستعماري.

يضاف لذلك أن المنافسة بين فصائل الحركة الوطنية خلال العهد الاستعماري لم تكن تعتمد دأشأ على النقاش الفكري؛ كان كل منها ينطلق من منطق أنه هو وحده الذي يملك الحقيقة والصواب، وبناء على ذلك كانت تلك النقاشات الجأأ إلى «الفتل على خصومها.

ثالثا: حسم الموقف بالنسبة للمعركة المسلحة والتي كان من يتأون بها قتلية (كما هو الشان في كل حركة طليعية، والنتاج أو حقوقه، عز منطق امتلاك الحقيقة من طرفه، لم يهتموا بالبحث عن العوامل المعينة التي أدت إلى تقلل الجاهير لفترة القوية المسلحة ضد العالقة، فاعلم أن سبيل نجاح الفترة على إطلاق شعبي واسع، سامهم في تهيتة كل الحركات الوطنية على اختلاف أطروحاتها وقصائلها، كما ساعد على موقف الاستعمار نفسه الذي كان يرضى أي حوار خارج إطار «الجزائر الفرنسية»، بنسب القوة التي يرفض بها النقاش داخل إطار «الجزائر الفرنسية» إذا كان ذلك يؤدي إلى نتائج لصالحه وتسلط الألية الأوروبية وأحكامها كل شيء.

رابعا: استعمال العنف من طرف جبهة التحرير «الفتح» والمزبديين وتصعيف المخالفين في الرأي، عزز منطق «صوت لوز» صوت المعركة.

خامسا: الظروف الصعبة التي حلت بالفتح المسلح، وقوة البطش الاستعماري، والقوات الضخمة التي جذت تصفية جيش التحرير، تسببت في مزيد من الإقبال على الالتحاق بصقوف الثورة من طرف الطبقة المثقفين أي من مثسلي الشرائع الاجتماعية المرحومة، ونظرا لكثرة الأتالي استشهدوا من الإطارات العلمية والكواش المتوسطة فقد خلفهم مناضلون، أكثرهم أميون أو محدودي الثقافة وقيل منهم متقنون، على أن حاجة الثورة إلى ما يظهرون برسالها في الخارج، وخاصة في البلدان الأوروبية والأمريكية والأفريقية ولغتها إلى تكليف الطلبة والمثقفين بترك المهمة، وكان من نتائج ذلك صعود عدد من الأميين أو محدودي الثقافة إلى منوالع حساسة في الولايات الداخلية، تولد من هذه الظاهرة انتشار فكرة أن الثورة الأمي أو شبه الأمي هو الذي أنجح الجبهة التي سادت لتتحقق ذلك النجاح لو اعتمدت على المثقفين.

سأعد ذلك كله على تعطيل العمل الفكري وتعتيد اللطف، فقد أصبح تعديد الأمي على حساب المثقف شبه مسجلة لا يتنازع فيها الناس.

في هذا السياق ظهرت بعد الاستقلال فكرة غريبة خلصتها أن الفكر في كل ثورة يسبق العمل، والعمل والعلة أو الثورة العارفة قد سبق فيها الفعل والعمل وتقدم على الفكر.

خبرائح البؤس والحرمات

لقد أعطت مدينة الجزائر اسمها ليل كامل منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي، أي في زمن كان فيه البحر الأبيض المتوسط هو العصر الدنيا ورسرة العالم، أي قبل أن يحل العالم الجديد مكانة كانت غيّرت خريطة العالم وقلقت مركز الشغل القديم إلى نيويورك وواشنطن.

إن الخطر الذي يهدد الجميع في جزائر اليوم، وليس في الجزائر وحدها، الخطر الذي يهدد أجيال الأيادي القدامى، وأجيال اليوم لا يجدون أن يؤذي الوضع الراهن، لو استمر إلى تعصيب كل من الصراخ والجغرافيا، في حين أن العصر الراهن أي العصر الذي يعيش فيه بعض قليل فوق إحتكائيات البحر، وتعرض فيه الأغلبية الساحقة لوبوط بطي، يُلْقِنُ الحزنيين دروساً لإتقان صفت جديد من الجغرافيا تصورها خراط البؤس والفقر والحرمات من جهة والثروة والغنى والاشتمت من جهة أخرى.

إن قطعة الأرض التي نكف فوقها تتحدد وتغير بحكم الإتصاد، وبحكم الإجماع وبحكم التوزيع المحض للناس، من هنا صارت الهجرة، وحركة الطموحات وقريبة الحرمان والإخفاق.

إن الجغرافيا بهذا المفهوم تخضع للتاريخ التي يشارك في إنتاجها وتكيفها، كما تشارك في أيضا في صنع التاريخ وتوجيه أحداثها.

من هنا ضرورة أن يفكر الناس "الناس فوق"، في تعقيدات المواقع الجديدة التي أوجدوها أو تسبب في إيجادها غيرهم، ضرورة أن يسعوا إعادة صياغة جغرافيا جديدة، بما يعيد رسم خريطة تتراجع فيها مساحات العداة والريخاء والحق، إن أرادوا أن تتزلزل الأرض بين الأقدام، ولا تهوي السماء على الرؤس.

إن إكاثات الحداد مرتبطة بالتاريخ، كما يقول بعضهم فإن ما يعد الحدادة سريط بالفضاءات الجغرافية الجديدة، أي إعادة صياغة خراط العواطف والإحاسيس والمشاعر.

الهوامش

Ferdinand Braudel, (Les Ambitions (1) de l'histoire, T. (2) Paris: Fallois, 1997.

(T) التكوّن وجهات نظر، العدد رقم (١٤)، يناير ٢٠٠٠.

Ferdinand Braudel, (Outour de la (٣) Méditerranée, Paris: Fallois, 1996 - P 47).

Pelissier de Reynaud, (Autrement, (٤) N: 55, Mars 1999, p.13)

يتطلبه العصر والمستقبل، وأنتم خضتم ثورة عظيمة ضد ماضي وأجيال الأسبقين، من أجل أن تظلوا في ماضيكم كإستراتيجيين، ولتجاذبوا مجرتين، حتى تبرزوا بذلك إحتكاكم للثروة، بجهة أن الإستقلال لا تحقق بحدود أعينكم، إنكم إذ تستقتم من شرارة السلام الإجماعي بفضل إعمال البترول تصورت أنكم وضعت أسس دولة مستقرة، إن الأجيال التي سبقتكم كانت تحرك وتنفق، وتنفق زناد الحكام، وتجنبت، وأنتم تفكرتمون جملاً وتلقون أخيراً خالية من الروح وتنقلون مواظلاً لا يؤمن بها حتى من يصلون لها.

ولو أطلقنا العنان للإخلاق، لتعدت المآخذ من هنا وهناك، علماً بأن مثلي الجيل الجديد لا يتحدون لغة واحدة، لقد يوجد فيه من يبالي في الدعوة إلى التغريب والفرنسة، كما قد يوجد فيه من يلتزم في الدين ويحكم بتفكير من يخالفه في الرأي إن لم يستلهم دمه.



ومهما يكن من شيء فإن انشغال الجيل الجديد بمشاكل الحياة اليومية وتطرفة في هذا الاتجاه أو ذاك يفرض على مثلي الجيل القديم أن يسألوا أنفسهم: من المسؤول؟ أي فضاء للحرية إتخاذ لهم في الإبان حتى يشعروا بقلوة الأفكار المبتغاة عن النقاش الحر والجدل السليم وأهمية التسليم بحق الحاور في الاختلاف.

إن طموح الجيل الجديد لا يبعث عصبه أمر طبيعي.

لكن البعث مخاطبته بلهجة وغلبة، وسبق معلوم ولا وألعين أن يجبر على الالتفات دائماً إلى الخلف ليكشف أنه يتقدم، السرعة الشديدة التي يتقدم بها العصر تجعله يصور عن حق أنه يتراجع بسرعة حتى عندما يتبين أنه يتقدم ويسير إلى الأمام.

مسألة في ذلك مثل سيارة جديدة شديدة السرعة، تجتاز أخرى قديمة أقل سرعة، فإن إكاثات السيارة الجديدة المسرعة، عند ما تفلت على امرأة أمامه، تعكس له صورة السيارة القديمة التي تجاوزها وتبدو له هذه كأنها تجرى بسرعة إلى الخلف.

كما ينظر مثلو الجيل القديم ومن يحوم في رحابهم مع كونه على مسيرتهم واستئسجهم على شاكلتهم، كي يجرؤا قراءة نقدية في الماضي، ماضيه بعيداً عن التبرير الأزع والتعصّب للأعمر، لا ينظرون أن يستيقظ المارد الذي يبدو لنا مستحيماً، فيفاجئنا بما فاجأ مزارع ١٩٤٥، جيل المحققين بمرور قرن على ١٨٣٠.

لا يبيسون الذئب في الأفق التي تبدو قاصرة على السيطرة القبطاني في حين أنها تسكن إرغاضات تنبئ عن تملل كل الفئرات المزعومة في سائر أرجاء الوطن الخشبي الإطراف، متى يبين أصحاب الحل والعقد أن الرعد التي تنشق السماء تبرز أوزر وجياية تنبئ في الواقع عن عواصف تخشع في مناطق أخرى؟

الإقتصاد على معالجة الظواهر الطافية على السطح. يجب أن نعرف أن كل مرحلة من المراحل التي مرت بها مسيرة الحركة المسلحة أو شهدنا مسار التفتت بعد الإستقلال وجدت من مثقفين وأشباه مثقفين من يدافع عن تعطيل الديمقراطية، بعضهم يدع ذلك من حسن نية، بعضهم تدفعه الأنانية، ولعل من الذين عبروا عن رأي مخالف وكانت لديهم الشجاعة لكي يجاهروا بالمعارضة.

استمرار الجيل الحاكم عبر الاستثمار

إن انسداد أفق الحل وتروى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وسياسة إحتكار المواطن، لم تؤد لطف إلى انبعاث فكر غربي مختلف، بل حالت دون تحقيق الانسجام الاجتماعي الذي يتوقف على إستئناف مسيرة التقدم، لأن تعميل الديمقراطية يؤذي إلى تشرد المجتمع ويحكم عليه بالعمود والجمود.

لأنه يجب أن تكون أجيال اليوم نهياً للشك والإحباط، مما يدفع بعض مثقليها لأن يتساءلوا: ما جدوى التخصصات التي بذلتها أجيال القديم، ما فائدة الإستقلال إذا كانت النتيجة هي ما نعيشه اليوم من حرمان، كما من أبرز مظاهره سحق الطبقة الوسطى، ما فائدة ذلك كله إذا كانت خسايرنا متزايدة وعقولنا حيرى، وبوطننا فاسداً ولا نرى بصيص نور وسط هذا النفق المظلم الذي أضيق علينا من كل جهة؟

هكذا تبدو الهوة شحيحة بين مثلي الجيل الصاعدة وبين مثلي الأجيال الماضية وبقايا الحرس القديم، سواء كانوا كباراً في السن، أو شباباً مستخفاً.

أي حوار يمكن أن يقوم بين أولئك وهؤلاء؟

مثلو الجيل القديم يتهمون جيل اليوم بأنهم لا يعرفون تضحيات من سبقوهم، ولا تهتمهم إلا مشاكل التكوين والخزج والمال، يقول القديس لاجيد: نحن فقط وراء المادة، وتحتلون من الأخلاق، ولا ترتبطون بغير الأمة وولايات الوطن.

رأي عليهم أن يبعثوا الجراحات، أي مكاسب تحققت لنا من إنجازكم التي إلتصقوا بالعجزة والخبز والمال، يقول القديس لاجيد: نحن فقط وراء المادة، وتحتلون من الأخلاق، ولا ترتبطون بغير الأمة وولايات الوطن.

وقد يضيف بعض مثقفهم: إن الزوار الصينيين، كما قال مؤرخ وبقيل الملاحظة، قاموا بدرجة عدم الصدم من أجل أن يبدؤوا في العالم، تدرؤوا على الماضي من أجل أن يمتلكوا، ومن ثم يكون في مقدمتهم أن يواصلوا السير إلى الأمام، بعد أن كيفا نفسيتهم وقولهم بما

إن طرح هذه الفكرة لم يكن بريئاً، أي أن الذين رفعوها كانوا متأكدين أنها غير صحيحة، وإن الفكر كان أسبق من العمل في ثورة نوفمبر ١٩٥٤، لتعلم كانوا يبادون عن رأيهم لأنهم كانوا يملكون زمام الحكم أولاً، ولأنهم كانوا يسعون ثانياً إلى تغيير إلى القيادات الوطنية قبل نوفمبر ١٩٥٤، حتى يتكثروا إلى الوطني، ويتكثروا ما سبى به "الشريعة الشورية"، التي تبرز تعميل المؤسسات وتعطل الديمقراطية، وكل ما تستلزمه هذه وثلك من نقاش في العمق.

على ذكر إحتقار الثقافة، تجدر الإشارة إلى أن هذه الظاهرة اختلفت مع انتشار التعليم بعد الإستقلال، لتظهر من جديد وتدعم في ظل الإقتصاد المجهش أو تجارة الترابون التي تدر أرباحاً طائلة، ولا تتطلب مستوى عالياً من التعليم، لأن الشهادة الجامعية لم تعد تعيد صاحبها في ظل الأوضاع التي عرفتها الجزائر في التسعينيات.

تعطيل الديمقراطية وتشرد المجتمع وتجريد النمو

ذلك بعض ما يفسر الانصراف بعد الإستقلال عن تعمية كل الطاقات الضخامية والزعزعة عن إستمرار كل المشاريع الفكرية، في حين أن الأوضاع المروعة عن الإستمرار ومخلفات الحرب، والفرار الذي أحدثته هجرة الألبية الأوروبية يطلب الجوع إلى كل القوى الضخامية والإقتصاد على كل إنبات الفكرية.

إن الشعار الذي رلعتة الجماهير في مدينة الجزائر خلال صيف ١٩٦٢، عندما ظهرت نذر الصراع على الحكم، والإحتكام إلى القوة العسكرية، وهو شعاع "سبع سنين بركات، أي عكفت سنوات الحرب السبع، كان يتضمن الدعوة إلى الخروج من دائرة تحكيم القوة والعنف لحسم الخلافات.



وليس من محض الصدفة أن يصف أحد قادة الثورة ذلك الشعار بأنه "مضاد للثورة" لأنه يعني فيه انعكاف كل الخلافات.

والواقع أن "دولة" السياسية على العسكري، التي وضعه مؤتمر الصومال في ١٩٥٦، كان مبدأ سليماً يقطع النظر عن التنازلات التي أعطيت له آنذاك، إلا أن تعميل هذا المبدأ في ١٩٥٧ استمر بعد ذلك في صيغ مختلفة، بل لقد تسبب تعطيل في ضرب أوقفوا وأغسلوا العمل به لأن الذين تزعموا طلب تعميته عام ١٩٥٧ قد تفتتحت عام ١٩٦٢، وبعد ١٩٦٢ اعتقاداً على تعميل ذلك المبدأ.

إن الزرائع التي يلجأ إليها كل حكم في بلداننا في كل تعطيل المؤسسات الديمقراطية، تتشابه إن اختلفت صيغها. فلوأضحت الأزمة التي تلجرت عام ١٩٨٨، فلوأضحت الأزمة التي تلجرت عام ١٩٩٠، كما تفرقت - ومازالت - تعميته كل الطاقات الفكرية والإرادات الطبية والإحتجاهات المختلفة للخروج من الأزمة، عبر معالجة أسبابها المعقدة، وعدم الإذمة، ذلك الثالث والأربعون: أغسطس ٢٠٠٢

أمريكا وقمة الأرض

المتابعة الميدانية للتغير المناخي

يصدر الفريق الحكومي الدولي IPCC تقارير متابعة تستهدف تحسين مستوى الدراسات العلمية والتدقيق في حساب القياسات التي يتم على أساسها متابعة تطورات التغير المناخي، وقد صدر التقرير الثالث في يناير ٢٠٠١ بعنوان «Climate Change 2001»، حيث استغرق إعداد ٤ سنوات وشارك في كتابته ١٢٣ من كبار الخبراء بينهم ١٥١ خبيراً معاوناً وتمت الموافقة عليه بإجماع ١٥٠ مندوباً يمثلون ١٠٠ دولة. ويعتبر التقرير أشمل وثيقة صدرت حتى الآن حول قضية التغير المناخي، وقد تضمن التقرير أحدث ما توصلت إليه الدراسات الجارية من نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

(١) إن درجة تركز GHGs في الغلاف الجوي استمرت في الزيادة نتيجة للنشاط البشري، وبخاصة التوسع في استهلاك الوقود الحفري؛ إذ ارتفع تركيز ثاني أكسيد الكربون وهو أهم تلك الغازات من ٢٨ جزءاً بالمليون سنة ١٧٥٠ إلى نحو ٣٦٥ جزءاً بالمليون سنة ١٩٩٨ وهو ما يمثل زيادة مطلقة بنحو ٣٣٪ خلال الفترة ١٧٥٠-٢٠٠٠. كذلك زادت القياسات الحديثة على أن هذا التركز قد ارتفع بمعدل ١,٥ سنوياً في المتوسط خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٩.

(٢) إن قوة الإشعاع الحراري Radiative forcing الناتجة من زيادة GHGs خلال الفترة ١٧٥٠-٢٠٠٠ قدرت بنحو ٢,٤٣ Watt لكل متر مربع منها ١,٤ و ١,٠ لزيادة ثاني أكسيد الكربون وحده.

(٣) قدر أن من انطلق من ثاني أكسيد الكربون CO2 إلى الغلاف الجوي خلال عام ٢٠٠٠ م ستزيد لحوال طبعية بنحو ١,٥٨ ملين طن كربون مكافئ (طن كربون = CO2). وقد مرنا أطبق من ذلك الغاز نتيجة للنشاط البشري في العام المذكور بنحو ٦,٣ ملين طن كربون مكافئ (أي ١٢ ملين طن من CO2) بلغ نصيب الولايات المتحدة بنحو ١,٥٨ ملين طن كربون أو ما يعادل ٢٥٪ من إجمالي العالم. كذلك بلغ إجمالي مبيعات ثاني أكسيد الكربون نحو ٢١ ملين طن كربون مكافئ، أما ما تم انتصافه صناعياً بطبيعة الحال انشراح والنباتات في العام المذكور فلم يتجاوز نحو ٢١,٣ ملين طن كربون.

(٤) ارتفعت حرارة الغلاف الجوي خلال القرن العشرين بنحو ٠,٦ درجة مئوية (مع احتمال ٠,٢ درجة زيادة أو نقصاً).

(٥) ارتفعت حرارة الكتلومترات للشمسية السطحي من الغلاف الجوي بنحو ٠,٤ درجة مئوية خلال العقود الأربعة التي انقضت منذ أواخر عقد الخمسينيات حتى عام ٢٠٠٠.

(٦) وفقاً للبيانات والمخلفات المتغيرة عددا ٣٥ تقريراً استمر ارتفاع حرارة الغلاف الجوي بما يتراوح بين ٠,٨ و ١,٤ درجة مئوية خلال الفترة ١٩٩٠-٢١٠٠ تبعاً لاختلافات السجلات.

(٧) تشير تنبؤات السيناريوهات لـ ٣٥ إلى توقع ارتفاع مستوى مياه في البحار والمحيطات بما يتراوح بين ٠,٨ و ٨,٥ متر بحلول الفترة ٢١٠٠-٢١٥٠ تبعاً لاختلافات السيناريوهات.

(٨) كشفت القياسات المسبقة من الإقمار الصناعية عن احتمال قوع لتفكك طبقة التنج

المتحدة عام ١٩٨٨ وعهد إليه بمهمة تقويم المعلومات المخلفة بالتقرير المناخي من الزوايا العلمية والفنية والاقتصادية والاجتماعية. ومن تلك الإنجازات وضع الاتفاقية الإطارية للتغير المناخي Framework Convention of the Climate Change (FCCC) التي اعتمدتها الأمم المتحدة يوم ٥ مايو ١٩٩٢ وعرضت لتوقيع ممثلي الدول أثناء انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية (قمة الأرض Earth Summit) الذي انعقد في ريو دي جانيرو بالبرازيل يوم ٤ يونيو ١٩٩٢. وتهدف الاتفاقية الإطارية بصفة أساسية تحجيم مبيعات Emissions غازات البيت الزجاجي أو الاحتباس الحراري (Greenhouse gases) وأهمها غاز ثاني أكسيد الكربون Carbon Dioxide (CO2) مع العمل على استقرار تركيز تلك الغازات في الغلاف الجوي عند مستوى يحول دون وقوع الآثار الضارة بانتظام المناخي. فجاء ثاني أكسيد الكربون بطلان في الغلاف الجوي بمددات كبيرة كمتيجة لحوال طبعية. ولكن المبعث من تلك الغاز بفعل الطبيعة لم يتحلق التوازن في المدى الطويل. غير أن النشاط البشري يطلق أيضاً كميات متزايدة من ذلك الغاز مما يؤدي إلى زيادة تركيزه في الغلاف الجوي محدثاً ما يعرف بظاهرة البيت الزجاجي أو ما يشبهه في الصوتية للبيئة لبعض المنتجات الزراعية. وهو ما يؤدي بدوره إلى ارتفاع درجة حرارة الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية أو ما يعرف بظاهرة احتباس الحرارة الجوية Global warming.

ويرى أن الغلاف الجوي البديلة أن ذلك التطور من شأنه أن يهدد البقاء البشري في القطبين الشمالي والجنوبي عبر مستوى سطح المياه في البحار والمحيطات لكي يغرق الأراضي الواسعة في الفترة الأرضية. ومن هنا أجهت نصار حامية البيئة إلى الربط بين ما يبعث نتيجة للنشاط البشري من تلك الغازات وبين هذه الظواهر التي تهدد نوعية الحياة على كوكب الأرض. وقد تعهد الموقعون على الاتفاقية الإطارية FCCC وبلغ عددهم الآن نحو ١٧٨ دولة بوضع برامج لمواجهة التغير المناخي وتبني سياسات محلية في كل دولة لتحجيم GHGs عند مستوى عام ١٩٩٠. وذلك باستثناء الغازات التي تضمنتها بروتوكول مونتريال (١٩٨٧) الذي اخص بمعالجة المواد المؤثرة على طبيعة الأوزون.

مؤتمر الأمم المتحدة لحماية البيئة

وبمينا يشغل العالم بوضع نظام دولي جعالي للتنمية المستدامة، فمضماً أكد عناصره الأساسية البيئية والتكيفية والمجدولة من وقوع كارثة بيئية نتيجة للزيادة المفرطة في حرارة الغلاف الجوي. اختارت الولايات المتحدة انفراداً وحدها بوقوف مستقل. إذ رفض رئيسها بوش عقب توليه الرئاسة التصديق على بروتوكول كيوتو. وأعلن في منتصف فبراير ٢٠٠٢ برنامجه المستقل لمكافحة التغير المناخي مدعياً أنه يخص لهذا الغرض من التمويل أكثر مما تخصصه أية دولة أخرى، ومتناسياً أن أمريكا هي الدولة الأكثر تلوئساً في العالم إذ تبث في الغلاف الجوي ربع الغازات الملوثة.

وفي تقريره لعدم الانضمام إلى بروتوكول كيوتو، يقول بوش أن الالتزام بأهداف البروتوكول يحتمل الاقتصاد الأمريكي خسائر كبيرة ويقفها الملايين من فرص العمل، كما يؤكد أن النمو الاقتصادي يعتبر أول لقضية التغير المناخي وليس سبباً لها. إذ يوفر الأموال التي يمكن استثمارها في تنمية واستخدام التقنيات الصديقة للبيئة وتقديم حوافز ضريبية لتشجيع الشركات والأفراد على تبني تلك التقنيات ما سيؤدي إلى خفض الملوثات اختصاراً وليس بالإنزاع. كذلك يدعو بوش بتقديم معونات مالية وتقنية للبلدان النامية لتبنيها من استخدام تقنيات حميدة للبيئة. غير أنه يعترض على إعلاء الدول النامية في ظل بروتوكول كيوتو من الالتزام بأهداف محددة ومحددة الصلبن والمهند بتحمل نصيبها من تلك الالتزامات باعتبارها من كبريات الدول الملوثة. ويؤكد بوش أنه على الرغم من انسحابه من بروتوكول كيوتو إلا أنه لا يعارض انضمام دول أخرى إليه.

وقد تركز الاهتمام العالمي بالبيئة، بصفة أساسية، فيما تم إنجازه بإشراك الفريق الحكومي الدولي للتفكير المناخي Intergovernmental Panel on Climate Change (IPCC) الذي تأسس في إطار الأمم

بمعقد في جوهانسبرج بجنوب أفريقيا خلال الفترة من ٢٦ أغسطس حتى ٤ سبتمبر ٢٠٠٢ ما يندلق عليه قمة الأرض الثانية للتنمية المستدامة Sustainable Development (SD). انعقدت في ريو دي جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢ في إطار مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية UNCED والذي أقر أجندة القرن الواحد والعشرين Agenda 21. وتتكون التنمية المستدامة من ثلاثة أنشطة محورية، تتسم بالتكامل والمساندة المتبادلة، بمعنى أن كلا منها يغذي الآخر ويتغذى منه. وهذه الأنشطة هي التنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعية، وحماية البيئة. وفي إطار تلك الأنشطة يوجد العديد من الأهداف الإنشائية الكبرى مثل خفض حدة الفقر، وتغيير الأساليب غير المستدامة لإنتاج والاستهلاك (أي التي لا تتسم بالكفاءة والترشيد)، وحماية الموارد الطبيعية وحسن إدارتها. ذلك يرتبط بلك الأهداف الكبرى العديد من الأساليب الكفيلة بتحقيقها مثل رفع كفاءة استخدام الطاقة على المستوى المحلي في كل دولة وإيضاحاً على المستوى العالمي Good governance. وتوفير المناخ المشجع للاستثمار وخاصة بعد أن صار للعوالم الخارجية تأثير عميق على اقتصاد الدول النامية في ظل لعولمة التي تشمل لواءها منطقة التجارة العالمية والتكاملات جات.

وقد استند في إطار الأمم المتحدة لجنة التنمية المستدامة وعهد إليها - بين أمور أخرى - بالتخصيص لقمة جوهانسبرج، وكان آخر اجتماع لهذه اللجنة على المستوى الوزاري في بالي باندونيسيا خلال الفترة من ٢٩ مايو حتى ٦ يونيو ٢٠٠١ حيث جرى التفاوض على الوثيقة الشاملة التي ستخرج أمام قمة جوهانسبرج والتي يتوقع أن يشارك فيها عشرات الآلاف من كافة النظم والجناس، ومن بينهم رؤساء دول ومكومات، ومن بينهم الحفاظ على الموارد الطبيعية لتكوك الأرض ومواجهة التحديات التي يفرضها النمو المتسارع للسكان وبالتالي ازدياد حاجتهم للغذاء والمياه والملوى والطاقة والخدمات الصحية والأمن الاقتصادي.

ويتوقع أن يصدر عن قمة جوهانسبرج بيان قمة سياسي وبرامج عمل تستهدف المزيد من تفصيل أجندة القرن ٢١ ومواصلة وتعظيم التنفيذ الفعلي للخطط التي أقرتها القمة الأولى (١٩٩٢) وما تلاها مما أسفرت عنه الأمم المتحدة ومن أبرزها إعلان التنمية الألفية Millennium Development Declaration التي تستهدف خفض نسبة الفقر والحرمان ومن وسائل المعيشة الصحية على كوكب الأرض إلى النصف بحلول ٢٠١٥. وسوف تنقسم قرا الأمم المتحدة جوهانسبرج إلى نوعين: الأول (Type I) وينطوي تحته كل ما تم التفاوض عليه والقررة التي سوف يتوافق الآراء. والثاني (Type II) لتفصيل المبادرات التي ترى بعض الدول الالتزام بها اختصاراً وتنضم خططاً أكثر تفصيلاً لتحقيق أهداف أجندة القرن ٢١. وهذه في لحاظ أن في مقاضات وإلنا يتلقى أن تتلوه للو الرغبة بإعلان عنها.

الاقتصاد قبل البيئية!

حسين عبداللہ



كشفت البيانات المستقاة من الأقمار الصناعية عن احتمال قوى لتقلص طبقة الثلج المتساقط مطرا منذ أواخر عقد الستينيات، كما أن الفترة التي يستغرقها ذوبان الجليد الذي يغطي البحيرات والأنهار في النصف الشمالي من الكرة الأرضية قد قصرت بنحو أسبوعين خلال القرن العشرين



المتساقط مطرا Snow منذ أواخر عقد الستينيات. كما تشير القياسات السطحية إلى أن الفترة التي يستغرقها ذوبان الجليد الذي يغطي البحيرات والأنهار في النصف الشمالي من الكرة الأرضية قد قصرت بنحو أسبوعين خلال القرن العشرين.

(٩) ويخلص التقرير إلى أنه إذا نجح العالم في تقليص الناتج عن النشاط البشري من ميثان GHGs عند مستوى مناسب، فإن الزيادة التي يمكن أن تطرأ على حرارة الغلاف الجوي على مدى قرن كامل لن تتجاوز أجزاء عشرية قليلة من الدرجة المئوية. أما إذا ترك الأمر دون ضوابط فإن ما تقدم نذكره من أضرار سوف يصبح واقعا محققا.



بروتوكول كيوتو

عقد في كيوتو باليابان على مدى الفترة ١١-١ ديسمبر ١٩٩٧ بحضور ممثلي ١٦٠ دولة حدث تقرير-فيما تقر-وضع قيود ملزمة للدول المتقدمة Developed لتخفيض GHGs. واتنهي المؤتمر باعتماد بروتوكول كيوتو Kyoto Protocol الذي وضع أهدافا محددة كمسار لمبتعثات الكربون في الدول المتقدمة ودعى لاتخاذ التدابير الكفيلة بتحقيقها خلال فترة محددة.

وعقد مؤتمر الأعضاء الرابع COP4 في الأرجنتين نوفمبر ١٩٩٨ كما عقد الخامس في بون نوفمبر ١٩٩٩ وعقد السادس على دورتين الأولى في لاماي نوفمبر ٢٠٠٠ والثانية في بون يوليو ٢٠٠١ حيث تم بحضور ١٧٨ دولة الموقع على FCCC إصدار اتفاق Bonn Agreement متضمنا ما يعرف بكتاب الإجراءات التنفيذية لليروتوكول Operational rulebook. وقد شاركت في هذا المؤتمر رئيسة وكالة البيئة الأمريكية محبابة بالتشال الأمريكي الذي سبقها بإعلان بوش أنه ينسحب من بروتوكول كيوتو. ولم يسعها البيت الأبيض بالإجابة عن الأسئلة التي وجهت إليها مما زاد في حدة الجرح الأمريكي.

ويقضي اتفاق بون بإنشاء صندوقين يستخدم أحدهما لمعاونة الدول النامية على تبني سياسات لمكافحة التغير المناخي والحصول على تكنولوجيات نظيفة، كما تضمن الاتفاق السماح للدول المتقدمة باستخدام التشجير والتخضير Carbon sink الذي يمتص جانيا من المبتعثات الكربونية للوفاء بجاناب من التزاماتها. كذلك وضع اتفاق بون الإجراءات التنفيذية لما تضمنه البروتوكول من آليات مرتبة تساعد أعضاءه على الوفاء بالتزاماتهم وهي ما سوف نوضحها بعد قليل. ولكن اتفاق بون اشترط أن تمثل الجهود المحلية الجانب الأساسي في تحقيق أهداف البروتوكول وأن يكون استخدام الآليات المرتبة عنصرا مكمل. كذلك أنشا اتفاق بون لجنة لمراقبة مدى التزام الدول بتنفيذ أهداف البروتوكول وزودت اللجنة بالإمكانات اللازمة بما في ذلك إلزام الدولة التي تتفاسع في خفض طن من التزاماتها بالتعويض عنه بخصف ١,٣ طن خلال المرحلة الثانية التي تبدأ عام ٢٠١٣. وقد





عقد مؤتمر الأعضاء السابع في مدينة مراكش بالمغرب في ٢٠ نوفمبر ٢٠١١ حيث أصدر ما يصغر بمواثيق مراكش Accords التي استكملت بعض ما لم يستكمل في اتفاق بون. يتوقع أن يستمر استكمال الباقى أثناء انعقاد المؤتمر الثامن في لندن خلال نوفمبر ٢٠١٢.

ما الأرباح المربحة. وهي من أهم ما تضمنه برونوكول كويتو. فتمثل ما نصت عليه المادة ١٧ التي تجيز التبادل التجاري في المبيعات Emission trading بين دول الملحق الأول وإصدار تراخيص كربونية Carbon permits مشتركة في دولة أخرى من دول الملحق الأول من شأنها أن تضمن برونوكول نظام المشروعات المشتركة Joint projects implementation التي نصت عليه المادة ٦. ويسمح بوجوبه لدولة من دول الملحق الأول بالاستفادة مما يتم تحقيقه بصورة مشتركة في دولة أخرى من دول الملحق الأول من مشروعات تحقق خفضاً في المبيعات، أو امتصاص جانب منها كمشروعات التشجير والتخصير. ووفقاً لنظام المشروعات المشتركة بين كل من المستفيد، في مقابل ما تقدمه من دعم لدولة التي يتم أرضها المشروع، وباتفاق فيما بينهما. أن تحصل على رخصة موفقة لتفعلها من الالتزام بخفض مبالغ في مبيعاتها وتتيح لها فرصة الاستمرار في استهلاك الطاقة الحفورية بقر ما تعفى منه. وفي تلك الحالة لا تستفيد الدولة التي تحقق المشروع على أرضها بالخفض الذي استلزامه به الدولة التي حصلت على الترخيص.



وقد وقعت ٨٤ دولة على برونوكول كويتو خلال الفترة المتاحة للتوقيع والتي انتهت يوم ١٥ مارس ١٩٩٩. غير أن البرونوكول لن يصبح نافذاً إلا عندما يقوم بالتصديق عليه ٥٥ عضواً من بينهم أعضاء من ٥٥ دول الملحق الأول (الإراني) يبلغ حجم مبيعاتهم ٥٥٪ من إجمالي مبيعات أعضاء هذا الملحق عام ١٩٩٠. وحتى نهاية أكتوبر ٢٠١١ لم يصدق على البرونوكول من أعضاء الملحق الأول سوى روسيا، وذلك بالإضافة إلى ٢٠ دولة من غير أعضاء الملحق الأول. أي من لا يخضعون بتحقيق أهداف معينة. ومع أن أغلب دول الملحق الأول وبخاصة أوروبا واليابان ترحب بتنفيذ البرونوكول. إلا أن انتساب الولايات المتحدة إلى أغلبه يوشع عقب توليه الرئاسة جعل بالي الجماعات تتوقف في انتظار ما تفسره من الحوافز الممنوحة لتغيير موقف الرئيس الأمريكي الذي ما زال يصير إلى الانتساب. وما يذكره هي حال الجبال أن مبيعات الولايات المتحدة لا تتجاوز ٣٪ من مبيعات دول الملحق الأول عام ١٩٩٠. وذلك يعني نحو ٥٥٪ من ذلك المبيعات وهو ما يمكن أن يعطى نسبة الـ ٥٥٪ المطلوبة لجعل البرونوكول نافذاً.

وسواء صير البرونوكول نافذاً ما لم ينفذ، فإن أغلب المؤشرات تؤكد أن العالم لن يفلح متفوق الأولى إلى التغيير المناخي الحاصل

سواء صار البرونوكول نافذاً أم لم ينفذ، فإن أغلب المؤشرات تؤكد أن العالم لن يفلح متفوق الأولى إلى التغيير المناخي الحاصل والذي يزداد تأكيداً بما تسفر عنه نتائج الأبحاث العلمية الجارية



مدى تأثير أتماط الطاقة

يتوقع أن تتأثر أتماط استهلاك الطاقة خلال المستقبل المنظور تأثراً جوهرياً ما يتخذ على المستوى العالمي من تدابير لحماية البيئة. ذلك لأن حجم مبيعات الكربون المرتبطة باستهلاك الطاقة يعتمد أساساً على حجم النشاط الاقتصادي معبراً عنه بالانتاج المحلي الإجمالي GDP. كما يعتمد على طبيعة خلطة الطاقة المستخدمة، وتقاس العلاقة الأولى بحجم ما يستهلك من الطاقة وإنتاج وحدة من الناتج المحلي الإجمالي ويطلق على هذا المقياس «كثافة الطاقة». كما يستدل على طبيعة خلطة الطاقة المستخدمة، والذي يضم وقوداً حرارياً إلى جانب وقود غير حراري، بما يعرف بكثافة الكربون. ومن يؤدي ذلك الارتباط أن محاولة تثبيت حجم مبيعات GHGs أو خفضها على المستوى العالمي لابد أن يتحقق إلى انخفاض كثافة الطاقة إلى تحسين كفاءتها، أو خفض كثافة الكربون وإحلالاً وقود ذي محتوى كربوني منخفض محل وقود ذي محتوى كربوني مرتفع، أو بكيماويات.

ومن المعلوم أن كثافة الكربون، التي تقاس بمقدار ما يتخلف من الكربون عن إنتاج وحدة من الطاقة، تختلف تبعاً لاختلاف المكان والزمان. فمقياساً لعام ١٩٩٠ كانت كثافة الكربون في شمال أمريكا أعلى الاقل من المناطق الصناعية، أما خلال الفترة ١٩٩٠-١٩٩٩ فقد استطاعت أوروبا الغربية أن تقلص استهلاكها على الفحم من نحو ٨٩٤ مليون طن إلى ٦٦٠ مليون طن، وذلك بإغلاق مصانع الفحم البني في ألمانيا واليابان، فضلاً عن الماكعة المتحدة، كما حدث الطاقة النووية والغاز الطبيعي بدرجة كافية محل الفحم في فرنسا. ودفع ذلك من التطور أن أصبحت أوروبا الشمالية في الوقت الحاضر أغنى المناطق على كثافة الكربون بين المجموع الصناعية الغربية، ويتوقع أن يستمر الأمر في ذلك حتى عام ٢٠٢٠. ولعل مما يؤكد هذا التطور ما يتوقع من تقلص استهلاك الطاقة النووية في الولايات المتحدة وإحلال مصادر الوقود الحفري محلها في توليد الكهرباء. وبالمثل، إن تقلص بدرجة كبيرة كثافة الطاقة النووية المستخدمة في أوروبا الغربية سوف ينعكس استمراراً في خفض كثافة الكربون. أما المخططة الصناعية في جنوب شرق آسيا فتسهر تطوراً مماثلاً لنمطه أوروبا الغربية فيما يتعلق بانخفاض كثافة الكربون. فالإيابان بعد توسعها في استخدام

الغاز الطبيعي، مما يؤدي إلى خفض كثافة الكربون. إلا أن تلك الكثافة ستظل محدودة نتيجة ارتفاع كثافة الغاز الطبيعي الذي تستورده اليابان مسالاً. وبقيع الأمل في خفض كثافة الكربون باليابان معلقاً بصفة أساسية على التوسع في استخدام الطاقة النووية وهو ما يتوقع زيادته بالغل.

وبصفة عامة، يعتبر الغاز الطبيعي المافس الأولى بين ما سوف يجد من مصادر الطاقة المحلية النووية في مختلف المناطق الصناعية، وذلك لما يتمتع به من صفات بيئية حميدة إذ يعتبر أقل في محتواه الكربوني يليه البترول السائل ثم الفحم الذي يتحدى على نسبة أكبر من الكربون.

ومع أن الطاقة الكهرومائية، وما مثلتها كهرما السد العالي، تلعب دوراً مهماً في خفض كثافة الكربون في مختلف الدول إلا أن امكانياتها ستظل محدودة، لأن أغلب المواقع التي تصلح لاستغلال تلك الطاقة في الدول الصناعية قد تم استغلالها بالفعل. وعلى أية حال، فإن نصيبها من الاستهلاك العالمي للطاقة خلال المستقبل المنظور لا يتوقع أن يرتفع فوق نصيبها الحالي والذي لا يتجاوز ٨٪.



ولا يبيى من مصادر الطاقة المتجددة التي يمكن التوسع في استخدامها مستفيداً سوى طاقة الرياح والطاقة الشمسية، وطاقة الكتلة الحيوية. ومع أن استخدام تلك المصادر، لا يتخلف بين كبريون، بل يحق سوى نمو محدود خلال السنوات الأخيرة. إلا أن الالتزام بإيجاد برونوكول كويتو -ملى صار نافذاً- أو بآلية اقتصائيات بيئية أخرى، يمكن أن يساهم في اقتصائياتها وإن خفضها بدفع قوتها في المستقبل المنظور.

وتختلف التحديات التي تواجهها الدول الصناعية، في مجال مكافحة الأضرار البيئية الناتجة من استهلاك الطاقة، عن تلك التي تواجه الدول النامية. فالدول المتقدمة استطاعت أن تلحق ما قلته من نمو اقتصادي بفضل ما أنتج لها من مصادر رخيصة نسبياً من الوقود الحفري. وبالظفر لخصامة المستثمر في المعدات الراسمالية التي تستخدم ذلك الوقود، فإن ذلك الدول سوف تحتاج لوقت أطول حتى تتمكن من

إحلال مصادر للوقود ذات محتوى كربوني منخفض محل المصادر ذات المحتوى الكربوني المرتفع، وحتى تتمكن أيضاً من استبدال الأجهزة والمعدات اللازمة لذلك الإحلال. ومن هنا يمثل التحدي الذي تواجهه الدول الصناعية المتقدمة في استقطاب سياسات تستهدف حماية البيئة على المستوى العالمي، وتوفر لها في نفس الوقت، المرونة الزمنية التي تتطلبها تعديل نظم الطاقة فيها بما يحقق تلك الأهداف.

أما بالنسبة لدولة النامية، سوف يتطلب الأمر أن تواصل كفاحها لتحقيق أهدافها التنموية، وإن كان في مقدورها الاستفادة من التجارب التي مرت بها الدول الصناعية في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية. فالتفكير ما يوجد الآن في الدول الصناعية من بنية صناعية ومعدات راسمالية مستهلكة للطاقة لا يزال نظيره في طور البناء في الدول النامية. وفي ذلك ما يعتبر ميزة ينبغي أن تستغلها النامية لكي تحسن اختيارها منذ البداية ببناء تقنياتها من المعدات ومن مصادر الطاقة الأكثر مناسبة لتحقيق الأهداف البيئية والتنمية في آن واحد.

السياسة الأمريكية الجديدة

كما حدث في التجربة الأمريكية السابقة التي بدأت عام ١٩٩٢ بوضع خطة عمل CCAP تتضمن ٤٤ نشاطاً لخفض GHGs وباشمل وإيجاد المصانع زيادة كبيرة كما أوضحت، قدم بوش التعليم برنامجه الجديد في إطار مبرر نوجز فيما يلي أهم معالمة ونتيعة بما تراه من نقاط الضعف:

(١) من شأنه لعدم الانضمام إلى برونوكول كويتو، يقول بوش أن الالتزام بأهداف البرونوكول يحلل الاقتصاد الأمريكي خسائر تقدر بنحو ٤٠٠ مليار دولار وبلغها نحو ٩٠ مليون فرصة عمل وهو ما يعد مشكلة بالغة، وبدلاً من ذلك يؤكد بوش أنه سوف يطبق في موازنة العام الجديد ٢٠٠٢ رصد اعتمادات تصل إلى ٤٠٠ مليار دولار بزيادة ٧٠٠ مليون دولار عن العام السابق. ثم يتعهد بوش بالانضمام عاماً بعد آخر إلى أن يتحقق هدف الالتزامات التي حددت منهTE عشر سنوات، وسوف يخصص الجانب الأكبر من تلك الاعتمادات لتشجيع الاستثمار في تحسين وتطبيق التقنيات الصديقة للبيئة، وبذلك يستمر الاقتصاد الأمريكي في النمو. ويؤكد بوش أن النمو الاقتصادي يعطينا الحل الأمثل لحماية البيئة وليس سبباً من أسبابها. إذ يساعد على توفير الأموال اللازمة لاتفاق على الاستثمارات الممنوعة لتنمية التقنيات الصديقة للبيئة. بمعنى آخر، بدلاً من أن يكون الاختيار بين تحقيق أحد الهدفين على حساب الآخر، إما حماية البيئة أو نمو الاقتصاد، فإن البرنامج الأمريكي يستهدف تحقيق الهدفين معاً.

(٢) يستهدف البرنامج الأمريكي خفض كثافة المبيعات GHGs في الاقتصاد الأمريكي بنحو ٧٠٪ خلال السنوات المقبلة، وعلى خلاف برونوكول كويتو الذي يستهدف خفض المبيعات الأمريكية خلال الفترة ٢٠١٢/٧ تحت مساهمة ١٩٩٠، فإن المخططة البيئية الأمريكية يستهدف خفض كثافة المبيعات GHGs intensity الأمريكية نسبة ما يعلق في الخلاف الجوى من ذلك المبيعات كما

كتاب الزاوية



حرب النهر تاريخ الثورة المهدية

يعد هذا الكتاب هو الثاني الذي ألفه ونسنتو تشرشل رئيس الوزراء البريطاني الراحل. وقد كتبه وعشره خمسة وعشرون عاماً.

ولم نشأ القادري أن يشارك تشرشل في معركة أم درمان للقضاء على امبراطورية الدراويش والثورة المهدية، لكنه استطاع تسجيل تفاصيل الحرب ومعاركها العديدة. وبالرغم من اشتراكه في نهايات المعركة إلا أن وصف تشرشل للاستعدادات لهذه المعركة فاق وصف المعركة ذاتها حسب رأي المؤرخين.

الكتاب يقدم رؤية تشرشل لفترة صاحبة في حياة وادي النيل وهي نهايات القرن التاسع عشر وهو لا يخفى أطماع بريطانيا الاستعمارية في السيطرة على وادي النيل وأطماع الدول الأوروبية الأخرى وخاصة فرنسا في محاولة تقاسم الكعكة مع بريطانيا وهو ما ظهر جلياً في حادثة فاشودة الشهيرة التي جرت تسويتها عام ١٨٩٩.

ولد تشرشل عام ١٨٧٤ وتعلم في كلية ساند هيرست العسكرية وحارب في السودان وانتخب مثلاً لحزب المحافظين في البرلمان وتولى العديد من الوظائف الوزارية طيلة النصف الأول للقرن العشرين توجهها برئاسة الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية وتوفي عام ١٩٦٥.

وقد قام بترجمة الكتاب الأستاذ عز الدين محمود حفيد القائد السوداني الراحل الأمير أرباب الذي أشار إليه تشرشل في ثانيا الكتاب وصدر الكتاب ضمن سلسلة تاريخ المصريين التابعة للهيئة المصرية العامة للكتاب.

خفص ما تنقله تلك المبيعات كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي ولكنه يسمح بزيادتها زيادة مطلقة كما سونوخ في الفقرة التالية.

(٢) اختصار بوش لستيرايو الوضع العام بدون تطبيق برنامجهم "business-as-usual" معدلات مرتفعة لنمو مبيعات GHGs بزيادة عن التقديرات التي وضعتها وزارة الطاقة الأمريكية، وذلك بغية إثبات أن برنامجهم سوف يؤدي إلى تحقيق خفص في كثافة المبيعات يصل إلى ١/٨ في نهاية السنوات العشر. ومع ذلك فإن تلك المبيعات، وعلى أساس نفس الأرقام التي اختارها البرنامج، يتوقع أن تحقق زيادة مطلقة بعد الخفص المذكور تقدر بنحو ١٤٪ وهو ما يقرب من الزيادة التي تحققت خلال السنوات العشر الماضية (من ١٦٨ إلى ١٩٠٦ مليون طن كربون مكافئ بمعدل ١٣,٦٪).

(٣) اتهامات الانتقادات على البرنامج الأمريكي فور إعلانه، ففي فرنسا قبل أن الطابع الاختياري للبرنامج الأمريكي يدعو للقلق، وأنه بدون وجود روادع ملزمة يفترض المصداقية إذ يدعون أن يفسر المواطن الأمريكي من أسلوب حياته، ومن ناحية أخرى فإن البرنامج لا يبدو أن يكون وسيلة تجسمل لظاهرة window dressing لأن كان أن يغير صورة بوش أمام العالم باعتباره خامساً لصناعة البترول الأمريكية. وفي بروكسل أيدت المتحدثة باسم المفوضية الأوروبية أن النظام المتعدد الأطراف (آي كيوتو) يعتبر أفضل الوسائل لمواجهة التحدي الكبير، ولذلك فإن الاتحاد الأوروبي ما زال يامل أن يعود بوش إليه. وفي بريطانيا انتقد البرنامج على أنه غير كافٍ وإن التجربة البريطانية أثبتت أنه من المعنى التوفيق بين خفص المبيعات وبين الاحتفاظ بالقتصاد متصافاً في اليابان قال وزير البيئة الجديد إن الأضرار للولايات المتحدة العودة إلى كيوتو. أما في ألمانيا فقد امتدح البرنامج الأمريكي لاحتوائه أحكاماً ترمز بخفص مبيعات الرئيق وثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين وهي مبيعات ملوثة للهواء، ولأن البرنامج انتقد على أساس أن تنقية الهواء لا تعالج قضية التغير المناخي الذي يلعب الدور الرئيسي فيها مبيعات الكربون معياراً عنها بثاني أكسيد الكربون. ولذلك وصف بأنه برنامج غلب عليه تحقيق خفص.

(٤) كذلك صرر من داخل الولايات المتحدة العديد من أصوات الانتقاد، ومنها أن الكونجرس سوف يتردد في تغيير النظام القانوني القائم الذي يطلب بوش إحلال برنامجهم محله. ولذلك قبل أن الكونجرس لا يفتح أن يضمن بنظام قانوني قائم في مقابل وعود يقدمها الرئيس ومعاونوه.

وقد قام مؤرخا علماء من ست وكالات فيدرالية أمريكية بإعداد تقرير يعترف بأن النشاط الإنساني يتسبب بدرجة كبيرة في احتراق الغلاف الجوي وأن الولايات المتحدة ذاتها تواجه مخاطر كبيرة في هذا المجال. غير أن الرئيس بوش احتفى في مستهل يونيو ٢٠٠٢ بقوله "قرأت التقرير الذي وضعه البيروقاطيون" ثم دعا يؤكد رفضه التصديق على بروتوكول كيوتو. بذلك تظل الإبرارة الأمريكية متمسكة بالبرنامج البديل الذي أعلنه بوش في فبراير ٢٠٠٢ وسبق شرحه، كما يظل الموقف الأمريكي الرسمي على لغض عن مواقف الحلفاء الغربيين في أوروبا واليابان، بل ومناقض أيضاً لقرار الميثاق داخل الولايات المتحدة والذي ينادي باتخاذ إجراءات فعالة للحد من احتراق الغلاف الجوي. ■

دولار من الناتج المحلي الإجمالي GDP. ويعمى آخر فإن البرنامج الأمريكي يسمح بنمو الدخل والمبيعات معاً، ولكنه يعمل على أن يكون نمو المبيعات بمعدل أيضاً من معدل نمو الدخل بحيث تظل نسبة المبيعات إلى الدخل.

وبترجمة هذا الهدف إلىرقام فإن البرنامج يستهدف خفص ما تنقله الولايات المتحدة سنوياً في الغلاف الجوي من GHGs لكل مليون دولار GDP بنحو ١٨٣ طن متري كربون مكافئ إلى ١٥١ طن متري بحلول ٢٠١٢، كما يتوقع أن يبلغ الخفص الإجمالي للمرامم خلال السنوات العشر بنحو ٥٠٠ مليون طن كربون مكافئ.



ويؤكد أنصار البرنامج الأمريكي أن الخفص المستهدف يقدر بنحو ٢/٥ مما يمكن أن تصل إليه مبيعات GHGs حال الظل على ما هو عليه في الوقت الحاضر، وهو خفص يقبل القسرة بمشوش الخفص الذي يستلزمه بروتوكول كيوتو بالنسبة لجميع أعضائه.

(٣) بكاليفي البرنامج الأمريكي الشركات والفراد الذين يبدلون جهداً اختيارياً لخفص المبيعات، ولكي يكون هذا الجهد قابلاً للقياس فإن البرنامج يتضمن تحسباً على نظام القياس وأعداد التقارير Reporting المعمول به في ظل النظام القائم. ويمنل الاختيار لا الإلزام الفكرة الضرورية في البرنامج الأمريكي وأن تكون المشروعات المنفذة ببرها السوق والتكلفة market-based and cost-effective.

(٤) تتضمن الاعتبارات التي سيطلتها بوش ١,٧ مليار دولار للإنفاق على تنمية الأبحاث الأساسية في مجال التغير المناخي، كما تتضمن ١,٣ مليار دولار لتنمية وتطوير تقنيات الطاقة الصديقة للبيئة.

(٥) يستهدف البرنامج الأمريكي منح حوافز ضريبية لتشجيع مصادر الطاقة الصديقة للبيئة (وأهمها الطاقة الشمسية والرياح والكلفة الحيوية والتركبات العاملة بخلايا الطاقة وتوليد الكهرباء بنظام الدورة المركبة. إلخ). وسوف يطلب لهذا الغرض اعتماد ٧,١ مليار دولار على مدى السنوات العشر القادمة منها ٤,٦ مليار دولار للسنوات الخمس الأولى يخصص منها ثلث الأول (٢٠٠٣) مبلغ ٥٥٥ مليون دولار.

(٦) يتضمن البرنامج الأمريكي طلب اعتمادات متفرقة لتمويل برامج قائمة بالفعل في مجالات أخرى لاتخاذ قضية التغير المناخي مباشرة ولكنها تعكس عليها تأثيراً إيجابياً بطريقة غير مباشرة.

أهم الانتقادات الموجهة للبرنامج الأمريكي

أوضحنا فيما تقدم أهم معالم البرنامج الأمريكي الذي أعلنه بوش في منتصف فبراير ٢٠٠٢ لتتعايل مع قضية التغير المناخي. وفيما يلي نوجز أهم ما يؤخذ عليه من نقاط الضعف: (١) استخدم البرنامج معياراً لقياس المبيعات يختلف من المعيار الذي استخدمه بروتوكول كيوتو. فبينما يرمز البروتوكول للولايات المتحدة بخفص المبيعات خلال عشر سنوات خفصاً مطلقاً بنحو ٧٪ من مستواها عام ١٩٩٠، فإن المعيار الذي اختاره بوش يستهدف

الشبيوعيون المصريون

محمد سيد أحمد

١٩٢٢. حيث فرض المذنب السامى البريطانى على الملك فاروق تشكيل حكومة برئاسة النحاس باشا، ان «عدو قومى» وارتد بان يكون «صديقى». وخرجت الحكومة فى تاريخ بقديم رومل.

ان تعرض الجالية اليهودية لتهديد نال من صميم وجودها برز سعى بعض من طوعوا لحماية كيانها الى الترويج لايديولوجية كفيفة للبهوض بهذا الدور. وفى ١٩٢٢، سنة انتصار الاتحاد السوفيتى فى معركة «ساليجراد» المصرية، كان واردا ان تازحم الايديولوجية الشيوعية فى هذا الصدد عند الجاليات اليهودية، على الاقل فى تلك اللحظة من التاريخ تحديدا، كخبرين عن الايديولوجية الكافر دمة وقذاف على حقل هويتهم وتطبيق حاشطهم على ملا. غير ان اوجد فى مصر (وربما ايضا فى غير مصر) وضعا شادا، ذلك ان بروز حركة شيوعية مصر يقر صلاها بيهود، فالتكر منهم ليسوا مصريين (بل متصرفون، وحتى اجانب)، لم يكن يوسعها بالديانة، فخطا اكد الوطنى الصاعد على مصر، وان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، واستعمر الاستعمار الاملا.

وعندما استعمر اسرائيل فى ١٩٤٨، راحت السلطات تضع على سلة واحدة، الشيوعيين المصريين المتخمين الى منظمات شيوعية شملت قياداتها البارزة يهودا، واليهود المتخمين الى منظمات شيوعية مصرية. ان كوارى المصريين الذين جذبوا للحركة الشيوعية من خارج الدلو الوطنى الذى اعقب الحرب العالمية الثانية، قد وجدوا انفسهم معاملين من قبل الدولة معاملة الصابئة، واعتقلوا منهم. وقد حزمهم عند لتصرف بقة ضد اوضاع الصحت المحال لتاهتهم بوقوف غير وطنى متواطى مع الصهيونية، يعرف الظفر من بطلان الامانة، ذلك انه لم يكن هناك مجال للتشكيك (على الاقل فى ضوء تجربتى الشخصية فى هذا الصدد) فى صديق بنتقعات شيوعى، وناضوا الصهيونية.

قد فحرت حزب فلسطين عام ١٩٤٨ الحركة الشيوعية المصرية من الداخل. واسفرت الازمة عن طلب العديد من كوادرها المصريين بضروة «تصيير» الحزب، بمعنى احوال قيادات مصرية خالصة محل القيادات اليهودية. ومؤكد ان هذا الخلل لم يكن مقتصرا على التظاهرات التى وجهت الى الحركة بشأن تركيبها، وتولى يهود مناصب قيادية فيها، بعض الظفر عن صدق نيات هذه القيادات. فكانت مصر فى حالة حرب مع اسرائيل. وكانت اسرائيل قد عرفت نفسها بانها الدولة «للاذ لكل اليهود، اينما وجدوا. فكيف يمكن احوام خصوم الشيوعية، وقائع الجماهير باسماقمة النضال الوطنى (ناخك من النضال القومى) للقيادات المصريين ضد اسرائيل، بينما تاضم قياداتهم عناصر يهودية، حتى مع التسليم بحسن نيات هؤلاء ومعاذاتهم فعلا للصهيونية، وتحملهم فى كفاحهم تضحيات جسيمة؟

يدت الحركة الشيوعية وكائنا رزى منها ان تحل مشكلة تعالقت بوية للطلبة اليهودية فى مصر، بينما اسست اسرائيل للسبب ذاته، وتعتبر ابق، لحل مشكلة اليهود بوجه عام، وهذا نمط للتبعية اليهود المصريين، فى

المتسمة - من حيث المجتمع - باوجه التباس، بل ربما اتسمت الحركة الشيوعية المصرية فى الاسر بالسمة ذاتها، من ميراث اعماى هذا، الذى اوصى الحزب الثانى: لماذا نطقت الحركة الشيوعية فى مصر فى جل مراحل تاريخها منقسمة الى عدة منظمات (خلافلا للحال فى معظم الدول)، ولم تتحد منظماتها، فى صورة «حزب شيوعى مصرى» مندمج الكيان، سوى مرة واحدة، وادة ٤ اشهر فقط، عام ١٩٤٨، ثم انقسمت من جديد؛ كان التعثر فى وحدة التنظيم ومشا عن خلل فى الهوية ربما يقبل اكتر من تفسير. وفى هذا الصدد تفسيرى الخاص برطحة فى مناسبات شتى خلال العقد الاخير، ولكن لم تحصر الاطراف التى يعينها ارا على مناقشتى بشكل جدى فى هذا الحماض.

والواقع ان المجتمع المصرى كان يعج قبل قيام ثورة يوليو بحركات سرية او شبه سرية متعددة، ذات سمات متشعبة تماما. وكما كانت حركات داخل الجيش قبل استيلاء الضباط احرار على السلطة (منها حركات مناصرة لانابيا، من منطلق ان «عدو عدوى صديقى»)، كانت هناك ايضا حركات داخل الجالية اليهودية فى مصر قبل قيام دولة اسرائيل. وجزا لنا القول بان هذه الجالية، بغير ما استرسلت، لم تتجه لايديولوجيا فقط الى الصهيونية، ولما ايضا الى الشيوعية.

لم يكن بغريب ان ابدا يهود كسبيرون، فيونى فى مصر، تعاطفا مع الحركة الصهيونية، وقذاف، ولم تكن للصهيونية، كعقيدة، جرمة. غير ان الجواب لانابيا ان معظم مؤسسى المنظمات الشيوعية فى مصر صدوا، فاشيوية، بعضهم عادى بحزم الصهيونية، وبعضهم فاهمة بحاجة الى تفسير.

قد افحصت الحركة الشيوعية فى مصر طوال الثلاثينيات من القرن العشرين على افراد معدودين، ولم يتحقق لها وجود فى صورة حركة اطلقها مظنون (ارزهم يهود) لافى بداية الاربعينيات، وبالات عام ١٩٤٢، وقت وصول رول الى العلمين، وتهديد اليهود فى مصر، يهود ايضا فى فلسطين، مصير اترهم فى اوربا، لو كان قد قهر لكرول ان يتصرف فى معركة اعلانها على اليهود بالديانة مناصرين للعلماء، فبذلك هتمل، غير ان الحركة الوطنية المصرية كانت ترى، وخاصة بعد حادث ٢ فبراير

بانابونج، وبالات غلب العلاقة التى تولقت بينه وبين شواين اى هناك، وتخل هذا الاخير لى السوفيت - وقذاف - لطلب عد مصر بالسلح بعد ان رفضت امريكا طلبات القيادة المصرية الجديدة فى هذا الصدد. لقد نسب الى تشرشل تدخله لدى الرئيس الامريكى اينزهاور لحد على عدم تسليم الجيش المصرى لى يهودى ان هذه الأسلحة سوف يستخدما «ناصر» ضد الجنود البريطانيين المراطين بالقناة. والذين عدوا تحت امرة اينزهاور اباى الحرب العالمية الثانية. فكانت صفقة الأسلحة «التشيعية» (حقيقيتها اسلحة سوفيتية)، لم تسلمت خطوط بعد ذلك اخرجت مصر بشكل زاد وضوحا على مالوف سياساتها قبل المتطاول ان اعترافا بالصلين السوفيتية، ورفض حلف بغداد، لم انتقل خروج آخر جردى بريطانى من منظة القناة بقمقضى «ثقافية الجلاء» عام ١٩٤٦ لاصدار قرار بتاميز سرية القناة، ردا على رفض الملك الدولى بولس مشرور على ارا على استجابة لطلب امريكا.

لقد اخذ موقف الشيوعيين من الثورة يتحول بالتدريج من المعارضة الى التأييد. بل بلغ التأييد حد توجب الحركة الشيوعية التى ظلت حتى الدو وقت منقسمة الى منظمات متعددة، ان كان من السهل ان تجبه هذه المنظمات الى الخطابة باقعة جبهة وعيد الاركان مع عبد الناصر. الزعيم الوطنى - البرجوازى -، بينما ظلت هى عاجزة عن تحقيق الوحدة فيما بينها؛ ولم يبلغ التأييد لعبد الناصر الثورة يوم اسبق تادمق القادة. كان مصدق فى ايران قد سبق وحاول تادمق شرعية الانقلاب اليربانية، وكفى فشل فى النهاية. ذلك بينما نجح عبد الناصر فى تادمق قناة السويس، بل وفى الصمود فى وجه العدوان الثلاثى. كان ذلك انتصارا غير مسوق فى وجه الامبريالية العالمية. وعندما اطلقت بريطانيا وفرنسا واسرائيل عدوانها الثلاثى ضد مصر، نهض الشيوعيون بدور مشهود لهم فى حركة المقاومة الشعبية فى يوسعيد.

لم تكن حركة الجيش وقت ظهورها على ساحة السياسة المصرية الحركة الوحيدة

كانت حركة الضباط احرار فى بداياتها موضع عطف الويات المتحدة. ورمز ظهور السفير الفرنبى «جيفرسون كافى» بجانب الملك فاروق ويصطلمصه الى بخت (الحرس)، لضمان عدم المساس به وهو يغادر لآخر مرة الاسكندرية، الى حقيقة ان واشنطن لم تكن ضد الحركة وقد قياها، بل تعاطفت معها بائى الامر. وربما تقرر عبد الناصر الى الوليات المتحدة الامريكية بضعتها المتواج الجديربان يحدتى. ولكن ظلمته هذا لم يتحقق ايدا، وربما كان السبب الرئيسى فى الفشل هو مناصرة الابرارة الامريكية بشدة لاسرائيل فى مختلف العهود.

وبدا موقف الشيوعيين يتغير من حركة الجيش مع مشاركة عبد الناصر فى فترة

ليس هذا تاريخا، ولا هو سرد لاحداث يتابعها الزمنى، وانما هو وجهة نظر، تحتل الصواب والخطا، من منظور مشارك فى الاحداث كان له موقعه وتألفوه، فى موضوع خالنى لا يمت الى الماضى فقط.

كسبيرون - بذات فى الغرب - اتهموا عبد الناصر بانه انتج سياسة حيال الشيوعية والاتحاد السوفيتى افقت بالتدريج استقلاليتهم ومصداقيتهم، وحتى لو سلمنا بان هناك قوى نحاظت به ونشاهضت فى هذا «الانقلاب»، فما من جرى من عمليات «تصحيحية» بعد رحيله لم يجرى امرا من المقرر حدوثه حتما. كان من الممكن ان يفشل الثور السادات فى اراحة ما عرف ب «مراكز القوى»، الى اى ان كانت ستجبه مصر لو كانت هذا، المراقذ، قد انتصرت على السادات فى مايو ١٩٧١

غير ان تجربة عبد الناصر مع اليسار الشيوعى فى مصر تدحض هذا الافتراض خدضا كاملا.

كان عبد الناصر ضد الشيوعية. وكان الوضع مقلبا عندما استولى عبد الناصر على السلطة فى يوليو ١٩٥٢. كان الشيوعيون منقسمين الى عدة منظمات، وانعكس الانقسام على حكمهم على عبد الناصر، كان منهم من اتهموا حركة الجيش بالفاشية، وقارنوا بها بالانقلابات العسكرية التى تكررت كثيرا فى امريكا اللاتينية، وكان منهم من تصوروا حركة الجيش منذل يوم، من منظور اناس كانوا على صلة مباشرة ببعض الضباط احرار. وكان عبد الناصر شغفيا قبل الثورة، ولو من باب الاستطلاع، صلة بتعاطفات سرية عديدة ذات توجهات ايديولوجية مختلفة، فتنظيم شيوعى، «الحركة الديموقراطية للنحر الوطنى» (حذود)، وكان له فيه اس حركى هو «موسيس». ولكن تصدى حركة الجيش فى نهاية عام ١٩٥٢ لاضراب عمالى فى كفر الدوار، وتطبيق حكم الزعاد فى عاملين شاركوا فى الاضراب هما «الخسيسى» و«البقرى»، حدث وقد الشيوعيين على ترجيح كل التفسيرات السلبية لحركة الضباط، واجتمعت كلمة المنظمات الشيوعية على تشخيصها بالفاشية، فاشغل الشيوعيون بالجملة، على اختلاف تقويمهم للسلطة الجديدة.

كانت حركة الضباط احرار فى بداياتها موضع عطف الويات المتحدة. ورمز ظهور السفير الفرنبى «جيفرسون كافى» بجانب الملك فاروق ويصطلمصه الى بخت (الحرس)، لضمان عدم المساس به وهو يغادر لآخر مرة الاسكندرية، الى حقيقة ان واشنطن لم تكن ضد الحركة وقد قياها، بل تعاطفت معها بائى الامر. وربما تقرر عبد الناصر الى الوليات المتحدة الامريكية بضعتها المتواج الجديربان يحدتى. ولكن ظلمته هذا لم يتحقق ايدا، وربما كان السبب الرئيسى فى الفشل هو مناصرة الابرارة الامريكية بشدة لاسرائيل فى مختلف العهود.

وبدا موقف الشيوعيين يتغير من حركة الجيش مع مشاركة عبد الناصر فى فترة

ثورة يوليوس

لقد كانت فيه إسرائيل في حالة حرب مع مصر، ومع الحركة الوطنية المصرية، بل إن محاربة الجيش المصري لإسرائيل قد نمت وعيه القومي، فضلاً عن وعيه الوطني. أي الوعي بأن التصدي لإسرائيل، إنما يمثل «قضية وجود»، وليس فقط «قضية حدود». فكيف الجمع بين محاربة إسرائيل بصفتها قضية وجود وقضية هوية، ثم التواجد معاً في حركة يتبنّاها يهود في مصر بوصفها تخدمهم هم أيضاً في وجودهم وهويتهم؟ وكان ذلك سر انفراج «حدود» بمجرد اندلاع حرب فلسطين الأولى، بغض النظر عن المنعرجات التي اتخذتها الأزمة، وتقليص ما وقع من صراعات بين الشيوعيين أنفسهم.



لم يعترف عبد الناصر أبداً بالحركة الشيوعية المصرية حركة مثقلة تحظى بوجود مستقل، تنظيمي وسياسي، ولما بلغت الأزمة بينه وبين الشيوعيين الصعوبة في أعقاب قيام حركة قومية في العراق تحالفت مع الحزب الشيوعي العراقي في أعقاب ثورة تموز عام ١٩٥٨، قبض عبد الناصر على الشيوعيين والعصرانيين بالجملة، وعمِلوا في السجون والمعتقلات معاملة بالغة القسوة، واتهموا بـ «العالة»، وكان المقصود العالة السوفييت. ولم يفرح على أي نحو الانسحاب إلى صاحب الحركة الشيوعية المصرية نتيجة وجود عناصر يهودية في قيادتها.

والحقيقة أنه لم تكن توجد دواعٍ قط لاتهم الحركة الشيوعية المصرية بالعمالة، بل تكن الحركة الشيوعية المصرية مملوءة أبداً طوال سنوات وجودها من الاتحاد السوفيتي، أو من أي مصدر خارجي غير. استطاع أن أشهد بذلك، استناداً إلى ظروف خاصة أحاطتني بها جبوتيا للتصوير. وأقول: بل يكن ذلك موقفاً مبدئياً، ولكن حدث بسبب عجز الحركة الشيوعية المصرية عن تحقيق وحدتها، ورفض الحركة الشيوعية المصرية تأييد فريق على حساب فريق آخر.

وكما انقسم التمسيسون من الطائفة اليهودية في مصر إلى صهيونية وشتويين، انقسمت البرجوازية الوطنية المصرية إلى تيارات متباينة ومعارضة، إلى قوى برزت في المجتمع المدني، وقوى برزت في صفوف القوات المسلحة، بل وأضيف: إلى قوى شديدة التباين في المجتمع المدني (تبار وتلفي ليراي مثله الوفد أساساً: تيار يميني إسلامي مثله الإخوان المسلمون أساساً؛ لم حركة استشرشت بملابيحها الماركسية وأنشأت الحركة الشيوعية المصرية، إلخ). ولا شك في أن التيارات التي تمت الساحتها المدنية كانت لها إتمادات وتأثيرات في صفوف القوات المسلحة. وإن ركزنا على الحركة الشيوعية باللات، فكانت هناك حركة صهيونية وحركة شيعية داخل الطائفة اليهودية في مصر؛ وكانت هناك حركة وطنية وحركة شيوعية على نطاق أوسع داخل إطار المجتمع المصري ككل. وفي هذه الظروف، أعلن في مايو ١٩٤٨ تأسيس دولة إسرائيل، وأندلعت حرب فلسطين الأولى. كيف أثر هذا الحدث الفاجي في أوضاع مصر الداخلية، في ضوء ما سبق سرده؟ لقد

أعقل العديد من اليهود الصهيونية. وكان تأسيس إسرائيل هجرتهم بالجملة إلى خارج مصر. يستقروا في إسرائيل، أو في أقطار أخرى. أما الذين اعتنقوا منهم الشيوعية، وكان منهم من تبنا صراحة مواقف معادية للصهيونية، فربما أمنا بأن ما جرى لم يكن يعينهم ولا ييسر هويتهم وصفهم الفكري والسلوكي في شيء. ذلك أن الشيوعي اسمي، ولا يرى نفسه من حيث المبدأ مثلاً بوضعه الديني، أو القومي، أو العرقي، أو الجنسي، أو العنصري (كان شحاتة هارون الذي توفي قبل شهرين نموذجاً لهذا اليهودي). وإن كان لا يملك إغفال البيئة المحيطة وتأثيراتها على كيانه إغفال تاماً. غير أن السلطات لم تكن تميز بين اليهود الشيوعيين واليهود الصهيونيين، بل اعتقلت شيعيين من غير اليهود. هم مصريون اجتذبهم الحركة الشيوعية مع انتشار الحركة الوطنية في أعقاب الحرب العالمية الثانية (عام ١٩٤٦ بالذات). وأيضاً بفضل التصورات الاتحاد السوفييتي الحاسمة في الحرب، وهو الدولة العظمى، الجديدة في الساحة الدولية وقتذاك، المعادية للإمبريالية العالمية (وبالتالي للمحتل البريطاني). والقي لم يعد من الممكن عزلها عن الحركة السياسية في مصر.

ولكن إذا صرح أن الشيوعيين اليهود في مصر لم يتأثروا بنشأة إسرائيل (وهذا الافتراض لا يحتاج إلى تدقيق)، فإن المصريين الذين جذبهم هؤلاء اليهود للحركة الشيوعية لا بد أن يكونوا قد تأثروا، إذ إنهم لو: هل من سبب يبرر اعتقادنا غير أن منظمتنا الشيوعية قد ضمت كوادر يهودا

نهضوا فيها بأبواب بارزة؟ صحيح أن الصورة وقصائد أن تكن ضلوع من ليس، فبالاحتماد السوفييتي قد اعترف بإسرائيل بمجرد تأسيسها، تماماً كما فعلت الولايات المتحدة، وإن كان منظور أسمى. على أن فرص إسرائيل في أن تصبح بؤرة للقوى التقدمية في المنطقة فأت فرص أي من الدول العربية، لأن هذه الدول كانت في أغلبها وقتذاك ما زالت أسيرة التخلف والإقطاع والاستعمار. ولم يكن العالم قد شهد بعد تجارب قادما ضباط جيش وتحولت إلى حركات «ماركسية لينينية».

على أي الأحوال، طرحت معضلة لم يعد من الممكن إغفالها، حول مدى «أهلية» أن يكون يهود الحركة الشيوعية المصرية، خاصة إذا صرح أن هؤلاء اليهود قد جذبهم إلى الشيوعية قضية تغلقت بويتهم كيهود قبل أن يكون مجتمع اندماجهم هو صراع الطبقة العاملة المصرية والاتصاف إلى هذا الصراع عاملاً عضوياً. ولا شك أن تأسيس إسرائيل زاد من تعقيد المشكلة، ذلك أن إسرائيل قد استست على عذقول أنصارها، من أجل حل المشكلة اليهودية، فكيف الإتيان إلى استقامة هؤلاء اليهود وهم مطالبون بخوض النضال ضد دولة تفرق نفسها بأنها ملا اليهود الأخرى؟

لم تخرج الحركة الشيوعية على هذا النحو وقتذاك، لم يكن مبركاً أن هناك «مسألة يهودية» داخل الحركة الشيوعية المصرية ذات أثر بالغ في تقرير ملامح هذه الحركة. لقد أوجعنا حركة الجيش احتكاكها مع الشيوعيين، وعدم

مسايرتهم للحركة الشيوعية (حسب تصور الضباط الأحرار لها) إلى مسألة «عمالة، تجار السوفييت، ولم ترجع التوتر بين الجانبين إلى «مشكلة يهودية»، مشكلة لم يكن مصمراها مشكلة «عمالة»، قط، بل تكن أيضاً «مشكلة صهيونية»، بل مشكلة هوية عارمة، تالفة. مشكلة انتساب إلى عقيدة «هي الشيوعية» دون توافر القويما التي تجعل هذا الانتساب سلسا، «طبيعيا»، خاصة مع اختفاء ظروف عام ١٩٤٦ (ظروف وجود رول على أبواب الإسكندرية) التي برزت أصلا التوجه إلى الشيوعية.

لم يكن مصدر قوة الحركة الشيوعية هو اندماجها العضوي مع نضال الطبقة العاملة، وعلى نطاق أوسع مع النضال الوطني مختلف اللغات الشعبية. أي مع الحركة الجماهيرية في الشارع، المتجاوزة قسرة السلطات على استئصالها واستئصالها، وإنما تمثل الوجود الشيوعي في المجتمع في صورة «أفكار»، جمعيات أدبيات الماركسية، كتابات ماركس وإنجلز ولينين وستالين، وقد أسهمت الحركة في الترويج لهذه الأفكار حتى أصبحت بالتدريج سائقة وشائعة في الفكر السياسي الجاري، التعاطي مع في الشارع السياسي المصري.

والحقيقة أياً من القدرات اليهودية قد تعاضلت مع الماركسية وكأما هي «حزمة أفكار» مسجلة في كتب، استوردتها من خارج المجتمع لتطعيم المجتمع بها، وليست «حزمة فكرية» مبنية من الصراعات التي طرأها حياة المجتمع بشكل طبيعي، فيستعان بالماركسية، بصفتها «الغاية الشيوعية»، لإسباك المجتمع صلاخ وحزب محددة. وهذا قد ترتب عليه أن حركة الضباط الأحرار الأكثر تغلغلا في واقع المجتمع المصري، وذات العلاقات الوثيقة بالواقع الأقل لغالية في تقرير أمور السياسة، فضلاً عن القوة المستمدة من صفة الجيش ككيان منظم، قد أثبتت أنها أكثر كفاءة وإهلية للنهوض بالخطوة الحاسمة في أية عملية ثورية، هي الاستيلاء على السلطة، والاستعانة بالولة لإنجاز عمليات تغيير.

لقد تميز الانفراج الذي أصاب «حدود» عام ١٩٤٨ بإفساح الحركة شيكها التنظيمي، وباختفاء الفواصل التنظيمية التي يقضي الأمان احرماها في أية حركة سرية، ويتحولها إلى تكتلات تدبر حلقا نقاش عام، يلتقي الكل فيها مع الكل. رغم أن الدولة كانت قد فرضت الأحكام العرفية، وكان الكادر الشيوعي ملاحاً من قبل أجهزة الدولة، والمعتقلات مفتوحة، ونسقيال الشيوعيين بين الجملة.

لم يكن أن «حدود» خلال أزمتها عام اندلاع حرب فلسطين الأولى شتاءً خارجي ملموس، بل كان الجهد كله منصفاً على داخل الحركة، وعلى مناقشات مديرة دارت حول «الخطوط السياسية»، التي كانت موضع صراع التكتلات المختلفة. مناقشات دارت حول مدى تطابق هذه «الخطوط» - أو تعارضها - مع التعاليم المعترف بها المسجلة في أدبيات الماركسية، أو في ممارسات الأحزاب الشيوعية المعتمدة. وليس هنا مجال تناول ما



جرى خلال تلك الأزمنة تفصيلاً. وربما لم تجر مناقشة صريحة وقتذاك وقد أدى مدى ملائمة أن تقوم عناصر يهودية الحركة. غير أن منظمة واحدة على الأقل هي «الحزب الشيوعي المصري» (الذي اشتهر باسم «حزب الرابطة») قد نادت منذ تأسيسها عام ١٩٤٩ باستبعاد اليهود تماماً من صفوفها. والحقيقة أن كوشنا قد استباحت نفسها أن تقدم على مثل هذه الخطوة التي عرضتها للإتهام بتبني موقف عنصري، إنما هو تعبير عن مدى جدية المشكلة، واحتلالها موقعاً مركزياً في الصراع الذي دار وقتذاك، رغم تحاشي النصدى لها على المكشوف.

إن حرب فلسطين الأولى قد هزت النظام الملكي في مصر هزة عنيفة. وأصبحت تعج الساحة السياسية المصرية. كما سبق وأشارنا بقوى سياسية مختلفة. تعمل داخل إطار المجتمع المدني وفي القوات المسلحة على حد سواء. لقد شهد عام ١٩٥٠ عودة قوى اليمين الحكيم. وتضاعف الدور الوطني حتى بلغت عام ١٩٥١ حد الإساءة بمصادرة ١٩٣٦ م بريطانيا، وإندلاع معركة رجال الشرطة المصريين مع جيش الاحتلال البريطاني في الإسماعيلية يوم ١٥ يناير ١٩٥٢. وقد اشتعلت هذه المعركة مناهات عارمة. انضمت إلى حريق القاهرة. فإلى الحكومة الوطنية وإعلان الاتحاد العرفية. لقد كانت الظروف ناضجة لتجاوز النظام إلى نظام غير، حتى في نظر بعض عوامس العرب. التي تأسسوا شوك أن الإجماع عن التفكير في نظام بديل قد يترك المجال لسياسات لتعود يستمره الشيوعيون لغير صالح العالم العربي.

غير أن الحركة الشيوعية لم تكن جازفة لاصطافه ذلك الوطني الباعع حد العليان. كان الحركة ما زالت تعاني من الانقسامات المختلفة (من أزمه ١٩٤٨ - ١٩٤٩). فاستولى الضباط الأحرار على السلطة.



من أبرز سمات حركة الضباط الأحرار أنها حركة كانت محارية للاستعمار. وإيضاً شيوعية. عود الاستعمار الأير. صميج أن هؤلاء الضباط قد انصافوا نظاماً راح يبتعد تدريجياً. خلال معارجاتها. على أن الاستعمار الغربي. ولكن هذا لم يكن يعني الانقراض من الشيوعية. بل ربما بدأ الخطر الشيوعي خطراً زائفاً تماماً كما زادت «ثورة يوليوس» (باعتباراً من الاستعمار وبدت بوضوح خارج المعسكر الغربي). ولقد فلت ذلك الخطر فيها. وهذا يدع وكنما هي بين خطرين شاهتا أن يتفاحا معاً. خطر مؤامرات الاستعمار. ومحاواته للإطاحة بها. كما كانت في الوقت ذاته تشعر بأن المعسكر الشيوعي العالمي مريض بها أيضاً. ويراه محكوماً عليها بالانحلال منه. ومعرضة بالتالي ما لم يبدله من جهود لاتحواها. وفي حالة تمترل ذلك. السعي إلى الإطاحة بها هو الأكثر ومن هنا. ظهور الشيوعيين المحليين. وخطراً يشكلون خطراً. نتيجة أن حركة الثورة. قد تجد نفسها. شامت ما أيت - أسيرة الشيوعيين من الخارج والتدخل معاً. ومن هنا. الحاجة لإتخاذ وسيلة تفلح في تفعيل الحركة الشيوعية المحلية. وبالتالي مع صعوبة الحد من مفعول الحركة الشيوعية العالمية. ذات الوجود (والإشباع) المستقل عما يجري في ساحات مصر الحالية.

وقد تداعى من هذا المنطق التفكير. أولاً.

صعوبة توفير شرط الديموقراطية. فإن النظام بين تاريز: المؤامرات التي جيجها الاستعمار. والصراع المزاحم مع الشيوعيين كلما زاد النظام قرباً منهم. وكما نأكد صفاته «الاشتراكية». كان لا بد أن تستشريه تفكسار في الديموقراطية. وليست اشتراكية تعزها الديموقراطية. وترتبط على افتراض «الثورة». التي الديموقراطية أن حد صميجها «الحزبية الاجتماعية». محل الحزبية السياسية. وأصبحت عملية الإحلال هذه غطاء لطيفة منعتة من غياب الديموقراطية. ما عرف في البلاد الاشتراكية بال «مونيكتورا».

من هنا. استبدت بثورة يوليوس. ومنذ عهد مكرم. فكرة التنظيم السياسي الواحد. والجدير بالملاحظة أننا عندما نقصر التنظيم على تنظيم واحد. فإننا لا نقيم تنظيماً حقيقياً. وإنما نقيم من التنظيم ما يخلو من طرويز تنظيم آخر.

إن التنظيم الرسمي. صميج صميج. صميج تنظيم صورياً. والقد الضروري للحلولة دون تفكك تنظيم سياسي حقيقي.

ومعنا نأظ التنظيم علواً. بغير صميج التنظيم المصطنع. وإقامة حركة ذات جنوز عضوية داخلها.

لقد حفزت قيادة الثورة لحد أنواع التنظيم. طبعاً باستثناء التنظيم الذي خلقته هي «حزبية التصدير». في «الاتحاد القومي». في «الاتحاد الاشتراكي». وفي استجابات الحزب المحافظة لطلب الحل دون مقاومة. كما علمت خروجهما من جماعة ميسرة. أما الأحزاب الجماهيرية. فقد فاحت إلى حد آخر. صميج أن الإخوان المسلمين قاوموا. صميج أن الوفد قاوم. غير أن الشيوعيين هم الذين دعوا على قاومتهم إلى الحد الأدنى. فقد فاحت على تنظيماتهم. بغض النظر عن مدى جماهيريتها. من منطلق أن هذا تشكيل مبدأ. وكان مطلب بضرورة معالجة هذه المشكلة على نحو آخر.

وبمساندة هذه التريكية المحلية الحزبية. أثرت الاشتراكية أخرى. إقليمية «الجبهة». كان النظام الحزبي الناصري يقوم على المركزية.



على قاعدة الشمولية. لم يكن يقبل بفكرة الجبهة. بينما كان الشيوعيون يطالبون بالوحدة. والجبهة تعني تحالفاً يجمع عدداً من التنظيمات المنتمية. المنسقة. حول برنامج مشترك. وتحرك مشترك. إن صميجة الجبهة كانت تبدو للناصر وحالما تعني تقليص سلطته. وكلما زاد لدى الناصر توجهها إلى اليسار. برز حاجة متزايدة لتأثير الاشتراكية إلى تأكيد المركزية. لا الديموقراطية. وهذا قد ترجع إلى شعار آخر: الخروج هو بلوغ. «وحدة شاملة» تحت قيادة قطب واحد. لا «وحدة في صورة جبهة». تضم أكثر من قيادة. وتظهر خضورة تعايش هذه القيادات في النظام على قدر أو آخر من الديموقراطية.

لم يطرح بشأن فكرة «الجبهة». في الداخل. عُمُ لبلاوة إشكالية ثالثة تفلت في لم تكون الوحدة «شاملة». أم «حزبية». بين القوى «القدمية» المختلفة لناصر على الصعيد الإقليمي. قد تشمل شحونة المصريين آثار مواجهة جبهة ثابته بين عبد الناصر والحزب الشيوعي المصري في هذا الصدد. عقب الوجود بين مصر وسوريا في فبراير عام ١٩٥٨. لقد نشب خلاف بين عبد الناصر من جانب. والشيوعيين العرب. جانب. والشيوعيين المصريين. ومنهم الشيوعيون العرب. من الجانب الآخر. لقد نادى عبد الناصر بالوحدة «الكلية». «الشاملة». بينما نادى الشيوعيون بالوحدة «الجبرية». والواقع أننا كنا

بصد صورة أخرى - إقليمية - للاشكالية التي برحت على صعيد الوضع الداخلي المصري. المشكلة في شعار عبد الناصر عن «الوحدة الشاملة» (المتفرضة حل التنظيمات الأخرى). بما فيها التنظيمات الشيوعية من جانب. وفكرة «الجبهة» (مع عدم حل التنظيمات الأخرى) كما طرحها عبد الناصر من الجانب الآخر. لقد تسد عبد الناصر بالنظام المركزي. الشمولي. بينما تسد الشيوعيون. في الحالتيين. بفكرة «المركزية الديموقراطية» المنصوص عليها في أدبيات الليتينية بصفتها الأساس الإجراءي. التنظيمي. الذي ينبغي أن يخدم العمل السياسي. والنامق على فكرة تعدد التيارات الفكرية في داخل تنظيم جوهري شامل. قد يقال إن التعددية التي نادى بها الشيوعيون في ظل الأنظمة الجبهوية تلت محذرة وماصرة. ولكن كان خلاص الشيوعيين هذه صورة عبد الناصر حول وجود تعددية أصلاً.

لماذا ظلت الحركة الشيوعية في مصر

في كل مراحل تاريخها منقسمة إلى عدة تنظيمات

(خلافاً للحزب في معظم الدول). ولم تتحد

منظماتها. في صورة «حزب شيوعي مصري»

متدمج الكيان. سوى مرة واحدة. ولدة ٩ شهر

فقط. عام ١٩٥٨. ثم انقسمت من جديد؟



أما فيما كان يتعلّق بجانب «المضمون». فكانت فكرة التنظيم المركزي (اللات ديمقراطي) هي فكرة افترضا عدم الشيوعية إلى قطب خارجي. كما كان ينبغي مناقشة التبعية إلى قطب يداخلي. قائم أو محتمل. ومن هنا جاءت إشكالية إباحة هي فكرة عدم الانحياز. أي رفض الانحياز إلى معسكر الاستعمار - جانب. وإلى معسكر الشيوعيين من الجانب الآخر. واتسعت العملية لتفسر عن إشكالية خامسة. هي أن عدم الانحياز للاستعمار والشيوعية إنما قد ترتب عليه امتداد المعارضة على الصعيد القومي لأحزاب ذات أيديولوجية مماثلة لأيديولوجية عبد الناصر. مثل حزبي «البعث» و «القوميين العرب».

والحقيقة أن فكرة عدم الانحياز إنما كانت تنطوي على أوجه التباس خفية. لقد أشار خروشوف إلى أن هذا معناه. فقد اعترافاً ممارسة عدم الانحياز لسياسة عدم الانحياز على حد خطورة إيجابية. لتطبيقه. ذلك أن عبد الناصر انتقل من موقع التبعية للاستعمار إلى موقع التمتع بالاستعمار. وأن ليل فلسفياً فيما تعلّق بعلاقته بالشيوعية. إن اقترن ب عدم الانحياز السياسي على الصعيد الدولي. ولكنه ظل يناهض الشيوعيين في الداخل وعلى الصعيد العربي. أما عن حركه خروشوف بشأن تبني. فقد اعتبر تبني هذا الأخير لعدم الانحياز خطوة سلبية. أراددية. على أن يتتبع قد انتقل من موقع الانحياز للمعسكر الشيوعي إلى موقع عدم الانحياز بين المعسكرين. ومعنى ذلك الإبعاد عن الشيوعية بدلاً من الاقتراب منها.

إن خروشوف. خلافاً لستالين. عامل من هو ليس سوى عامل على أنه ليس بالناصرية معسكر الإمبريالية العنيفة. كما ستالين ينطلق من أن ليس مع الشيوعية. فإنه بالضرورة في التحليل الأخير مع الإمبريالية. أما خروشوف. فقد انطلق من أن من ليس مع الإمبريالية. فإنه من الممكن أن يصميج مع الشيوعية. بمعنى أن الشيوعيين وحركات الحزب الوطني في العالم الثالث فصيلية ذات تقارب وأن تتشابه الفروق بينهما في ظل موازين القوى الدولية الجديدة التي سادت وقتذاك بين المعسكرين العالميين.

أما الشيوعيون لاصطوب. فقد كان موقفهم من عدم الانحياز وحيق الارتباط بواقفهم من عبد الناصر التي اتجهت لتقويضه في ثلاث مدارس متميزة. برز بادات في المرحلة الأولى أجود فيها عن النشاط الجماهيري. مراحل جديسه في السجون والمعتقلات. وفي المرحلة التي انفضت على التفكير عن مراهة سياسات في الشارع. واختيار ما يفرزه الفكر من تحليلات وتوجهات. فكانت هناك المدرسة القائلة بأن نظام عبد الناصر كان تعميماً إلى أقصى اليمين (بينما كانت هذه المدرسة تنتمي إلى أقصى اليسار). وكانت هناك مدرسة قائلّة بأن نظام عبد الناصر كان تقيده «مجموعة اشتراكية على رأس السلطة». وقد شكك هذه المدرسة. على تقويض المدرسة السابقة. أقصى يمين الحركة. وكانت هناك مدرسة عارضة التفكير. بيعة ويسمار. وقالت عبد الناصر. بأننا نحتاج سياسة عدم الانحياز. عبر عن اتجاه غالب إلى التراجع الوطنية المصرية. مع التوجه على موقعها في أوجه تضارب والتباس.

غير أن تيار معتبة. وربما بالات تجربة كاسترو في كوبا. قد شجعت التجربة

السوفيتية، وبالأداء خروثوشوف، وفي ابتداء نظرية جديدة، ذهبت إلى أبعد من مجرد اعتبار بعض القيادات الوطنية في العالم الاشتراكي أصحاب موقف سياسي غير مترشح. لقد أثبت كاسترو أن ثائلا، وأمثلا كليل والنحول إلى قائد اشتراكي، بل إلى قائد ماركسي لينيني. وخرج المنظر السوفيتي «الغروب في المغرب إلى خروثوشوف، بتفكيره (الطريق غير الراسمالي إلى الاشتراكية)، التي استخلصت دروس تجربة كيو وغيرها من التجارب في أفريقيا وآسيا، وحددت الشروط التي ينبغي توافرها لتحقيق هذا التحول.

وقد رأى في عبد الناصر النموذج الأمثل في هذا الصدد، فرما كان قاسيا مع الشيوعيين المحليين، ولكنه كان أيضا بالغ القوة والجرأة مع الإمبريالية العالمية. فكانت هناك تجربة تأييد القادة، وتجاهله في التغلب على كل الصعاب التي وقعت في عهد إتمام التأسيس فعلا. وكان هناك بناء على السلي، استنادا إلى تعاون مع الحزب الشيوعي السوفيتي. وربما كان الدرس الأهم الذي رأى خروثوشوف ضرورة استخلاصه من التجربة المصرية هو ضرورة العمل من أجل إسقاط أي ميرر لاستمرار وجود ثورين بعد عبد الناصر والسعي للمصريين، ولتشكك عبد الناصر في رؤيتهما حيال السلطة، وفي الإقليم، ولضرورة أن يذهبوا إلى حد حل الحزب الشيوعي المستقل، لو كان الحل فكريا يضمن كسبهم لفة بعد الناصر وتبويههم وتلفاف مهمة في الدولة والمجتمع. ولأعلام تفاصيل «الصفحة» التي غلقت بين الأطراف العديدة في هذا الصدد. ما أعله أن جميع الشيوعيين قد أنجزت منهم من السجون والمعتقلات، وبنما نظر على الإكراه التي صدرت في حقهم، قبيل وصول خروثوشوف بالباخرة إلى الإسكندرية لانتقاد سعد العالي في ١٩٦٤، وأعلم أن الخلافات في الرأي التي أفضت إلى انقسام الشيوعيين في السجن إلى منتظمين رئيسيين لم تكن سببا في خلاف بين المنتظمين بشأن ضرورة حل الحزب، وقد اقدموا على هذه الخطوة في وقت واحد تقريبا، لدة تمت هذه الخطوة بعد الشيوعيين جميعا من السجن، ما أسقط لها شيئا بأن الحل قد تم نتيجة ضغط. لم أعه أن أغلب القيادات الشيوعية قد ضمت إلى التنظيم الطبيعي، وهو التنظيم الذي أنشاه بعد الناصر في قلب الاتحاد الاشتراكي. وهذا كله يندم على أن الحزب قد أنجز نتيجة اتفاق جرى بين قيادات الجناحين الشيوعيين والمصري على أعلى مستوى.



والجدير بالملاحظة أن موقف النظام الناصري من الشيوعيين المصريين ظل عدائيا مادام لشيوعيين تنظيمهم الشيوعي المستقل. كان هناك من قال لي بدمعة بالغة ذات يوم: «كيف أيدتموه بعد أن عولمتهم هذه المعاملة المحبة في السجون؟ الميسك لديكم كرامة؟» قلت وتذاد: «من منطق التسليم بضروة الاعتراف بالقيادة التي تثبت أن الأكثر قدرة على مواكبة مقتضيات التاريخ»؛ والحقيقة أن سنوات كثيرة مضت قبل أن أدرك أنه كان من حقنا أن نحترم آدميتي وإنسانياتي، حتى لو كانت مخلوقة في رؤيتي التاريخ.

وتذكر ذات مرة أيضا أنني سألت على صبري بعد خروجه يوم من السجن، وقبل

وفاته بفترة وجيزة: «لماذا عاقلتمونا بهذه القسوة في السجون؟ كنا نؤيدكم، وكان رد: «ليس صحيحاً أنكم كنتم توبؤونا. ذلك أنه عندما اعتقلنا السجون في مايو ١٩٧١، عين اثنين منهم ليصموا وزيريين. لقد قبلتم أن تكونوا وزراء في ذلك العهدنا نحن فليس بالخيالية. معنى ذلك أن العداء كان متبادلاً، ولا يتجسد يكن من جانب واحد؛ طبعاً جعلتني هذه الملاحظة التي توهي بها في صبري أكثر كبراً. فرغم ما يبدل من مساع للتحارب، ظل الانطلاق من مواقع متعارضة غبية في وجه التصالح. وحال دون تجاوزها حداً معيئاً.

ومع ذلك، أقول: إن هذا هو الذي يدعوني إلى الجزء بأن حل الحزب كان بقلتي اتفاقاً كان خروثوشوف مفهوماً طرأً فيه. كان حل الحزب منطقياً يتماشى مع فكرة توسيع دائرة الحزب الشيوعي، كي تضم حركات التحرر الوطني. كان خروثوشوف يؤمن بأن موازين القوى الدولية يصعد أن تحول من هيمنة الاستعمار عاكساً إلى أن تكشف الشيوعية طريقها إلى مهمتها في ولو بالتدريج. وإنه، فلا ينبغي تصريف القوى الوطنية التي تحل في طياتها إرثاً نين، سحولي إلى الماركسية اللينينية، ولو في الأمر الطويل. هكذا حدث مع كيو، بعد ما كاسترو الذي تحول من قائد وطني إلى ماركسي، لينيني، وكان الأمر معقداً على أن يحدث شيء مماثل مع عبد الناصر كذلك.

صحيح أن عبد الناصر كان مناضحاً قوياً للشيوعية في المبدأ، ولكن بعد الناصر كان قائلاً لا يقل عن ذلك جرأة فيما يتعلق بالواجب مع الاستعمار والإمبريالية. كان تأييد القادة، والتعرض لهذا العداء، والانقسام حينما فشل في عبد الناصر بعد أن خروثوشوف إلى أن يرى بعض النظر عن عبد الناصر للشيوعية. وبالفعل تحسنت العلاقات بين النظام الناصري والماركسيين المصريين بشكل ملموس بعد حل الحزب. وأصبحت مجلة «الطليعة» تسال حال هذه المصاحلة، وأصبح الشيوعيون أعضاء بهم في الإسلام، وفي الاتصالات الدولية، وفي الصحافة والأدب، وفي مواقع كثيرة لا يكونون فيها القرار، لقد تمسك بعد الناصر دائماً بفكرة «مرزعة القرار، وقد تملت هذه الفكرة في عبارته: «الماركسية عنصر إلهاء وتصحيح...»؛ «تصحيح» بمعنى أنه ينبغي



على عنصر «تنبيه» لإخطاء بتعين تجنبها، وإلهاء، بمعنى أنه ينبغي الحوار «القومي» بإسكابه بعداً «أممياً»، والحقيقة أن عبارة عبد الناصر كانت تحمل أيضاً صمماً. معنى أن الماركسية لا ينبغي أن تكون، في أي الأحوال، «عنصر قيادة»، أي ينبغي أن تكون «أفكاراً» لتصبح إلهاءاً وشرشيد بعداً، ولا تتجسد هذه الأفكار في صورة «تنظيم مستقل» بوجه الصراع الطبقي، ويحول إلى قوة فعالة لوجه قيادة الدولة في تقرير مصير المجتمع. ومع ذلك، ينبغي لنا أن نقول إن قاعدة «الثورة» الحقيقية تلك المؤسسة العسكرية التي بقيت هي المهيمنة، غير أن مؤسسة الضباط، مع تعامل شأن مقامها في المجتمع، تألهام الشيوعيين محترق. حدث ما حدث في حرب ١٩٦٧. وأصبح توسيع دائرة مطالب بإزالة آثار العداء، قبل الانفعال بأن طاباً نموذجاً لوعية جديدة من القيادة القديمة في البلدان النامية، وفهم شيوعيون جيد، انتصوا إلى جيل آخر من اليساريين الشباب، وبدأ الجيل السابق وكأنما قد سلم لعبد الناصر زمام القيادة، وتخلّى عن رسالته التاريخية، وأصبحنا بصدد معطيات جديدة، مختلفة، ولم تعد هناك قضية موضوعة بين الشيوعية والثورة، وإنما أصبحتا بصدد لورة لم تعد ثورة، و«شيوعية» لم تعد شيوعية.

أما بعد...

قد أتهم الشيوعيون من جيل الأربعينيات والخمسينيات بالاروخ لعبد الناصر قبيل هزيمة ١٩٦٧. وبعد هذا الجيل وكأنما كان له دور أكثر بروزاً في طمس شخصية الشيوعية المصرية من دوره في إعلاء شأن هذه الشخصية وتقرير ملامح باقية لها. لقد وفقتهم قيادة اليهودية في مرحلة أولى، ثم وفقتهم حركة الجيش في مرحلة ثانية، وهكذا فاته القطار، رغم تقاضي الكثير من كوابر في تضحيات، بلغت حد الاستشهاد في أكثر من مناسبة. أقول: ربما قام جيل آخر، في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات، بمحاولة إعادة الرقابة. فإن حاله ما بعد هزيمة ٧٧ كانت «قوية»، واجبة الاستئمان، لا انظر إليها على أنها حالة شاذة وجبة الإخواء في أسرع وقت ممكن. وقد تعددت الأسباب لمناخضة سياسات السادات، لافي معركة «عبور القناة» عام ١٩٧٢، وقد تحولت حوله الأمة بخداشها

وقائد، وإنما عندما ذهب بالعبور، في نوفمبر ١٩٧٧ - إلى حد البهوت في مطار بين جويرون، فلقد كانت في مواجهة زائد، معارضة من منطلق وطني، وأخرى من منطلق قومي، وأخرى من منطلق ديني. وأخرى من منطلق شيوعي. وقد ألفت وجاهد، وسوز ليهام المنظمات في تلكا، «شيوعية شتى»، وإيضاً في صورة حرب، هو «التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» المعارض. لقد واصل التجمع التقليدي الذي أرسنه مجلة «الطليعة»، في عهد عبد الناصر، وقد السعى إلى تجسيم القوى التقدمية تحت راية الماركسية لولاية الشيوعية، استعماراً للقدرات «التصحيحية» و«الإرثية» للفرق الماركسي، بعيداً عن تنظيم يكون مقصوداً على وادهم. غير أن يكون الشيوعي في هذا التجمع الأقوى حرص على إبراز نقاط الاتفاق مع القوى الأخرى المناهضة لسياسات السادات، وبالتالي لم يتخاض كثيراً في إبراز ما من تميزين الشيوعيين في جبهة قوى المعارضة، وبالأداء البعد الأمي كاد مرتكزات أي فكر شيوعي.

غير أن مرجعية الشيوعية قد أصابها ضربة قاصمة بنهايار الاتحاد السوفيتي. كانت «بيرسترويتكا» جورباتشوف قد شكت عن ثغرات كثيرة في البناء الشيوعي العالمي، وعن الحاجة إلى مواكبة منطلقات العصر من خلال مراجعة شاملة لوضع بلغ - مع زوال المرجعية السوفيتية - مع دمو النظام العالمي الثنائي القطبي من الوجود، وكان من أثر هذا التحول الأساسي أن فقدت الماركسية موقعها المركزي كفكر يلائم التيارات في المدارس الفكرية الأخرى، فكفر لا مئناس من الشيوعية.

وقد كان، فإن للتجربة الشيوعية في مصر (التي تعرضنا لها) أثرًا إيجابيًا إلى اليوم، أثرًا، قد لا يكون مذكرًا أمام التاريخ في وعي البعض من كروا يستفيد بها ذات التناير، فإن البعض ممن أجازوا حياتهم لتجربة قد ينجم حينهم - وأكاد أقول ولزام - إلى المرحلة الأولى في تاريخ الحركة الشيوعية، المرحلة التي كان للقيادة اليهودية فيها دور بارز، ليكون لهم تدعيم لمطالبات العلام مع إسرائيل قد تقدم على نحو مماثل من نظر حنيته لمرحلة الثانية، مرحلة تآثر الحركة المصرية بالفرق الغربي. لقد أظهرت الخلافات التي أبرزها ما عرف بعلمية «نوجينيان» أن شيوعيين المصريين مرجعيتهم على طرقي تفكير: «الشيوعية أكثر تأثرًا بالفكر الذي ساد فيما مضى ومرحلة القيادات «اليهودية» في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، وانصار هذا الاتجاه يحيدون حوارات مفتوحة مع اليسار الإسرائيلي، ومرجعية بعد عكست تجربة زائن أحسوا بأن وجود قيادات يهودية في رأس المنظمات الشيوعية في مرحلة تأسيسها قد أجهش التجربة برمتها، الأمر الذي يستدعي حيلة وخدرا إزاء النظام الإسرائيلي عموماً، حتى لا تصبح عملية السلام مع إسرائيل شيئاً مستجداً للوعو في «دفع الشيوعية» اليهودية، هذه الشككة التي لم تخفف رغم اختفاء المنظمات التي ولدت هذا الخلاف دون أكثر من ثلث كون إنما تؤن بأن الخلاف ستكون أن امتدادات ومضاعفات في المستقبل، لذلك أنها مشكلة ستلازم محاولات التوصل إلى تسوية في الشرق الأوسط، حتى بعد رحيل جيل الشيوعيين المصريين الذين خاضوا التجربة.

الرحالة العرب



كلمة أوروبا لم يعرفها العرب المسيحيون أو المسلمون قديماً لكن كان هناك فضول بشأن الروم وهو الاسم الذي ذكره القرآن الكريم إشارة إلى البيزنطيين وغيرهم من الأوروبيين وقد ظهر مفهوم أوروبا عند العرب منذ الغزو الصليبي حيث أصبح هناك صراع ومعارك وتجارة متبادلة



ونادى النبلاء.. وشارك في المفاوضات والمناقشات، وأجرى مفاوضات حساسة بشأن إمكانية إقامة تحالف هولندي مغربي ضد إسبانيا. وقد ورد رحلته هذه في كتاب (مقلود الأثر) وتل برودر قصته لعقول تلت. وخلال زيارته له لخص شرح في كتابة ملخص لكتابه الحول وإنته في تونس. وأصبحت روايته عن رحلته ثائعة حتى أن كاتباً من كاتبات من الأساسي السودان طلب منه نسخة. وفي ١٦٥٤-١٦٥٥ رافق رحالة آخر، وهو قس أثروكوسكي من حلب، بطريقه في رحلة إلى بلاد الفرنجة، وهي في هذه الحالة روسيا وكتب عن الكناش، والعادات الغريبة، وعن السياسة من شتى الأجناب الذين قابلهم هناك، وفيهم من أخبره عن ليلاته له وجوه كالكباب تاكل لحوم الخبيرة، وفي نفس الوقت تقريباً وصل «عمرخان» كاتبا قد تحول إلى البروتستانتية إلى باريس، وسكتا في «مقلود بروتستانتية». وبعد ذلك بثمان سنوات، وصل قس كاثوليكي سرياني من العراق، هو إلياس خا الموصلي، إلى مدينة البغداد على متن سفينة إنجليزية من الإسكندرية وراح يتجول على مدار الأسبوع التالي في «من البلاد النصارى» من إيطاليا إلى إسبانيا، ومن البرتغال إلى صقلية. وفي عام ١٦٧٥ ركب سفينة إسبانية من قادس إلى أمريكا الجنوبية وكتب أول كتاب عن العالم الجديد باللغة العربية هو كتاب سياحة الصوري إلياس بن الفيسس خا الموصلي، تحقيق أنطون رباط اليسوعي (مبهور)، ١٩٠٦. وخلال عام ١٦٨١-١٦٨٢ أم استقر شخص يدعى بطرس الحلبي (بيير بيبي) في فرنسا وخدم كمترجم للمبهورين والزيارين الوافدين من شمال أفريقيا. كما كان خا حلبي آخر خدم كمترجم في إسبانيا خلال زيارته السفير المغربي، الغساني، عام ١٦٩٠. قام الغساني، ترافقه حاشيته يتراوح بين خمسة عشر وعشرين رجلاً، بزيارة مدريد ووصف الأسطول، والصيد الحربي، التزلج على الأنهار، والمشيشيات، والفن، بالخير، والصوم الكبير، واختلاط أحد السبع وعيد الفصح، كما سجل الأحداث المعاصرة، مثل وفاة البابا وعلق على الأحوال الاجتماعية والدينية للنساء، وكانت زيارة إسبانيا بمثابة نافذة على بقية أوروبا الأوروبية.

قبل ذلك بعام واحد، في ١٦٨٦-١٦٨٧، قام التوسني حسين خوجة بزيارة «أرض الإنرج» (ربما كانت إيطاليا) حيث ذكر كثيراً من الأطباء، وتعلم على أيديهم بعض العلاجات التي حملها معه إلى وطنه تونس. وبعد عودته كتب إلى أهم الأوروبيين وغيرهم من عرف يطلب منهم تقريراً تاريخياً عن هذا الدواء. وفي كتبه الأثر الكاتبة ذكر خوجة مراراً كيف قابل الأنطاقي في أرض الإنرج وفي «مدينتنا تونس»، وكيف استنداد بهم كثيرًا.

مساعدة اليهوديين الكثيرين الذين كانوا يسافرون إلى البندقية «خلال موسم الشتاء عندما تجعل أمواج البحر الطرق خطرة». وتبرز السيرة الذاتية لأحمد بن غانم مدى أسفار المؤلف والمعلومات التي جمعها عن التكنولوجيا الأسبانية (والتي صعدت (بعد طردنا من غرناطة) سكتا بمدينة إشبيلية، أصبحت موطناً للبشرى في البحر المحيط لسفارت في مرارة، ثم سافرت في السفن الكبار المصممة باليقولونية، بلا إحصاء، التي تأتي بالفضة من الهند الغربية البعيدة: فكانت تمشي عارداً كما هي من عاباتهم، وفيها جيش ورجال يحملون بآلات الحرب البارودية؛ وكانوا يجتمعون مع أكابر القوم للأكاف في تلك الصناعة وتارة يأتون بالكتب المؤلفة في ذلك الفن وكثيره. لأن العارفين بالعلم المبشرين للعمل وغيرهما لما رآوا أن ملوكهم يعرضون أهل ذلك الفن ومن يؤلف فيه اعتوا به.

بغنى أجسامهم واحتفظ ما يتفق عليه واشتغل بدت في المداغ، فجميعاً لا يظنون ذلك أني؛ وفي الزمن الذي أرفه فيه سلطان النصارى بإخراج جميع التوسني (كذا) من بلاده، كنت مسجوناً من أجل ما وقع لي مع بعض النصارى على أمور راجعة إلى دعوى النفس بالانشقاق، وكان لي من أكابرهم من يعتني بي ويصحبني، حتى حصلنا الله من السجن: فارتدت الخرج من كل البلاد إلى بلاد المسلمين مع جملة الخرج (كذا) ومنعوني من فعلت بيته بالتي من الأندلس لأخر معهم، ولم يفتني شيء من ذلك: ثم انقذت دراهم في الرشاوى وخرجت من بينهم وبحث إلى مدينة تونس - حرسها الله -..... والأمين يوسف ألى أرمني بالفضة في حصن خلق الوادي. ونحن من أهل الجيش في المراتب؛ وفيها كملت معرفة آلات المداغ بالانشقاق بيدي فيها وبالقرادة في كتب الفن؛ ولما رايت الطلقة السماة بالمداغين المرتين لا معرفة بل بالعمل ولما لم يعبرون ولا يرسون بما يقضيهم العمل، عزمت على تصديق هذا الكتاب لأن كل مدفع له قيمة مال (وتلقى) تمضي في إيجاده، ثم يول على تسخيرهم والرمي به من يكسر ويقتل.

وفيكتة التفتحة كتاب العز والمنافع للجاحدين في سبيل الله بالمدافع، التي كتبه بالاسلاميه وقام بترجمته أحمد بن قاسم بعد ذلك إلى العربية.



وخلال عامي ١٦١١-١٦١٢ سافر أحمد بن قاسم إلى فرنسا وهولندا ووقع في غرام امرأة فرنسية وجلس إلى سواك الأمراء والعلماء،

الحملات الصليبية لم يوجد على الإطلاق. قبل ذلك زعم برتراند لويس في كتابه الإسلام والغرب (١٩٩٣) أن العرب أبدوا نفس الإقبال الواسع (أوروبا) كما كان الحال في العصور الوسطى. في كتابه «اختشاف المسلمين لأوروبا» (١٩٨٢) أنهم لويس المسلمين باتخدام «فضولهم» تجاه الأوروبيين. وهو ينكر الفضل المسلمين في عصر التنوير إنكاراً تاماً أنه يرى انتفاخ الإمبراطورية العثمانية على المؤسسات الغربية في القرن التاسع عشر باعتباره اكتشافاً لا على عن اكتشاف كيو لويس لأيريك.



العثمانيين كان له تاريخ في الرحلات وعلم الخرائط، وكثير من المؤلفين العرب وجدوا أنفسهم أثناء دراستهم لتاريخهم يقرأون عن العديد من الشعوب الأوروبية التي احتك بها الفاتحون العثمانيون. فقد كتب محمد بن أبي السرور (البكري الوائلي، المولود عام ١٧٦٧) عن تاريخ الروم والمسلمين حتى ظهور الإسلام، وأفرع على نحو صائب أنه بعد مجيء الإسلام أصبح الانسراح يصنع في العالم الإسلامي وليس العالم المسيحي. أما بقية رسائله فقد زكرت على الحكم العثمانيين وتفتحاتهم. وخلال دراسته للعرب الأقدمين ثم للإمبراطورية العثمانية درس الإمبراطوريات المسيحية والأوروبية التي سبقته. في نفس الوقت قام التوسني، حسين خوجة (المتوفي عام ١٧٢٢) بترجمة المصادر التركية والفارسية إلى العربية كما أمدح في تصدير كتابه كتاب بشائر أهل الإنجي في فتوحات العثمان التي أنهى من كتابته حوالي عام ١٧٢٦ المسلمين العثمانيين وغزواتهم في أوروبا ومواجهاتهم مع الشعوب الأوروبية جميعاً وشهنا وثقافتها وسعى خوجة إلى جمع المعلومات عن العالم الذي استكشف فيه العثمانيون والشعوب التي واجهوها وزعموا.

من الواضح أن أوروبا لم تكن «اكتشافاً» مفاجئاً للأوروبيين. فالمعلومات التي قدمها المؤلفون من العرب وغيرهم عن بقاع العالم المسيحي وشعوبه كانت متوفرة وقابلة للانتشار اعتماداً على الترجمة والبحث والتأليف. وما لاشك على أن كثيراً من هذه المعلومات عرف طريقه إلى العثماني الناطق بالعربية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط من خلال عالم الرحلات. فقد قام الرحالة والتجار واليهودون والسفراء ورجال الدين بزيارات متكررة للندن وروما وقاسدات القرنين السادس وسابع. وفي سويسرا، كاتب مولى المنصور، وإلى والي الجزائر يشكره على

■ «سافر تعرف الناس»
مجدوب (١٥٣٠-١٥٦٥) إزياعيات
مجدوب، تحقيق جيل ميلي (باريس ١٩٦٦) ص ٤١
تلحين من حديد وعصا من حديد لم سخ في الأرض حتى تكسر السواخ وتخرق النعنان
مجدوب من السراج (١٦٣٠) أنش السراي
والسارب، تحقيق محمد الفاسي (فاس ١٩٦٨) ص٦

داب المؤرخون الغربيون ونقاد الأدب على النظر إلى تاريخ الرحلات والاستكشافات الحديثة باعتباره مقصوراً على المسلمين الأوروبيين ومظهرًا من مظاهر حداثة تفوقهم وتقدمهم. فكان الرحلة الإنجليزية إلى الإمبراطورية العثمانية والإيطاليون في فلسطين والأمان في مصر والبرتغاليون في شبه الجزيرة العربية والفرنسيون في المغرب يسلمون في نظر هؤلاء النقاد بشائر القوى الفكرية والاقتصادية التي مهدت الطرق لعصر النهضة ولعصود القوة الأوروبية الغربية وسيادتها.

في تلك الأثناء، كان هناك إغفال تام لرحلات العرب المسلمين إلى الحد الذي يكرها بملاحظة أدبها أحد المؤلفين للمبعوث المغربي أحمد بن قاسم في عام ١١١١: «تجسبا ملك تحفظ الأنظار وتقرأ الكتب، وسرت في الخن وأظفل الدنيا ومع هذا تكون مسلماناً بالنسبة لهذا المتحدث الذي ينتمى لعصر النهضة ويجهل تراث العرب المسلمين الجغرافيا وعلم الخرائط يبدو الرحالة المسلم خروجاً على المألوف.



ومما زالت مثل هذه الآراء سائدة في الدراسات الحديثة. فعلى سبيل المثال في «روية العالم لأوروبا وروية العالم للعالم»، وهذا هو العنوان الفرعي لكتاب أنطوني باجن (مراجعة أكثر ٢٠٠٠)، لا يوجد مدخل أواد يخص أوروبا أي من حضارات الإسلام، سواء في حوض البحر المتوسط أو وسط آسيا أو شبه القارة الهندية. وكان الإسلام الذي تفاعلت معه أوروبا في صورته العربية والعثمانية منذ

أجزاء من مقدمة كتاب -
In the Lands of Christians: Arab Travelers to Europe and Asia (1611-1700)
في بلاد المسيحيين: الرحلة العرب إلى أوروبا وأمريكا
(Intro and Trans. Nabil Mater)
بصدر قريبا في دار رولدنج

فنى أرض الفرنج

نيلى مطر

بعد بضعة سنوات ذهب السفير المغربى عبد الله بن عائشة إلى فرنسا وأقام صداقات وطيدة مع رجال من البلاط الفرنسى وشركات التجارة، ووقع هناك فى الحب، وعند عودته للمغرب روى لعائلته وأصدقائه عن فرنسا وقدم وصفاً مفصلاً للغة عن رحلته لوالديه مولاي إسماعيل ولرجال الحاشية. وقام مغاربة آخرون أيضاً بزيارة أوروبا وتحدثوا عنها، ففي عام ١٧٢٩ كتب القبطان الإنجليزى جون بريوليت عن «الحاج لوكاس» الذى سافر إلى إنجلترا مرتين وأصفاً إياه بأنه «كان رحلة عظيماً» وأنه «كان يتحدث الإسبانية بشكل متقن للغة، ويمتدع بعباسة كبيرة فى تعامله مع الأجانب». ويعلق بريوليت مراراً على اللغة المغاربة بالعالم المسيحى: «ونجد أهل (تطوان) يتمتعون بالكياسة واللباقة فى كل مكان من جراء تجارتهم وكثرة تعاملهم مع المسيحيين». «فكثير من المغاربة الذين جاءوا إلى إنجلترا بصحبة سفيرهم السابق كانوا يترددون على منزلنا» وفى عام ١٧٤٧ سافر محمود مقديش إلى المشرق الأوروبى ودخل إحدى الكنائس حيث رأى رسماً يصور معركة بين السفن الإسبانية وسفن من موطنة صفاقس..



وعلى الرغم من أن مفهوم «أوروبا» ذاته لم يوجد بين العرب المسيحيين أو المسلمين، إلا أنه كان هناك فضول بشأن الروم (وهذا هو الاسم الذى تسميه القرآن فى الإنساراة إلى البيزنطيين وغيرهم من الأوروبيين). والإفرنج (الفرنسيين) والعجم (الآسيان)، وهذا يرجع إلى أنه منذ الغزو الصليبي أصبح هناك صراع ومعاملات وتجارة متبادلة معهم. فربك تجار المغرب والأندلس والشام البحر على متن سفن من جنوة والبندقية وسافروا عبر البحر المتوسط يروجون تجارتهم؛ بل بلغ بعضهم إنجلترا فى عمليات وساطة من أجل دفع فدية الأسرى المسيحيين والمسلمين؛ ففي التماس كتبه أحد الأياء نيابة عن ابنه الأسير فى مدينة بلاميسوت عام ١٦٨٨ «من فضل الله أن كان هناك تاجر جزائرى فى بلدة بلاميسوت المذكورة أتفا وعد بأن يسعى فى شأن فديته» وفى حين قام كثير من المغاربة بزيارة الأراضي الأوروبية بغرض التجارة، كان آخرين أهداف عسكرية: ففي عام ١٥٧٣ عندما كان الجيرازيون يستمدون مهاجمة تونس، أبحروا إلى مالطا واستكشفوا الساحل وقاموا بقطع الأنجار من أجل عمليات الحصار. فى نفس الوقت كان الموريسكيون فى إسبانيا يستعملون من المدن الأوروبية وطرق المسافرين وذلك بغية الهروب عن طريق فرنسا.



كتاب الزاوية



حرب النهر السودان

إن الربع الشمالي الشرقي للقرارة الأفريقية يجف ويروى بالنيل، وبين مصادر منابع هذا النيل العظيم وفروعه تقع الميراثات ذات الأراضي الواسعة الخصبة التي تعرف بالسودان المصري، موطنها في أواسط البلاد تماماً، يحدها من كل جانب حوالي ٥٠٠ ميل من البحر تنو سطها الجبال، والمستنقعات، والصحراء. إن النهر العظيم المصدر الوحيد للنمو وقناتهم الوحيدة للتقدم. بالنيل وحده يمكن لتجارته أن تصل إلى الأسواق الخارجية، وهو الممر الوحيد للحضارة الأوروبية لاختراق المناطق النائية الداخلية المظلمة. إن السودان يرتبط بمصر عن طريق النيل كالعواص الذي يرتبط بالسلط بأبنوبة الأكسجين، بدونها ليس هنالك سوى الاختناق، لا حياة بدون النيل "لا نيل، لا حياة".

إن السودان الحقيقي المعروف لدى رجل الدولة أو المستكشف يقع في أقصى نقطة جنوباً وهو رطب ملي بالأعراش، لكن هناك سوداناً آخر وهو الذي يعتبره البعض السودان الحقيقي الذي يغطي حدوده نهر النيل من الحدود المصرية شمالاً حتى أم درمان جنوباً، هذا هو "سودان الجندي" بلا ثروة، ولكنه غني بالتاريخ.

إن أسماء قراه المتناثرة على امتداد البلاد معروفة ومعلومة لرجال وأناس كثيرين مهتمين بأصول الحضارات في بلاد بعيدة، وإن المساحات الخالية قد تم رسمها بأقلام جيدة وقديرة.

لقد ذقت صحاريها الواسعة دماء الرجال الشجعان. أما حجراتها الصلبة السوداء الحادة فتقف شاهداً على مأس مشهورة. إنه "مسرح الحرب".

ولمانيا (كما حدث مع شخصية ريكوت في رواية دون كيشوت) وإيطاليا إلى شمال أفريقيا وتركيا.

وبالتسوية لبعض العرب المسيحيين في بلاد الشام كانت اللغة والتعليم من الأنساب التي دفعتمهم للسفر إلى الدول الأوروبية فعمد عام ١٥٨٤ اعتاد حوالي خمسة عشر صيباً مسيحياً أن يذهبوا كل عام إلى روما للدراسة في المعهد الماروني، ثم يعودون إلى بلادهم بمعرفة واسعة عن تاريخ أوروبا وفنونها وعن اللاهوت والمذهب الكاثوليكي. كما سافر مسيحيون آخرون في رحلات حج لزيارة المراكز التي تتسمتع بسلطة كنسية كذهب الكاثوليك إلى روما والأرثوذكس إلى موسكو. وفي عام ١٦٠٧ ذهب أحد المسيحيين المارونيين ويدعى ميخائيل قري إلى بوق توسكانا الاطعم الذي يهيمه كمبعوث للتفاوض مع الزعماء المناهضين للعثمانيين في لبنان. وفي عام ١٦١١ أرسل فخر الدين الشاسي، الزعيم الدرزي اللبناني الذي تحول إلى المسيحية، بطريق الماروني جرجس مارون إلى بلاط توسكانيا: وفي عام ١٦٢٣ أقام بطريرك بزيارة إسرائيلية. وفي عام ١٦١٣ أقام فخر الدين بزيارة ليفرن ثم فلورنسا وكانت تصحبه زوجته وسبعون مرافقاً. كما أقام بزيارة الفاتيكان وقابل البابا بول الخامس. وفي عام ١٦١٥ رحل إلى صقلية حيث أقام حتى عام ١٦١٨ ثم عاد إلى لبنان. وفي عام ١٦٣٠ كتب إلى بوق توسكانا طالباً معارفاً وطبيعياً ونجاراً وحائكاً وخياطاً (لتعليق صناعة المسكوت)، وستة مزارعين بصحية أسرههم وذلك لتعليم تقنيات الزراعة المستخدمة في توسكانيا. واستقر هؤلاء الأوروبيون في لبنان حتى عام ١٦٣٣ وتركوا انزاً ناشئ على عمار البيوت اللبنانية.

وبعد طرد المورييسكيين من الأندلس في عام ١٦٠٩، ظل الكثير منهم على اتصال ببني جلدتهم من التجار الذين استقروا في ساططا وباليبرمو ومرسيليا وليفرن وغيرهما من المدن الأوروبية التي كانوا يترددون عليها. وكان أحد الأسباب الرئيسية لهذا الاتصال هو تأسيس مراكز مالية لتحويل الأموال - سواء بغرض تسديد الديون للبنوك الأوروبية، أو لدفع ألمان المراكب والسفن الصغيرة التي كان يصنعها وبناه السفن الفرنسيون والهولنديون واليطاليون أو لإنهاء إجراءات دفع الفدية للأسرى. وكان التبغ إحدى السلع المهمة التي دفعت المسلمين إلى السفر لأوروبا أو الشرق الواقعة تحت الحماية الأوروبية في شمال أفريقيا. وكانت تجارة التبغ واسعة الانتشار حتى أن فقهاء المسلمين حرّموها لأنها تعلم المسلمين العادات الأوروبية المردولة. وتستغل الموارد اللومية من العملة الصعبة الشحيحة. يصف أبو سالم إبراهيم الكلاي باستفاضة رحلات التجار المسلمين ومعاملاتهم مع التجار الأوروبيين وكثرة



سعيهم بحثاً عن التبغ والكثير مما علموه عن النصارى.. وعن إخوانهم في الدين أيضاً:

وأما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم إلى أرض الحرب والتخول تحت حكمهم.. وهي أعمال للسفر ببلادهم والدخول تحت قهرهم وحكمهم، بالتقود الجيدة: الذهب الخالص، واللغة الخالصة، وأنواع السلاح وما يؤول إليه ودفع ذلك في أعشاب الأرض يسمونه بالناثر والدخان.. ومن أغرب ما حدثني به بعض الشقات من أصحابنا التجار، بعد أن سالتهم عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون، وابن ذهب، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم، وابن صار، فقال لي: إن التاجر لا يخبزن الديار ولا الدرهم لعدم اتساقه بفصل ذلك، وإنما يخبزن ما يكون له فيه ربح فقلت له أين ذهب المغرب كله، قال لي: عند النصارى، صهره لهم في سلعة الدخان المشعوم، فاستدرك ذلك من قوله، فقال لي: احذرك بالواقع لي، وذلك أنني سافرت إلى مدينة سبتة، أعادها الله الدار إسلام، فاقلمت بها قريشاً من عشرين يوماً انتقل سلعة الهند، لعلني أجد ما أشتري، فلم أجد شيئاً، فبيتنا نحن في انتظار ما يظهر من أغراض، فإذا بسفن قدمت من عدوة النصارى، ففرحت، فلما أرسيت لم نجد فيها عدا الدخان، فما كان من صبيحة الغد، حتى كانت كلها موزونة على دمة مشتر، فيها خمس عشرة مائة فتلة، لم يدفع في لمنها إلا الذهب الجيد، وديقت بعد ذلك من خمسة عشر يوماً مقيماً انتقل ما نشترى فقبضت بعض أغراضني ولم استكملها بلذ ومهانة، ورجعت لغير نطوان فوجيت ذخائنا كله قد نفد، وصار لي من سخط الله عليه، فنفدت نقود المسلمين كلها في دخان لاصل له ولا حقيقة.

لا عجب من ثم أن امرؤي أحمد "بحرق هذا العشب الخبيث الذي يجرّوه النصارى في حرم الجديدة"، فلما حدث في إنجلترا عندما قام الملك جيمس الأول باعتباره عبثاً مسنوداً غريباً بتعطائه "العبيد الهنود، المصابون بالجدري" (مكافحة التبغ، ١٦٠٤)، وفي عام ١٦٠٧ حرم الفقيه المغربي الشار أبو محاسن "الشجرة التي جاءت من أرض الكفرة، فلما فعل الدخان، فما كان من أحمد عام ١٦٧١ الذي حرم التبغ لأنه سلعة مستوردة من أرض الكفار، وكثيراً ما تلقى الأوروبيون وأهل شمال أفريقيا في سياق التبغ.. ومن هنا جاءت شخصيات "المغربين الذين يتعاطيان التبغ، في بداية مسرحة توماس دكر سلوة الشهوة (حوالي عام ١٥٩٩-١٦٠٠).

وتنتيجة لرحلاتهم إلى أوروبا أصبح "المغاربة" والعرب، والأتراك، (وهو الاسم الذي كان يطلق عامه على المسلمين) شخوصاً بارزة في الأدب الأوروبي وفي المخيلة الفنية (في مجال التصوير)، واحتشد بهم الشعر والنثر في عصر النهضة: فنجد الأمير المغربي

كتاب الراويّة



حرب النهر المهمل

قبل عام ١٨٨١ لم تكن هناك أية حركات تعصب في السودان . بسبب البؤس هجر الناس عبادتهم ووصلوا حالة من اليأس كانوا مستعدين لأية مغامرة يمكن أن تلخصهم من عبودية العاصمين ، كانوا فقط في انتظار القائد الملهم الذي يستطيع جمع الشمل والكلمة ورفع الروح المنكسرة . وفي صيف ١٨٨١ ظهر القائد .

ولد الرجل الذي كان السبب المباشر لحرب النهر على ضفاف النيل ، في مكان لا يبعد كثيراً عن دنقلة . كان والده رجل دين متواضعاً ، ومع ذلك فقد جاهد ليوفر لأبنته قدرًا من التعليم في الممارسات الدينية ومبادئ القرآن وفن الكتابة .

برز محمد أحمد منذ الصغر في علوم الدين وطاعة الله وخدمته ، وبدون عناء وجد شيخاً يتلمذ على يديه حيث يندر وجود أشخاص أذكىاء ومعلمين حساناً في قطر كالسودان ! وبمجرد انتهاء فترة دراسته أصبح تلميذاً على يد الشيخ محمد شريف .

بعد حادثة شبيبة ، بينه وبين شيخه ظل الناس في السودان يتداولونها إذ كان نادراً أن يشق فتى عصا الطاعة على شيخه ، فسر الناس هذا الأمر بأن محمد أحمد كان يدافع عن الإيمان والعقيدة ، وأنه أخيراً جاء من يطهر الدين ويرفع كلمته ويصلح حال الناس . بدأت مشاعر الناس تنجبه نحوه لعل يكون المنقذ الذي يفك أسر رقاب القبائل من استعباد الأتراك . دأبت شهرة محمد أحمد ، وبدا في كل بقاع البلاد التفكير بأنه في يوم من الأيام سوف يظهر نبى ثان عظيم «المهدي المنتظر» الذي سوف يقود الناس إلى الإيمان والقرب من الله .

كان التبغ إحدى السلع المهمة التي ذهفت للمسلمين إلى السيفر لأوروبا أو الثغور الواقعة تحت الحماية الأوروبية في شمال أفريقيا . وكانت تجارة التبغ واسعة الانتشار حتى إن فقهاء المسلمين حرموها لأنها تعلم المسلمين العادات الأوروبية المردولة ، وتستنزف الموارد القومية من العملة الصعبة الشحيحة

إسطنبول: فبينما كان الأوروبيون في كثير من الأحيان يقيدون حدودهم القومية وطوائفهم الدينية ويخشون عبور الحدود البرونستانتية أو الكاثوليكية ، كان العرب (والأتراك) كما في حالة إيليا شلمبي الشهيرة) يستكشفون إمراطورية باكلها .

في يناير عام ١٨٨٢ قام السفير المغربي ، محمد تميم ، بصفحة سبعة أعضاء من حاشيته بزيارة فرنسا واكتشاف إيدياتها الاجتماعية والأفنية والفكرية . وخضر السفير أوربا «اتيس» لدى لولي حيث أبدى «هشبة عظيمه» ، ربما إزاء المشاهد المسرحية المذهلة التي اشتملت على «جبل مكرس للإلهة سيبييل» ، ومعيد وقصر وحدائق . كما حضر حفل باليه في الأكاديمية الملكية للموسيقى . وبعد ذلك بأسبوع ذهب إلى كاترالية توتر دام واستمع إلى عزف على الأرغن ثم زار المرصد الفلكي

ومثل أحد أساتذة علم الفلك حيث أعجب بمبادئ فكرة الأرخانط وحركات الكواكب وتسكوتها ويبدل (جمع بندوق) . وقد علق أحد الفرنسيين المراقبين له قائلًا: «إن هذا السفير لديه فضول شديد إزاء كل ما يتعلق بالعلوم والفنون» . وكانت هذه الزيارة ناجحة للغاية حتى إنه عند مغادرته السفير يوم ٢٥ فبراير تلقى هو وحاشيته هدايا تذكارية رائعة من ملك فرنسا .

وقد لوحظ عنصر الفضول هذا مرة أخرى مع عبد الله بن عائشة ، الوالد القومسي الذي زار فرنسا عام ١٨٧٢ . فقد قال المبعوث الأتلي : على أغا ، في حضرة مساعده محمد خوجة وإعضاء الوفد السبعيني الآخرين (الذي جاء إماماً وطباخاً وثلاثة حراس وخاسمين) «إنه لمن دواعي سروري أن تزور ملكة طالما قلنا لرؤيتها» . ومن ثم حرص المضيفون الفرنسيون على إشباع «فضول» الضيوف ، فأسخروهم إلى الأوبرا وشروحوا لهم الفرق بين نظام كوبرنيكوس ونظام بطليموس ، ودعومهم لاحتفالات أشتعت «فضولهم» كما قال المراقبون الفرنسيون .

لقد كان الرحالة العرب والمبجولون والسفراء والتجار ورجال الدين شديدي الحرس على طرح الأسئلة عن بلاد النصارى وعلى تسجيل الإجابات . ومن ثم لم يجمعوا إجاباتهم على وثائق . حيات كتاباتهم مليئة بمسيرة بالغة والمظنة ، وانعرت معلومات الكيفية التي كان ينظر بها غير الأوروبيين للأوروبيين في بدايات العصر الحديث . فلم تترك لنا حضارة من الحضارات غير المسيحية - لا الحضارة الهندية الأمريكية ولا الأوروبية جنوب الصحراء الكبرى ولا الآسيوية - وصفاً موسعاً للأوروبيين وبلاد النصارى ، سواء في القارة الأوروبية أو أمريكا ، ملماً خلفه العرب .

ترجمة: هاني حلمي

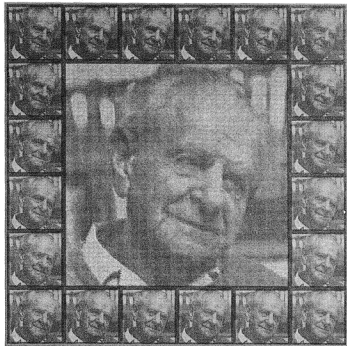
في مسرحية شكسبير تاجر البندقية: والمغاربة (الذين اعتنقوا المسيحية على أيدي التجار الإنجليز) في بلاط الملك جيمس الأول في مسرحية ميدلتون انتصار الحقيقة: والأتراك ، في الأدب الإسباني: والمغاربة الذين تعج بهم مسرحيات وروايات سرفانتيس ودي فيجا . في عام ١٨٨٢ كتبت أحد السفراء الإنجليز المجهولين بصف المغربي:

الذي ظل حبيساً أماماً طويلاً في القلعة التي أنشأها القضاة في يداه الغريبتان قلما تسد الجدران مرتعشاً دائماً وهو يرحل على الشيطان تضرعاً شهرة الأرض البريطانية فيه

وإنما روحه المتوقفة الرمال التسلي فينطلق ماضراً عياب الأطلنطي ، مناضراً بشجاعة صوب القلوب الشمالى ليصل إلى أرض اللجج والطر الحبيبة . وهذا نجد أنه بالرغم من مزاعم الشاعر الإنجليزي للمجاهمة إلا أنه يرى بأن المغاربة كانوا مغربين في الأندلس والقلم . فمن الشرق والمغرب قرأ العرب المسلمون والمسحيون عن العالم من حولهم وترجموا وكتبوا من خبرتهم المباشرة عنه . وكان الفضول والرغبة في المعرفة وراء أسفارهم . فعلى روايته عن رحلته إلى مكة في الفترة ١٢٣٠ - ١٢٣٢ ينصاح ابن مكيح من ينوي

الترحال والسياحة في «أرض الله» ، أن ينظر ويعتبر في اختلاط الأرض وبقيعها ، ويحبها وجبالها ووعرها ، تفكر الأنهار منها ، جريانها ، آثار الأمم الماضية وما جرى لهم وكيف صاروا خيراً وأجراً ، بعد أن كانوا رؤية وتفنن ، وكذلك ينظر باعتبار إلى اختلاف الخلق والألوان واللغات المختلفة والمأكلات والمشارب والملابس والعوائد والعجائب .

ومع أن الحجيج كانوا يقصدون وجهة دينية إلا أنه كان ينبغي عليهم أن يفتقدوا على الأفكار والظواهر والروائح والألوان والحيوية ، وكذلك كل ما هو مبتدع ومختلف . وعليهم أن يشعروا فضولهم خلال الرحلة التي ينوق لها الكثيرون . ويمثل شهاب الدين المقرئ متوجهاً كاشفاً لشعوب العرب المحدين الأولين في الترحال . ففي عام ١٢٠٠ رحل إلى فارس ثم عاد إلى تلمسان ، ثم عاد إلى فارس ، وبعد ذلك توجه إلى مصر عام ١٢١٨ ثم إلى الحجاز ثم عاد إلى القاهرة عام ١٢٢٣ ، ثم سافر إلى القدس ، وعاد إلى القاهرة ، ثم إلى الحجاز ثم القاهرة والقدس مرة أخرى وخيراً سافر إلى دمشق حيث مات عام ١٢٣١ . وعلى عكس تنقلاته الأوروبيين الذين كان عليهم توخي الحذر عند السفر إلى الأقطار المجاورة ذات الملل المسيحية المختلفة ، لدى الرحالة العربي (أو التركي) من شمال أفريقيا أو بلاد الشام إمراطورية شاسعة يحميها أمير المؤمنين في



بشكل عام أجاد كارل بوبر تمثل وتمثيل روح العلم بوصفه انضج وجوه الحضارة والنشج إجابيات العقل والأقدر على تجسيد الهم الإنسانى والعالية الإنسانية. العلم بوصفه أكثر حيوية وإنسانية من أى منطأ آخر. قضاياه قابلة دوماً للتكتيب والتطوير والتعديل، المتأيقظاً إلفه الرحيب الذى يلهم بالفروض الشخصية. يلعب الخيال الخلاق والعبقرية المدعومة للفروض العلمية دوراً أساسياً فى خلق قصة العلم المثيرة التى علت الإنسان المعنى الحقيقى للتقدم. والتقدم العلمى، كما سئرى - لا تقسره إلا الثورة، بمعنى التعبير الجذرى لبدء دورة معرفة جديدة.

أول أعمال بوبر وأخطرها «منطق البحث العلمى» صدر بالألمانية فى شبينا العام ١٩٣٣، ثم صدرت له ترجمة إنجليزية العام ١٩٥٩ بعنوان «منطق الكشف العلمى» لنظل من أبرز الكلاسيكيات الرائدة الموجهة لمسارات فلسفة العلوم. وتوالى أعمال بوبر؛ حتى صدر آخرها وأسسها وتمتعها «خرافة الطار: دفاع عن العلم والعقلانية، قبيل وفاته فى العام الأخير من القرن العشرين. بذاك العطاء

مئوية كارل بوبر... قرن توهج

المؤاتر المتدفق مثل كارل بوبر علامة فارقة ونقطة تحول فى مسار فلسفة العلم، وانطلقت من منطق تبوير المعرفة العلمية والعلمية مسوعات ولوقها ومصداقيتها إلى منطق التقدم العلمى.

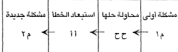


ذلك أن فلسفة العلم حين نشأت فى أواسط القرن التاسع عشر كانت امتدناً لسؤال فلسفة المعرفة (الإستمولوجيا) العريق حول ماذا يمكن أن يعرف الإنسان... وما شروط المعرفة وما سائلها... وما طبيعتها وما حدودها... وقد استقام شق العلم الحديث عملاقاً، ليتصدر إيماناً وإقتدار مسيرة المعرفة الإنسانية، ويمثل حالة فريدة لنجاح المشروع المعرفى للإنسان. فاصبح سؤال الإستمولوجيا الممثل فى فلسفة العلم هو سؤال حول عوامل هذا النجاح وحيلته ومبرراته. من هنا نشأت فلسفة العلم وهي معشنة بتبوير المعرفة العلمية كمحصلة جازمة ومعداة، أى تبوير نسق العلم كمجسز رامن، يمكن أن يستوعب تقدماً بعد. استمد هذا التبوير أساساً إلى إكام العلاقة بين الوقائع التجريبية وبين النظرية العلمية أو القانون، فى صورة المنهج العلمى - فلسفة العلوم، هكذا تمثل المنهج العلمى - تبويراً لنجاح المعرفة العلمية. وذلك فى المرحلة الأسبق من فلسفة العلم التى تعرف بالمرحلة الوضعية.

حتى كاد بوبر يحمل لواء المرحلة «البدع» وضعية؛ لينطلق بفلسفة العلم من منطق التبوير إلى منطق التقدم. إلى منطق الكشف العلمى والمعالج المنهجية إلى على أساس من قابليته المستمرة للاختيار التجريبى والتكذيب، قابليته لتعدين الخطأ فى تحليله وكشف أقبيل وأخفا وأقرب إلى الصديق

أتماع السلوك أباً كانت، سلوك العالم فى معمله أو سلوك الكائن الحى فى صراعه مع البيئة من أجل البقاء، أو ما بين هذا وذلك، أى سلوك هادف ليس إلا محاولة لحل مشكلة معينة. والمعرفة بدورها ليست إلا نشاطاً لحل مشاكل معرفية.

وما يفعله العالم هو أن يبدأ من مشكلة معينة (لكن ١) لنثأت محاولة حلها (ح ج) أى كائن حى يحاول حل مشاكله، والعالم بدوره يطرأ فسرصاً لحل المشكلة، لايد من اختيار محاولة الحل، هذا دور النقد سر التقدم الذى يتجلى أكثر ما يتجلى فى العلم، فى داب العلماء على اختيار الفروض اختياراً عسبراً ومحاولة تطبيقها بعزم أكيد على اكتشاف الأخطاء وتصويبها، فى كل حال لايد من استبعاد الخطأ (١١) والألن تستمر الحياة. بعد حذف الخطأ بين موقف جديد، وفى موقف جديد يمتو على مشاكل، لينتهي إلى مشكلة جديدة (٢٠). هكذا نجد الصورة المنهجية آلية محاولة، لآى سلوك إيجابى هادف:



هذه الصياغة من موضوع كيف أن المعرفة تسير فى حلقات متتالية، لكنها ليست دائرية، فهي لا تنتهى من حيث بدأت، بل تنتهى بوقف جديد ومشاكل جديدة. هذه الجدة هى التى تكفل التقدم المستمر. الخطأ داخل حل صميم كل محاولة ويستحيل تجنبه. الخطأ هو ذاته طريق التقدم المستمر بواسطة تصويبه واستبعاداه والاقتدار أكثر من المصدق. معنى هذا أن الصياغة قادرة على تجسيد منطق التقدم، ومنطق الكشف العلمى.

القائدة التى تزين صدر الحضارة الحديثة، فإن المنهج العلمى هو المنهج الذى نستخرج منه الفرضيات تلو الفرضيات. وفى هذا تتفوق الأطراف المعنية على أن كارل بوبر فيلسوف المنهج العلمى الأول وبغير منازع على هذه الأولوية: ويتعبر بيلع حقاً بقول عالم الفيزياء الرياضية فى جاساعة كمبريدج جون بولكين هورن Polkinghorne: «لأن كارل بوبر هو المنصر العلم الذى يشار إليه بالبنان حين طرح السؤال عن المنهج العلمى». هذا بخلاف علماء حصلوا على جائزة نوبل، أمثال جاك مونو وبيرت مور وسير جون إكسلر، أكدوا على أهمية الاسترشاد بفلسفة بوبر للمنهج العلمى. وكانت تصبجهم للعلماء الشباب أن يقرأوا ويندبروا كتابات بوبر فى فلسفة العلم.



على أن المنهج العلمى - كما يعلمننا الطرح البوبرى - ليس محض تقنية خاصة ببنوى الاحتراف، أو أصوليات حرفة جليلة تمنتهها فئة من نوى المعوق المتميزة الجيدة الإعداد فى فئة العلماء، بل إن المنهج العلمى أسلوب فعال فى التعامل مع الوقائع والوقائع، آلية ملمرة يمكنها الإنسان فى موقف لينتقل من المشكلات إلى حلها فى متوالبات تصاعدي لا تتوقف ولا تنتهى أبداً.

ينظر بوبر إلى العلم والمعرفة نظرة واحدة، ليس العلم إلا مرحلة متقدمة من المعرفة، بل هو عائلة الكائن الحى البائبة، هنا نأى لو شكنا كلفة كلها مرة واحدة منذ الأميبيا حتى أبشيشن لوجدناها تعرض النمط نفسه؛ لا المشكلات عن طريق آلية المحاولة والخطأ التى تقسرها ما يفعله العالم فى قلب المعمل، مثلما تقسرها أى سلوك إيجابى مخر على وجه الأرض.

■ تشهد أن مرور مائة عام على ميلاد فيلسوف العلم الأكبر كارل بوبر. Karl R. Popper (٢٨ يوليو ١٩٠٢ - ١٧ سبتمبر ١٩٩٤)، امتدت حياته حتى استوعبت القرن العشرين إلا قليلاً، ونل حتى آخر لحظة فيها فاعلاً منتجاً مثالقاً، وامتدت آفاق عقلية المثوية وفكراته المنطقية الرصيدة حتى استوعبت مضامين ودلالات التقدم العلمى المتوهج والمتسارع فى ذلك القرن. فجاءت فلسفة كارل بوبر خير انعكاس لهذا التوهج، فى قدرتها على تعدين وتنضيد إجابيات التفكير العلمى وإمكاناته التقدمية وطرحها كفعالية مفتوحة فى صلب الحضارة الإنسانية، بل وفى صلب الحياة على سطح الأرض.

والأجمل أن علمنا بوبر كيف تستعمل تلك الإجابيات المستقاة من التفكير العلمى وتستفيد منها فى التصورات السياسية والاجتماعية؛ فتأتى عاصفة بأصول الصهيونية، فى حين أنه ولد لأيوين يهوديين اعتنقوا المسيحية البروتستانتية قبل إنجاب أى من أبائهما فقط ليخرجوا من وضع الأقلية ويندمجوا فى الأغلبية المجتمع النمساوى فى فيينا.

المنهج آية العلم

وانتهى القرن العشرين - نستطيع - ببلقة - الحكم بأن كارل بوبر أهم فلاسفة العلم فيه، وأعقبهم تأثيراً فى اتجاهات فلسفة العلم فى النصف الثانى منه ومساراته الراهدة فى مطالع القرن الحادى والعشرين، ودلماً يظل المحور المركزى فى هذا المساحة البوبرية أنها أقوى تجسيد لإجابيات العلم وأصول التفكير العلمى والروح العلمية.

وكما أشار أستاذ الجيل الدكتور زكى نجيب محمود، إذا كانت منجزات العلم بمثابة فرائد



جديداً. على أن المصطلح الإنجليزي في أصوله اللغوية لا يجعل الرض حياً مفاجئاً، بل هو تقدم مكثف شديد الفعالية، انتقال جذري مرحلة أعلى أن أوائها لإنهاء المرحلة السابقة أو استنفاد مقدراتها.

ولنعد بمفهوم الثورة إلى موطنه الأصلي، إلى العلم. وقد ارتكنا أن المفهوم يعني عهداً جديداً أو على الأقل بورة جديدة. وكما هو بوير بالثبات يرفض تماماً النقل إلى التقدم العلمي كمحض تراكم كمي، وكان النسق العلمي مخزون بوسائل تتكاثر أو مكتبة تتزايد محتوياتها. يتغير بوير ببطء ثورية متطرفة ترى أن كل تقدم علمي مهما كان محدود النطاق إنما يمثل ثورة/ بورة جديدة في مجاله.

هذا المفهوم في الثوري المتطرف قد عاش في إطار القرن العشرين، فخان فيلسوف علم جيد الاستيعاب لدولة ومضامين ثورات هذا القرن التي بدأت - كما أشرنا - بثورة علمية كبرى طبقت الخلفين وعدت إحدا ثورة إنجازها الإنسان. وأجرا انقلابية عقلية في تاريخه وهي ثورة الشسبية والتوالت، وانتهت بثورات توالدت عنها ومازالت تلاعب وإرهاقاً. إننا في كل ثورة التكنولوجية عدت الانقلاب الثالثة الكبرى في تاريخ البشرية طراً، بعد ثورة الزراعة وثورة الصناعة.

هكذا يتبدى أمامنا أن العلم - وخصوصاً بفضل ثوراته الانقلابية في القرن العشرين - هو الذي يعلم البشرية المعنى الحقيقي للتقدم، والمعنى الحقيقي للثورة. وذلك في خلاصة الفلسفة البويرية، ومن ثم رأيناها فلسفة النقد، الاختبار ومحاولة التكذيب والتصويب والتعديل، وبالتالي الانزلاق الأتسر من الصق، فلسفة التقدم والحركة الدافعة والثورة... هذا من حيث هي لفلسفة للنقد، فلسفة للمعرفة... يستولولوجيا.

وليس المسألة بناءً سرمدياً أو ميتافيزيقياً متعاليًا سابقاً في الفحص، بل هي عصب الجدل الإبداعي والتصور للإنسان. من هنا سيجل أن ننتقل دون الحركة القيدية التقليدية النافقة إلى الرؤى السياسية والاجتماعية مع كارل بوير. وهو يحدثنا عن أحص تصوراته الفلسفية. عن المجتمع المفتوح وخصومه.

المجتمع المفتوح... أصول ديمقراطية،

يتمنى بوير - كما أشرنا إلى الانتقائية - إلى أصول يهودية؛ لأنه اضطر إثر الغزو النازي للنساج في العام ١٩٣٦ أن يفر منها إلى نيوزيلندا حيث قضى سنتي الحرب وإقام بتدريس الفلسفة في جامعتها، من أن انتقل من إنجلترا حيث استقر نهائياً وحاز لقب سير ورتبة شرف من الملكة. ملأ حصل على خمس عشرة دكتوراه فخريه من جامعات أمريكا وبريطانيا والنمسا وكندا، والميدالية الذهبية للخدمة المتميزة للعلم. والعديد من الجوائز والمناصب الأكاديمية والعلمية والفخرية. إبان إقامته بنيوزيلندا ألف بـ ثمانية كتباً

«المجتمع المفتوح وخصومه» في جزئين - ١٩٤٥، وعلى الرغم من أن بوير أسسها فيلسوف علم، فإنه - نظراً لسعة مجال السياسة وشيوع جمهورها - قد حاز شهرته من هذا الكتاب الذي طبق الخافقين وترجم إلى أكثر من عشرين لغة، ولقي اهتماماً واسع النطاق في مجالات ومستويات مختلفة.



أقترن اسم بوير بالمجتمع المفتوح وصار عنواناً لفلسفته السياسية والاجتماعية، حيث التمثيل المعيني لتطبيق منهج العلم العقلاني النقدي على مشكلات السياسة والاجتماع... حيث ممارسة الفلسفة النظرية في الفلسفة السياسية كحل لكامل المجتمع طريقاً للتقدم ملماً لكل العلم تقدماً ملماً.

تتكس إيجابيات المنهج العلمي هاهنا في صورة مجتمع مفتوح للرأي والرأي الآخر، ليغزو الحل الأقدر والرأي الأرجح، ويكون الانتقال من المشكلات إلى حلولها في إطار ديموقراطي، لتعلمن الصياغة (١٦ ج ١١) (٢٦) أن خطأ ما كان في حل محاولة، ما معنى أحد لا يمكنه الزعم بامتلاك الحقيقة؛ ليصب

المجتمع باخل إطارها ويغود الآخرين كالفتح... لاد من إفساح كل مجال للرأي والرأي الآخر، ليتلعب الرأي الأقدر على حل المشكلة. وهذا يستمر الديمقراطية والتعددية والشفافية النقدية والعقلانية والتسامح... باختصار المجتمع المفتوح، ويتخلص كل دعواي الديكتاتورية والانزدار بالرأي والتعصب والتطرف وسحبيل معه عصب المجتمع داخل الإطار الشمولي والنسق الموحد، لأن هذا مبادئ نسق العلم ومنطق الواقع ومنطق التاريخ، سواء أكان هذا النسق الشمولي الموحد هو

الماركسية أو سواها. لقد قضى بوير إبان مرافعته ثلاثة أشهر ماركسيًا، بدأ نقب بحساس للاشتراكية الديموقراطية ولجبرالية النصف الثاني من القرن العشرين المعدلة. وأخرج «المجتمع

المفتوح وخصومه» في عز أوان إزهار الماركسية جاعلاً لنقدها وقبولها من مراميه الأساسية. استبصر ذلك الحال للنظفة الشمولية المغلفة في شرق أوروبا، وبمجرد انهيار الاتحاد السوفيتي صدرت العام ١٩٩٢ ترجمة «المجتمع المفتوح وخصومه» إلى الروسية في خمسين ألف نسخة، نفذت فور صدورها.

المجتمع المغلق... أصول مسهوية،

تعقب بوير جذور الاتجاه الشمولي إلى ما قبل ماركس وأستاذ هيجل، حتى أرسطو وأفلاطون، بل وما قبل أفلاطون، محيطاً بخصوص المجتمع المفتوح وأعانه، إنهم نغاة المجتمع المغلق الممثلين القوى المناهضة للعقلانية والحرية والمساواة. انتهى بوير إلى أن هذه القوى المناهضة للتقدم هم رؤاس موقف بل يشف تمام من صدمة ميلاد الحضارة المدنية والخروج من الظلام القلبي المغلق في وجه الله والتكذيب والتعديل.

وعبر سحر الحضارة الطويل وصلوا إلى المراحل المعاصرة كان حاملو الرواس القبلية، دعاء المجتمع المغلق، يركزون على ما يسعهم من القيم العنصرية التاريخية historicism التي الزعم بمسار محتوم للتاريخ، يمكن التنبؤ به، وبالتالي قولية المجتمع والدولة والسياسة في إطاره، فيكون المجتمع المغلق.

أعقب بوير «المجتمع المغلق» بكتابه «مفم النزعة التاريخية»: دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية. ١٩٥٧، حيث يقض بوير كل حجج الاتجاه الفلسفي المعتقد في مسار محتوم للتاريخ، ويرى وظيفية العلوم الاجتماعية في التنبؤ بهذا المسار. إنه اتجاه عريق موغل في القدم، أصوله في الأساطير القديمة، وعرفه الإغريق فقال بل هيرزود وهيرقليطس وأفلاطون... ثم أوغسطين وابن خلدون وفيكو



ليس العلم إلا مرحلة متقدمة من المعرفة، بل من علاقة الكائن الحي بالبيئة، حتى أننا لو كشفنا القصة كلها مرة واحدة منذ الأميا حث أنيتشتين لوجدناها تعرض النمط المغلق على طريق آليّة المحاولة والخطأ التي تكسر ما يفضل العالم في قلب المعمل



وبوسيو وكوندريسيه وأوجست كوت... وغيرهم، تحدثوا عن إتمام أو إبقاعات أو مراحل تاريخية لابد حتماً أن تحدث، وكانت أقوى وأمضى صور التاريخانية مع ماركس الذي حاول أن يجعل التاريخ علماً، فقدم الحقيقة التاريخية - حقيقة معلى المجتمع الشيوعي الطبقي - في صورة علمية جديدة تضاهي حتمية نيوتن الميكانيكية. فقد كان عصر ماركس - القرن التاسع عشر - العصر الذهبي للحتمية العلمية.

وكما أوضحنا آنفاً، أتت ثورة الفيزياء الكبرى في القرن العشرين ثورة على حتمية نيوتن الميكانيكية، ثورة لأحتمية، وبوير التحال لهذه الثورة حتى الشاع هو بطبيعته الحال لأحتمية، يدافع عن الاحتمية في كل موضع، حتى آخر القرن العام ١٩٨٢ كتابه العميق «علم المجتمع» حجة من أجل الاحتمية، هذا في مجال العلوم الطبيعية - فما بالنا بالتاريخ؟ حل بوير على علاقته طوال سنوات عطائه المديدة فتبدى أي زعم بالاحتمية التاريخية، ولم يتساهل في هذا أبداً، وفي كتابه «علم النزعة التاريخية» يقض كل حجج الزعم بمسار محتوم للتاريخ، سواء أكانت مسبقاً من النزعة الطبيعية والتوجه العلمي أم معارضة لها.



كان من الطبيعي أن يحارب بوير النزعة التاريخية بهذه الشراسة، أمام قد أوضح أساس كيف أن الزعم بالحتمية التاريخية أساس مكني للمجتمع المغلق، ولئن كانت الماركسية أضحت صورة، بل بوير - إذ الأصول اليهودية - يحرص على إيضاح أن أولى صورها هي الزعم بحتمية إياها اليهود إلى أرض الميعاد، هي الصهيونية، إن التحول الصهيونية بجدارة مغبة ألباء الأسس الخافرة للمجتمع المغلق، ليس حسب، بل بجاهر بوير بل وضع اليهود في معظم دول أوروبا - طبعاً باستبعاد الد النازي - كان الوضع العدائي للانقلاب، ولم تكن ثمة مشكلة يهودية حقيقية، بل يعلن بوير صراحة في سيرته الذاتية أن:

«كل الدعوى العرقية والعنصرية شر مستطير، والصهيونية لا تستلتي من هذا». ولو أن بوير قد امتد به العمر ليرى مذمة جنين وما تلاها ويتلوهما حتى لحظة كتابة هذه السطور، لكان سيوافقنا أن الصهيونية ليست شرّاً مستطيراً فحسب، بل هي شر الشرور.

يهوديان صادقان مع النفس،

على الرغم من غزارة كتابات بوير في مسائل السياسة والاجتماع، وكثرة استشهاده بالوقائع والأفلة الحية والحالات الدالة بحكم منزله العلمي، فإنه لا يتطرق في كتاباته لدولة إسرائيل ذاتها أبداً لا سلباً ولا إيجاباً، ولا تان



بها لحظة واحدة، لا تبدو له الصهيونية حلاً لآلة مشكلة، بل مجرد دعوة عصرية، أي شراً مستطيراً، بتعبيره الحرفي «مادامت العصرية من العصر الطبق المصطنع المغلق الرافض الآخر، فضلاً عن الرأي الآخر، بدكرنا بوير بمعاصره ومواطنه اليهودي آرثر كوستلر (١٩٠٥ - ١٩٨٣) الذي جاهر بأن كتاب «عقم النزعة التاريخانية» لبوير هو العمل الوحيد في مناهج العلوم الاجتماعية الذي سوف يخلد إلى ما بعد القرن العشرين. واد بوير في فيينا عاصمة النمسا، وولد كوستلر في بودابست عاصمة المجر، وذلك في عصر الإمبراطورية النمساوية / المجرية، وشهدا معاً دولها وتفككها وهما في صدر الشباب. لاحدا درس في جامعة فيينا، ولكن لم يواصل كوستلر دراسته ليحصل على شهادة تخصصية، وهو باصل من بوير رداسته حتى حصل على درجة الدكتوراه من جامعة فيينا في الفلسفة. كلاما عاجز في اواسط القرن إلى إنجلتشر حيث استقر حتى وافته المنية.



كوستلر يهودي، لكنه يعكس بوير استهونه الصهيونية وهو في أوج صباه، كان لا يزال في الثالثة عشرة من عمره حين عدل سكرتيرياً لإمام الصهيونية المنطرق جايوبتسكي استأذنا مناجم بينين التي علمه أصول الإرهاب. ومن فرط إيمان كوستلر بالصهيونية سافر إلى فلسطين العام ١٩٢٦ لنشهد ويشترك عن كذب في تأسيس المشروع الصهيوني الانيب. أقام كوستلر في مستوطنة يهودية بوادي الأردن، وشهد ما شهد عن كذب لمدة عام واحد؛ كان كاتياً ليكرر بالصهيونية كفرةً ثانياً ورع منها قافلاً إلى أوروبا. الخيرة التي رم بها في فلسطين انعكست في روايته «لصوص الليل» التي أثارت حقن اليهود لصراحها وفجاجة الفسوة التي تعرضها.

الكتب كوستلر بحماس إلى الشيوعية التي بدت طريق اليوتوبيا (المدينة الفاضلة) الموعودة. وفي العام ١٩٣٦ انخرط عضواً نشطاً في الحزب الشيوعي، ومرة أخرى كفر بالشيوعية كفرةً بانياً في العام ١٩٣٨ بعد أن زار الاتحاد السوفيتي وشيخ قهر المردية وصخب الدعاية الجوفاء. وشارك زملاءه الأتقيين من الشيوعية الماركسية في تأليف كتاب «المعجود الذي هوى». وأيضاً انكسبت خبرة كوستلر بيزيف الشيوعية في روايته «المعزوع» و«قلام في الظهيرة» و«وصول ورحيل».

على أن أهم ما ينبغي أن نستوقفنا حفاً هو الكتاب الذي أخرجه كوستلر العام ١٩٧٦ بعنوان «القبيلة الثالثة عشرة» حيث يثبت أن يهود شرق أوروبا لا ينحدرون عن أصول سامية، بل هم نسل جماعات تركية كانت تعيش في غرب آسيا ثم اعتنقت اليهودية لفظ إيان العصور الوسطى. ويالصبح ثارت ثائرة

اليهود عليه، لقد أثبت مات مختراً هو وزوجته (الثالثة) في مارس العام ١٩٨٣؛ (أحد بوير زميلته في الجامعة وزوجته الوحيدة وظل حتى آخر لحظة في حياته بنوه بفضلها وفضل جبهها العظيم)

بوير بلاش رافض للصهيونية، بيد أنه لم يهاجمها صراحةً وجهاراً؛ نهاراً على هذا النحو. هل اعتقاداً لأخواله وإعماجه؟ أم بالأحرى لأنه فيلسوف، شوق على الأصمق والأصول التاريخانية للصهيونية، وإبلى بلاء حسناً في زعزعتها وتقويض حججها. ويظل هذا الرفض الهائئ العسيف للصهيونية من أجل إشراقات فلسفة كارل بوير، لكن لا تنوع من استسخنا المسير ومناصرة قصيدنا؛ فهو لا يتنصر إلا لكل ما هو غربي خالص. إن بوير يريب الشروع الغربي وأسيره. هو نموذج مثالي للتفكيرية التي تنحصر في قمع الحضارة الغربية ببالفه الوجاه. ينمض المرء ليصره الناقد كم هو حسير عن تجاوز حدود العالم الغربي. ودون اعتقاد المخصوص الأسبق من تاريخ العلم الحضارة، خصوصاً مرحلة الحضارات الشرقية القديمة الموهدة المغلفة للأصول والمرحلة العربية من تاريخ العلم المغضية منطقياً وتاريخياً وجغرافياً إلى مرحلة العلم الحديث. من أجل اعتبار لكل هذا، نجد الحضارة عند بوير بدات مع اليونان؛ وعبر فجوة الحضارة هي العصور الوسطى طحت رحابها في غرب أوروبا حيث معجزة العلم الحديث ومعجزة النموذج القليلير (الديمقراطي حتى الانتماء على الشيوعية لأنها مجتمع مغلق. كل ما عدا هذا فراغات سوداء لا يعرفها بوير أو لا يعترف بها، إلا كمشاهد على التخلف والجمود والديكتاتورية والانقراض إلى الزعة النقيية. واد امتدت الحضارة الغربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، يجاهر بوير بأنه أسعد الفلاسفة إذ عايش هذه الحضارة الرائعة التي أحزمت مجداً لم يحلم به الإنسان من قبل وهي تقضي على الفكر المدفوع وتقاوم الأمراض ولتوكل وتكفل الحرية ورفاهية الفرد وأمنه وتكرامته.

هكذا نجد بوير شقوفوني الإعجاب بالحضارة الغربية. وكانت فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر تؤد على طريق واحد ووحيد لتقديم الإنسانية هو طريق العقل والعلم وفصل الدين عن الدنيا، الطريق نفسه الذي قطعته الإنسان الغربي (أصبح اسمه الآن العولمة)، لتقدم مهمة الحضارة الغربية قرضه على الشعوب الأخرى المختلفة لكي تلحق بمسيرة التقدم. وبهذا انفت فلسفة التنوير الأساس الأيديولوجي العميق للاستعمار: جامعة الحضارة الأوروبية نوراً وناراً. هي نور التقدم والمدنية والعقلانية والديمقراطية ومنجزات العلم والتكنولوجيا وسائر حصائل المدنية. ونار المستعمر المحتل المسيطر المستغل المستنزف للموارد الذي أسفر في النهاية عن أسفل المسالين بتأسيس دولة إسرائيل ودعمها بغير حدود.

وبوير من ناحيته يدافع عن الجانب الإيجابي. عن الأنوار، عن العلم والعقلانية والعرفنة الموضوعية وقمع التقدم في مواجهة تيارات ما بعد الحضانية التي تتجاوز فلسفة التنوير أو تنقضها، ويحل بوير دالما التأكيد على أنه أخطر التهوريريين العظام. ويوضع إسرائيل بين قوسين لا مفر من الاعتراف بأن بوير وبشكل ما أيضاً آخر الاستعماريين العظام، وإن ريد الحضارة الغربية ما حققته من حرية ورفاهية وتقليص للفقر والجهل والمرض على ما بعد الإنسان. في الحضارات الأخرى في تاطيرها بدايةً أطلال تفكر أمة مرة قبل إعطائهم أي قدر من الحرية واستقلال!

الهندسة الاجتماعية

الجزئية طريق ثالث،

وتعود مجدداً إلى ممكن النار وهيكل النور في الفلسفة البويرية، انعكاس إيجابياتها التفكير العلمي على الرؤى السياسية والاجتماعية؛ لتستوقفنا أخيراً فكرة مدمرة للغاية.



الحقيقة المطلقة لن يعلمها

إلا خالق الكون، وليس على الإنسان إلا أن يحاول، وليس العلم إلا محاولات لتحل مشاكل نظرية وتطبيقية، محاولات ناجحة، تنفتح الطريق لمحاولات أخرى أنجح، كل إجابة يطرحها العلم يطرده معها أسئلة أخرى، فيؤدى كل تقدم إلى تقدم أبعد



ذلك أن بوير في إطار تقديمه للماركسية وللصطنع المغلق إجمالاً. كانت أهم الجوانب التي حاربها بشراسة فيما تنطوي عليه الماركسية من نزعة يوتوبية كلية. النزعة الكلية تتناقض مع النزعة العلمية تناقضاً حاداً، وهي بصفة عامة مرتبطة بالتاريخانية. افترضت الماركسية أنها بضرية واحدة - هي الثورة الدمية - سوف تلقب التطور التاريخي إلى المرحلة اليوتوبية والجنة الموعودة للكادحين. وهذا في جوهره مواصلة لمسيرة الفكر اليوتوبى الذي يطرخ تخطيطاً كلياً للمدينة الفاضلة أو جيب السماء إلى الأرض، صارفاً إلى الإصرار عن الطابع المرحلي لكل بناء معقد، وعن مشاكته التي يتولد عن حلولها مشاكل أخرى غير متوقعة (٢٤) كما يعلمنا منهج العلم وأصول التفكير العلمي.



وإذا كان التفكير الرومانتيكي هو تقيض التفكير العلمي، فإن هذا المنزع تنكلى نحو عالم أفضل إنما هو نوع من الرومانتيكية الصريحة. بحث عن المدينة الفاضلية - كل مستكامل من الماضي أو المستقبل.

ربما كان التفكير عنها في الماضي أكثر حضوراً في واقعنا نحن، في تلك الحالتين ريد بوير: «وعودا على الماضي المجيد، أو سبروا نحو مجتمع العدالة الاجتماعية». نادات إلى العواطف أكثر منها إلى العقل، طاربعها الكلى يستمرز إخماد قبضة الجتهاد الواحد والى الموجد على المجتمع ياسره، وغلق الأبواب أمام الراى الأخرى وإخماده، وبالتالي لا ندوخله على أساليب البوير والفسر والتعطف. ومع إخلص نوابيهم يصنع جيب السماء على الأرض، لا يفلحون إلا في جلد حدود الجحيم؛ لأنه الواقع المضطرب الحى الذي يابى الانصياع بسائر جزئياته المتكررة والصب في إطار هندسة كلية شمولية أي كانت. ليتأنيثا بكل ما نريد جعلته متصلاً.

ولكن لم يعنى هذا أنه لا سبيل إلى البحث عن عالم أفضل؟

كلا بالطبع، بل يمكن القول إن البحث عن عالم أفضل هو حادى مجمل الجهد الواعى العارف للإنسان (لبوير كتاب عواته «بحث عن عالم أفضل»)، وينبغي أن يظل هكذا، وإن نعمل دالماً على تغيير الواقع من أجل دره المصالح وحل المشاكل التي تواجه المجتمع والاقتراب دوماً من الأهداف المنشودة والمثل العليا. ولكن لا يكون هذا بالأسلوب الكلى الشمولى، والتخطيط المركزى الذى يحكم قبضته على المجتمع المغلق، بل عن طريق ما أسماه بوير بالهندسة الاجتماعية الجزئية المقتضى من الليبرالية. فإذا عن هذا؟

الهندسة الاجتماعية على إطلاقها تعنى إنشاء النظم والمؤسسات المجتمعية أو تكييفها وتعديلها وفقاً لنظرة مرسومة قبلاً، أو بالمصطلح اللاتى نقول (تبعاً لخطوط زرقاء blue prints) على أن النظم المخطوطة يسكن أن تكون شمولية تنحو إلى قلب المجتمع بأسره من وضع إلى وضع، بصورة حدية متطرقة، بضرية واحدة، أو حتى

كتاب الزاوية



حرب التهر نهاية غوردون

يصف تشمرشل اللحظات الأخيرة في حياة الجنرال البريطاني شارلي غوردون الذي أرسلته الحكومة المصرية والبريطانية لإجلاء ما تبقى من قوات في السودان وإنهاء الحكم المصري هناك بشكل سلمى .

عند المساء عزفت الموسيقى كالمعتاد ورويدا عم الظلام . . . وخلد سكان المدينة الجوعى إلى النوم . شعر القائد الذي لا يقهر بأن الأزمة على الأبواب ، ولكنه عاجز عن تفاديها ، وكان راضياً عن نفسه لأنه عمل ما عليه ، ربما خلد للنوم أيضاً . فى هدوء الليل تسلل العدو الوحشى إلى داخل المدينة . كان هنالك شك فى أن الجنود المتعبين . الجوعى المهكين من الحرب قد أعدوا الحراسة اللازمة ، انتهر العدو انحسار جزء من التيل الأبيض الذى ترك فراغاً بين التيل والحائط ، ومع سماع دوى هائل نتيجة لانفجار البارود والصباح دخل آلاف الدراويش الخراطم من خلال الأجزاء غير المؤمّنة .

ذهب جزء من القوة إلى القصر ، وظهر غوردون للقاتلهم . امتلأ الجو بالربح ولعنان الرماح ، بادرهم بالسؤال : أين قائدكم المهدي؟ لقد ظن أن بإمكانه إنقاذ بعض السكان ، كان يعرف مدى نفوذه بين الأهالى المحليين .

لم يتمكن من عمل شيء مع جنود الفرقة بالانتصار والاندفاع الدينى ، هجموا عليه ولم يحاول حتى استعمل أسلحته ، وانهالوا عليه قطعاً في أجزاء مختلفة من جسمه ، وقع على درجات السلم ، هنالك أجهزوا عليه فقطعوا الرأس وحملوه للمهدي ، وأعلموا في باقى الجثة حتى لم يبق منه شيء إلا أكرام لحم وخرق ممزقة ملينة بالدم .

بطورة دموية . وهذه هي الهندسة الاجتماعية الكلية التي رفضها بوير بشدة كما سبق . في مقابل هذا ، يمكن أن تكون الهندسة الاجتماعية جزئية: مخطوطات زرقاء أبسط وأضيق حدوداً . مخطوطة تنصب مثلاً على معالجة البطالة أو مرض متوطن ، أو تطوير نظام تعليمي... إلخ . ولما كانت كل محاولة في واقع الإنسان لابد أن يشوبها خطأ ما كما يعلمنا التفكير العلمي ، فإن مخطوطات الهندسة الجزئية المحدودة تجعل الخطأ بدوره محدوداً ، مردؤه أبسر ، والخسران الناجم عنه أقل مخاطرة من المغامرة بتخطيط كلي .

إن الهندسة الاجتماعية الجزئية تتلمس الطريق خطوة خطوة ، وتبحث عن أكثر المشكلات إلحاحاً ، يتبارى الرأي والرأي الآخر للوصول إلى أفضل الحلول ، فحل الديمقراطية محل القمع والديكتاتورية ، نقارن النتائج المتوقعة بالنتائج المتحققة فعلاً . نتربص على الدوام ظهور النتائج غير المرغوب فيها ، ولما لا مفر منها في كل إصلاح بل وفي كل محاولة إنسانية . هكذا يحل التنازل العفائي المرحلي محل التمسك المشوب والعنف والقسر . ونرفض كل دعوى بحماية التاريخ - ماضيه ومستقبله - بتدريك المجال مفتوحاً للتغييرات والتوصيات وفق أية مستجدات في الواقع .

تلك هي الهندسة الاجتماعية القريبة حقاً من روح المنهج العلمي بل أيضاً من روح النقائفة (التكنولوجيا) ، حتى يمكن القول إنها الأسس العلمية للسياسة ، فهي تتوقف على السياسة الواقعية الضرورية لتنفيذ أو تعديل أو تبديل المؤسسات الاجتماعية وفقاً لادلائها . سوف نخبرنا بأى الخطوات إلى التي يجب اتخاذها فعلاً إذاً رغبتاً مثلاً في نقادي الكساد لمؤسسة ما ، أو عدالة توزيع الربح الناتج من مؤسسة أخرى .

المهندس الاجتماعي هنا يتصور شيئاً ما يشبه التقانة الاجتماعية من قبيل تصميم النظم والمؤسسات الاجتماعية الجديدة ، وتشغيل وإعادة تركيب ما هو موجود فعلاً . الفهم الاجتماعي هنا تسعمل بمعنى واسع ، فتشمل الهندسة الاجتماعية العامة والخاصة ، أى على مدارج كبير أو صغير ، شركات التأمين والمحافظ ، الشرطة ، مؤسسات الخدمات التعليمية والصحية ، الهيئات الدينية والقسائية والإعلامية... إلخ . كلها تتناولها الهندسة الاجتماعية الجزئية بوصفها وسائل علمية إن جعلناها تحقق أهدافاً معينة ، ونحكم على كل منها على حدة تبعاً لمدى مصلحتها وقدرتها على تحقيق الهدف منها .

طرح بوير تصوره للهندسة الاجتماعية الجزئية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، في محند الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية ، فبدت كاسلوب ترقيع جزئي لمواضع ، عزف عنه المحمسون من كلا الجانبين ، التوافق للإصلاح والكامل لكل لا يقبل تجزئته . ولأنّ اتضح أن طريقهم أكثر التواءً وأبعد مثلاً إن لم نقل مستحيل المثال .



لقد شهدت بدايات القرن العشرين انتهاء الرأسمالية المقلقة ، رأسمالية "دع يعمل... دع يصر... إلى العالم يسير من تلقاء نفسه" بلا أى تخطيط أو تدخل من الدولة . إنها الرأسمالية التي كانت سائدة في عصر الثورة الصناعية وحاربتها الاشتراكية الصاعدة آنذاك ، وتنبأ ماركس بأقوالها ، وهذه هي نبوءة الوحيدة التي تحققت وإن لم تحل محلها الشيوعية كما زعم . على أية حال كان إخفاء تلك الرأسمالية المتطرفة أو تكييفها أو تعديلها تقدماً إيجابياً بلا شك . وبوير نفسه يعلن ارتياحه لانتهاه مثل هذه الرأسمالية .



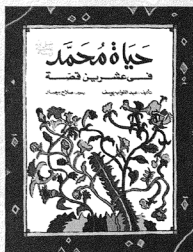
ومثلما شهدت بدايات القرن العشرين انتهاءها ، شهد العقد الأخير منه نهاية الاشتراكية المتطرفة وانتهى الانظمة الشمولية المقلقة باسم الاشتراكية في شرق أوروبا . لقد ثبت فشل التطرف من كلا الجانبين . وتتقدم الهندسة الاجتماعية الجزئية حين لتقنياتها وصياغتها وتوجيهها وفق أهداف ومثل عليا . وتبدو حلاً في متناول كل الأطراف ، يصعب أن يستأن بها أحد الطرفين . إنها فكرة عالمها فيلسوف ليبرالي اقترن اسمه بتطوير ليبرالية النصف الثاني من القرن العشرين في اتجاه خطوط الاشتراكية الديمقراطية التي ما فتئ بوير يثني عليها . وقبل وفاته بعامين قال إنه دائماً أشعر بجأ ، بمعنى إحساس العاقلين بالمسؤولية تجاه الآخرين الأقل منهم حظاً وتصيباً في الحياة . بيد أن البشر لأسلاف لا تتركهم مثل هذه الدوافع النبيلة .

لهذا نجد الهندسة الاجتماعية الجزئية التي عالمها فيلسوف ليبرالي قد أتت في جوهرها أقرب إلى الاشتراكية الديمقراطية ، بل والاشتراكية الغالبة التي عرفت كيف ترزع القيم الاشتراكية في سلب الحضارة الإنجليزية - معقل الرأسمالية ، حيث ينانز حزب العمال حزب المحافظين ويتغلب عليه كثيراً ويمسك بزمام الحكم .

ونختم رحلتنا في بعض زوايا الفلسفة البويرية بأن زعماء كلا الحزبين يقرون بأنهم مثاقرون ببيور أشهر وأهم فلاسفة إنجلترا المعاصرين ، ويلفلسفة السياسية والاجتماعية التي يرونها أول تطوير حقيقي وتغيير لفسار الليبرالية منذ وفاة جون ستبواتر مل ، أيضاً في إنجلترا الـ ١٨٧٢ .

إنهم الآن يتحدثون كثيراً عن الطريق الثالث . بعد ما رأيناه من أسوأ التطرف الرأسمالي والتطرف الاشتراكي على السواء . ونظهر مصطلح الطريق الثالث وكما يفرض نفسه حتى ظهور مصطلح العولمة يندثر بإتجاه كل ما عداه ، وذى صخب عال يطغى على كل ما سواه . ودون أن ندور في مشاهات العولمة المضحية إلى لا شيء ، تكفي بإيجابيات التفكير العلمي وقد تمثلت في الهندسة الاجتماعية الجزئية ، كآلية فعالة في صلب الطريق الثالث . الذى يبدو طريقاً ربيعاً لكلا الجانبين .

دار الشروق — كتبه الفائزة تقدم بالجوائز العربية والعالمية



* أوتصل برقم ٢٣٣٩٩ ، ٤ ليصلك كتابك المختار إلى منزلك في خلال ٧٢ ساعة. - (الفاخرة الكبرى فقط)

دار الشروق : ٨ شارع سيدي بويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ ومكتبة الشروق : ١ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠
مكتبة الشروق ، مبنى فرست امام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجزيرة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٢٥٠٣٥٠
www.shorouk.com email: dar@shorouk.com

اطلبها من

■ المقاومة الثورية فعل إبداعى، كما أن الإبداع الفنى فعل ثورى!

إن الثوار العزل من أسلحة الجيوش النظامية لا يستطيعون مواصلة ضلهم ضد أعنى آلات الدمار، المژدة بمراسلة لا تتمتع بها الجيوش، إلا بإيمان عظيم بالمستقبل، وحلم نبيل بالحلم والتضامن والبعى، وهو ما يخذل فيهم روح الثوار الثورى.. إن عودهم بدمر الحياة والجمال مدفوعاً بالخوف برغم ثقل القوة، لأنه لا يملك غيرها، وهم أنشأوا نوعاً من إعادة الأعمال فى يوم، لأنهم يملكون الحب والمخاض والنبذ!

تخلط، قبل الحبر والمخاض والنبذ! كذلك فإن الإبداع خلق جديد لصور الجمال فى مواجهة أشكال القبح، إنه الذى يعيد التوازن المفقود للحياة، ويقدم بالحلم ثباتاً مخلص للبشرية، ينقذها السلام واليقين فى الغد وفى انتصار الحق، ويوابع بالخيال وتجليات البصيرة لخلق الثورة، التى تحرر طاقات الجماهير عندما ترق نفسها إلى الفن، لذا فلم يكتفِ الخوف قداً لفن مبدع الغد والعديد والطفلة، فيما تخطى المتاحف والمباني والصروح المعاصرة والحائز والمطبوعات فى كل الدنيا بأعمال فنانت انتصرت للإنسان ومجدت نضاله من أجل العدل والسلام والحرية.

المخيم.. محطة الانطلاق

ولم يكن معرض الفنان محمد حجي الأخير إلا تأكيداً لهذا المعنى.. فمن قاعة لوحة، اتخذت جميعاً عنوان: شعب تحت الحصار، صاغ لنا حياة الشعب الفلسطيني البطل، ينطق وهو يخوض حربه المقدسة لتحرير أرضه من براثن الغاصب الإسرائيلي، بل كذلك وهو يمارس حياته الصاعدة، ويضمد جراحه، ويوزع فى نفوس أفرادها، مع عقيدة الحق وقسرية المقاومة وظل الاستشهاد.. حب العلم والبناء والتعبير، فيحمل المخيم / السجن - فوق كونه محطة انطلاق لحركة التحرير - إلى ساحة تتردد فيها أنغامه عبر النأي الذى يعزف عليه اللوحات الصور الشبيهة الربيعية ومحورها الوجه الآخر للمقاومة، مثل أم م في لهفة النقاء بولدها الغدائى الغائب، أو أخت صبية تتلقى نداء شجره باستشهاد أخيه، أو أشباهه كفل غش وهو يتعلم، مع أوائل الكلمات، كيف يستخدم النبتة، أو صبر صبي لا يجد من يشتري منه التفاح ليقفات هو وأسرته من شمة، وقد يكون أخوه فى اللحظة ذاتها مسكاً حجر يتحدى به الدباب.

لا تصطف أكرام المخروطة البيضاء على أرض المخيم كعمسكت الانتقال، تتكلى داخل إحدى هذه التماثيل على وعاء الغسل لتلتفت قبض أصابعها المشبع بالدم، وفى خيمة أخرى تنهد أم ثمانية فى إعداد الخبز لأسرتها أو للرفاقين، وتنتشر الأرزعة على الأرض فى مشهد فودح يعبق الحياة، وفى خيمة ثالثة ينطق تلميذ ببارحة الإبداعية على الأرض فوق كراريس وأجابه المدرس، ينطق الوجه قبل أن تفتاح نافذة تحول من استكمال، ووسط انقضاء منزل مسرته آلة العدوان يسارع الصبي - الذى صار رجلاً سولاً قبل أن يعرف لعب الطولة - إلى إنقاذ شقيقه الصغير من الموت وجرحه ينزف.

شعب تحت الحصار

معرض الفنان محمد حجي
٤ يوليو - ٤ أغسطس / الاستديرة قاعة منح
الفن الجميلة
١٥ مايو ٢٠١٥ بونيه ٢٠٠٢
قاعة الألق - الجزيرة - مصر

مائة لوحة صغيرة نفذت، احتلت نصفها تقريباً نماذج مستعدة لأطفال - فرادى وجماعات - وهم يمارسون شتى الأنوار والشايطات الإنسانية، بين المقاومة بالحجر والمخاض وسط أسنة الذهب وسحب الدخان وبين الجلوس لمشاهدة التفتيزيون على أرض الخيمة المغموشة ببساط مخطط بخطوط ملونة متعاكسة، وبينها مواقف عديدة، مثل ذلك الطفل الذى يلصق أذنه بجهاز الراديو أمام جدار عتيق حثب فوقه شعارات المقاومة، أو زميلته للثمن تملأ صفائح الماء من حنفية الخيم وتنتقلها إلى الخيمة التى تستمر حياة أسرهما، أو الآخر الذى يسقى الزرع، أو غيره الذى يتسلى سوراً من الأجبار ليرف العلم، أو هؤلاء الذين يعيدون بناء المنزل المهشم، أو الآخرين الذين انهمكوا فى تنظيف المدفع وتجهيزه للمعركة، أو أولئك الذين يشاركون فى تشييع جنازة شهيد، أو يزيرون مقبرة شهيد آخر أصمت صرخاً، أو هذا الطفل الذى يحتضن جرحاً صديراً بين حبه والخوف عليه.

قراءة خمسين لوحة خلقت بشتى أوجه الفعل المتأخر للطفل الفلسطيني، وللتخيل كيف يكون هذا الطفل بعد أن يصبح شاباً ورجلاً.. وهل يوسع قوة فى الأرض أن تنتزع منه أنذاك جرة الثورة والحرية، وقد ترسخت بداخله - مع قيم الثورة - قيمة التضحية بالروح كي تتحقق لوطن الحياة؟

كما احتلت شخصية الأم أو الكبرى عشرين لوحة أخرى، وهما ليسستا من الشخصيات الباكية المتأخرة على أيها أو أخيهما أو المولودة على بيتها المدرس، بل هما أقرب إلى تلك الشخصية التى رسمها الأريب الروسى كمسك جوري فى روايته الشهيرة «الأم» لكن بمخاض فلسطينية وسلوك عربى، تتيح الأمها لتشد أن ابتلائها لاستمرار المقاومة، ونراها جالسة تطرز الثوب أو تخطب الكساء أو تخبز العيش أو البسكوت للصغار، وكأنها تنسج بالخيال ألمهم فى الغد، ونراها تحتضن الابن أو الأخ بيد، وتصل باليد الأخرى بندقية.. فمن يدافع عن بيتها فى غيبته غير هذه البندقية؟ ونراها تحتضن العائد من المعركة بعد غياب، أو وهى تضمد جرحه - فتمسحه مع زاد الحب والحنان زاداً إضافياً للصمود.



وإذا مضينا فى هذا الإحصاء حول موضوعات اللوحات، فسوف نجدنا موزعة بنسب تتراوح بين ٦٠٪ و ١٠٪، من لوحات يطلها الابن فى علاقته بأبائته وهم يعلمهم كيف يستخدمون أفواههم أو حتى كيف يضعون اللسان على أفواههم، إلى لوحات لأطفال عائدتين من المدرسة أو جالسين يستذكرون دروسهم، وبين لوحات للفتيات والمواجهات مع العدو، إلى وجود ملقعة بقاء النار، إلى مشاهد الحياة اليومية فى المخيم أو الطوف على أطفاله انهزامه، فيما نجد ٢٠٪ على الأقل من اللوحات أبطالها هم أبطال المقاومة كباراً وصغاراً فى مختلف أوضاع المواجهة مع العدو.

شاعر الجماعة الشعبية

هى إذن معروفة لمحمية ممتدة الحلقات فى الحياة والعنف والمقاومة والموت، تملئ أسيرة الحياة طاقة على الاستمرار.. إن الفنان يقوم بدور شاعر الجماعة الشعبية الذى يقوى روحها المعنوية فى مواقف الخطوب الجسام،

وهو يبدأ من سرد الحقيقة - أو الواقع الجارية - لينتجى إلى روح الشاعر الخالص، مروراً بالتعليق الحكيم على الأحداث وإضفاء البطولة على الشخصيات التى تقوم بصنعها. وإن شئت مقارنة هذه التجربة بوسائل الفن العصرية، فلعلها أقرب إلى الفن التسجيلى / الدرامى، الذى يجمع بين التوثيق الفنى للحدث، وبين النمو الدرامى المصاغ بعين الكاميرا ومن خلفها الفنان المبدع المنسج، التى تجعل من تسليع المشاهد وتراكمها شيئاً يتجاوز الموضوع والحدث نحو التعبير عن جوهراً للحياة أو الوجود، وهى اختياره للأحداث والمشاهد وتجنباً فنان السينما المبدع كل ما هو مكرو ومألوف بالنسبة للجسم من خلال أجهزة البث الإعلامى بوسائلها المختلفة، لئلا يبرز البطولة وهى لك زاوية للفن، وليس منها بالضرورة مشاهد الاعتماد بالعدو أو تصوير عملية استشهادية، بل مشهد مثل تحضن ابنتها الغدائى العائد من الجبهة، وجرحه ينزف، أبلغ بكثير من مشهد ذلك الغدائى وهو يقوم بعملية ضد العدو.

الإبداع الفنى فعل ثورى

الوجه الآخر للمقاومة

عزالدين نجيب

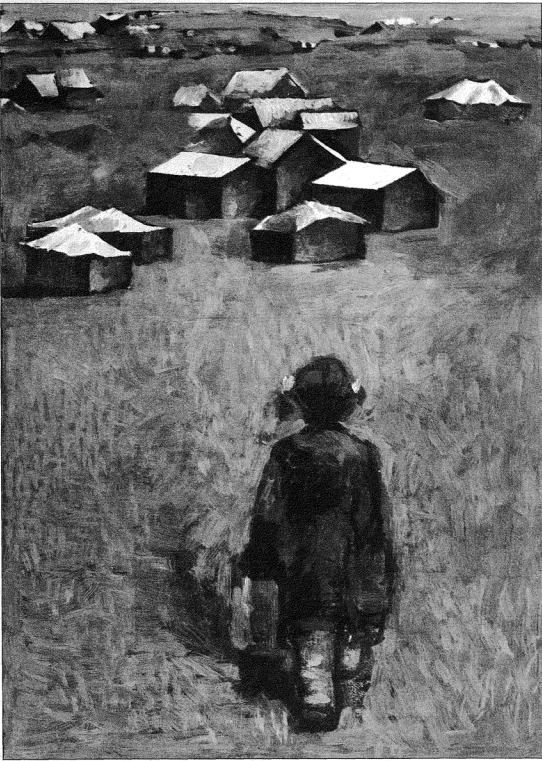


من هنا كان لجوء الفنان محمد حجي إلى الأسلوب الواقعى الذى يضاهى أحياناً التلقظ الفوتوغرافية، وقد كان يوسع التعبير بأسلوب حديث، مثل التعبيرية أو السريالية أو الوحشية أو حتى التجريدية والتعبيرية، وله فى كل منها تجارب فنية متميزة، شاهدناها عبر رسومه المواكبة لمؤلفات نجيب محفوظ ومصطفى محمود وغيرهما، كما أن كتباً خاصة به وحده، تضم لوحاته أعمال فنية فى حد ذاتها، حتى وإن ارتبطت بقضية سياسية أو ببيئة مثل: شمال / مين، رسام بقرا القرن، تذكيات ريفية، رباعيات عامية، ورسوم من جيبه، لكنه أثار الخلل فى الأسلوب الواقعى المباشر لسبببين: الأول أنه لمعنى بصرى ملقح الحياة اليومية لشعب تحت الحصار، كيف يعيش.. كيف يفتد أطفاله الصغار، حتى التعبيرية أو السريالية معجزة انتفاضة ومعجزة الاستشهاد، التى تجمع بين طعم الحياة وفود الموت دون شعور بالإحباط.. كيف يعرف الأرحان وينشد شعر الجرح والجزع يترزف.. كيف وكيف وكيف

والسبب الثانى هو أن قضية توصيل هذه الرسالة إلى جمهور آخر، يختلف تماماً عن تلك جمهور المثقفين ومرئى المعارض.. إلى تلك الكتلة العريضة الساكنة المسكوت عنها من أبناء الشعب التى لا يخاطبها المؤلفون والمثقفون.. وذلك هو مفتاح شخصية محمد حجي منذ عرفته عام ١٩٦٠.. طالباً زميلاً بكتلة الفنون الجميلة.. فلاحاً مصرياً حتى الشاع.. ملتحماً بقرينه سندوب قرب الغصوة، وبعد دراسته



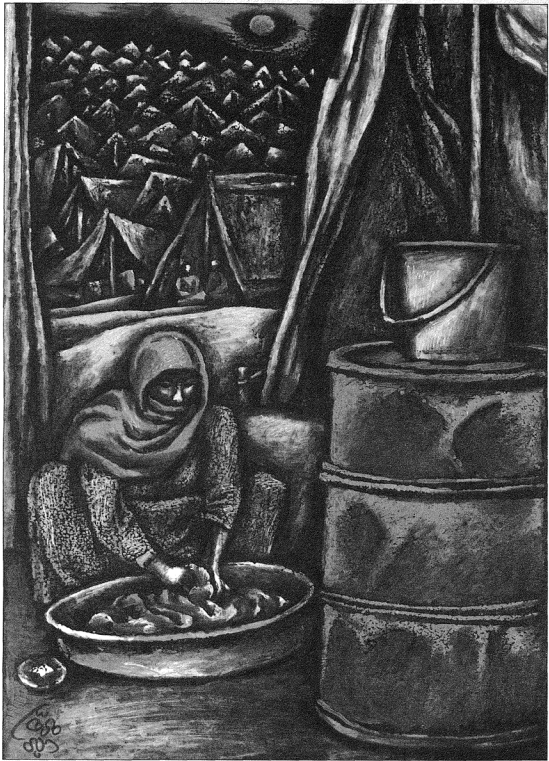




وخلال رحلة حياته الممتدة مع العمل والفن، حذرنا سياسياً متقوفاً في الأحداث، رفضاً في الوقت ذاته أساليب السياسيين ومنايرهم الحزبية، لذا لم يلتحق بأي تنظيم سياسي، ولم يغمس في أي حملة تقودها تلك الأحزاب.. بل كان له حزية الخاص الذي يبدأ ويتنهي عنده وحده، يتواصل مع جماهيره عبر قناة وحيدة وهي الفن، معطياً ظهره لجميع الفنانين والمثقفين، بل ومقلداً من شأن قناة التواصل الإخبارية بين الفنانين والجمهور وهي قاعة العرض، لأنها في نظره اختراع أوروبي وإداة لخدمة البرجوازية وللتكريس العزلة بين الفن والناس، ويسببها انعزال الفن عن المجتمع وتحول إلى ملاسم وورطاة أجنبية لا تعنى عامة الناس في أي شيء.. لذلك اختار حجي - منذ اللحظة الأولى لاتخاذ الفن مهنة - العمل خرسام صحفى، وحسبى قبل أن يتاح له العمل بمجلة «روز اليوسف»، مارس هذا العمل في مدينة المنصورة من خلال مجلة إقليمية محدودة، كانت مستفجرة الأول للإبداع والتعبير والتواصل مع عامة الناس وجموع البسطاء، لذلك أيضاً اتخذ أسلوبه سمياً تعبيرياً يتسم بالصراعة والقوة ليصل إلى وجدان الفارئ من أقصر طريق، في الوقت الذي لم تكن رسوميه فقط نسخاً فوتوغرافياً للواقع أو تمثيلاً لصورته، بل صياغة جديدة مختلفة له، مليئة بشحنة العاطفة وقوة الإيحاء، عبر الاختزال للتفاصيل والتفانيّة الهندسية التي تتشرب ببسطة من التكعيب والتجريد، وقد يبدو في بعض الأحيان متأثراً بمدرسة الواقعية الاشتراكية في دول أوروبا الشرقية فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة في الرسوم الجرافيكية باللون الأسود لإمهات الكتب الأوروبية التي ترجمت إلى العربية بغزارة في سنوات الستينيات، لكنه سرعان ما بنى أسلوبه الذاتي مستقلاً عن ذلك الاتجاه، وإن بقي لديه بعض من رواسيه.



وجدير بالذكر أن خبار حجي في الفن لم يكن الخيار الوحيد بين أبناء جيله، الذين خرجوا إلى معترك الحياة العنيفة في أوائل الستينيات، بل شاركه في ذلك كوكبة من الموهوبين تصادف أن ضاموا إلى الدراسة بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وخرجوا تباطؤاً في دفعتين أو ثلاث، وشقوا طريقهم بنفس قناة حجي وفي نفس اتجاهه الصحفي، رغم أنهم جميعاً يملكون قدرات إبداعية متميزة في فن التصوير ولوحة الحائط، منهم نبيل تاج ومصطفى رمزي ومحسن اللياد وجودة خليفة، وقد أسس كل منهم لنفسه قنواته الاتصالية عبر الصحف ووسائل الطباعة، وترك بصمته الفنية الخاصة كل في مجاله.



كسأت تلك إذن رؤية جيل، في ظروف مد
ثقافي وسياسي معين، حققها على أرض
الواقع مواهب خاصة تملك الاستعداد الفني
والفني لهذا المسار.

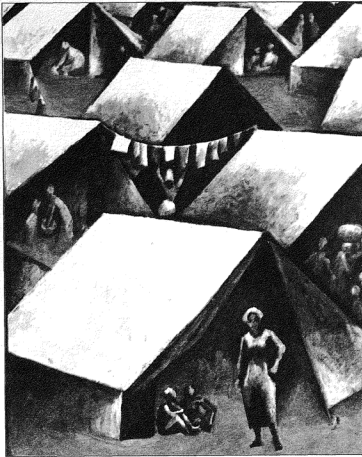
خيار القاعة النخبوية

من هنا فإن خيار حجي بالنسبة لأسلوب
لوحات هذا المعرض «خيار استراتيجي» إذا
جاز التعبير، وقد نشر عدداً غير قليل من
لوحات المعرض عبر الصحافة، وربما كان -
لهذا السبب- غير متحمس لإقامة معرض لها
يأخذ القاعات التي يعتبرها نخبوية بلغة
المثقفين، لكنه عاد فقبل، ربما لأنه أحس أنه
في حاجة أيضاً إلى رأي هؤلاء المثقفين، وربما
لأنه في حاجة إلى التغطية الإعلامية عبر
قنوات التليفزيون والصحافة وغيرها
للمعرض، مما ساعد على وصول رسالته إلى
قاعدة أكبر من الجمهور، وفي كل الأحوال فهو
لم يقدم تنازلاً ولم يغير جلد، وظلت قناعته
كما هي بالنسبة لنوع الجمهور العام الذي
يتطلع إلى التنازلات في وعيه، وقد باتت قضية
فلسطين جزءاً مهماً من هذا الوعي في الفترة
الآخيرة.. غير أن المفارقة هي أن ذلك الجمهور
لم يحضر افتتاح معرضه بالرغم من أنه قد
سلط عليه أضواء الإعلام، وربما لم يحضر
إلا الكليل منه على امتداد فترة إقامته التي
بلغت شهراً كاملاً، والسبب معروف، وهو أن
المكان الذي أقيم فيه - قاعة الألق - كان مصمماً
«كدشنة» عسكرية ملصقة بمنزل الرئيس
الراحل أنور السادات، وبالرغم من أنها الحلت
بمتحف محمد محمود خليل وأعيد تجهيزها
كقاعة فاخرة للمعارض، فما زالت الغربة
قائمة بينهما وبين الشعب، بل زادت بها
الإجراءات الأمنية المبالغ فيها - دون أي مبرر -
رسوخاً.. ولكم أشقت على الفنان حجي من
أثر ذلك في نفسه، هو الذي ظل طوال مشواره
الفني يهرب حتى من قاعات المعرض المفتوحة
ثباتاً ولدياً بغير قيود، فإذا به يقدم معرضه
الأول في مكان يشبه المواقع العسكرية ويدخله
أبواباً ساراً بمعبر تفتيش إلكتروني ويغلق
أبوابه في السادسة مساءً!



ولا أستطيع أن أقيس مدى وصول رسالة
المعرض إلى الناس وقد أقيم على افتراضين
(بالقاهرة ثم الإسكندرية) إلا من خلال
الترحاب الذي قوبل به في الصحافة ومن
خلال الندوة التي أقيمت في نهايتها بمتحف
محمد محمود خليل وشارك فيها الكاتب محمد
عودة والممثل الفنان سامح المصري
والشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد
والكاتبان الصحفيان أمين إسكندر وأسامة
عفيفي وقدمها المناقد الفني محمد
حزرة، وكما كان متوقعاً فقد غلبت





لغة الخطاب السياسي على لغة التحليل الفني. باستثناء طمات لإسماء غلبي وحلي شعراوي وأحمد عبيد الذين أشاروا إلى بعض الجوانب الفنية في أعمال محمد حجي وربطوا بينها وبين منطلقات الحركة الوطنية وتجاريه الإبداعية السابقة بين الصحافة والكتب التي أصدرها، وإشعار بعضهم إلى سمة المحمية والجلال والاستهزام من التراث الشعبي والمزج بين الواقعية والرمزية. وصولاً إلى أن يصبح الرسم كالمشور الفني الذي يصل مباشرة إلى القلب.

بين التشويق والرمز

ولعل من المفيد أن ندخل إلى مدى عمق نحو التعرف على الخصائص الأسلوبية التي تقدم أركان اللوحة عند الفنان حجي بعد مرور الحدث أو المناسبة التي أوجدت اللوحة. وذلك هو المعيار الحقيقي لتقييم أي عمل فني.

بالرغم من أن محمد حجي قد اختار الأسلوب الواقعي المباشر بهدف التشويق الفني. فقد حرص على شيئين: الأول هو أن يضع الشكل الجمالي في صلب اهتمامه كقيمة تمثل غاية في حد ذاتها، والثاني هو التحليل بالموضوع والشكل معاً في فضاء الزمن. الذي يمتد شمولاً إنسانياً يتجاوز الأني والسياسي المحدود. وسواء في هذا أو ذاك فإن مساحة اللوحة بكل أجزائها تحتوي بنفس الحيوية البنائية. لا فرق بين بطل اللوحة الأمامي وخلفيتها البعيدة - وعبارة أخرى فإن العناصر الخطية واللونية والملمسية تمتد لتشمل كل سنتيمتر في اللوحة. لتبدو كتلة نابضة بوضوح الضوء وتغير اللون وتراء المسحوقية الخط، بل تبدو أحياناً بعض العناصر التكميلية للأشخاص (من أحجار وأوان وخيام وجدران حجرية قديمة وقطع من القماش، أو قطع من بسط مفروشة على الأرض وقطع من الملابس...) إلخ) تبدو وكأنها مجرد دراهم فنية استعملها الفنان وجودها لتحقيق تلك الحيوية. من خلال منظومة من التعشيقات والتوافقات والتقابلات والتبادلات اللونية والخطية والملمسية، مما يجعلنا نرى اللوحة عملاً «فوق والقي» لأنه يتخطى حدود «المشابهة» إلى «الموازاة» للواقع.

ومن ناحية أخرى فإن «الموضوع» يمثل في كثير من اللوحات محطة انطلاق إلى الهدف وليس محطة الوصول إليه. أي أن الفنان يبحث عما وراء الموضوع والحدث الجزئي. عن معنى كل مجر، يستخلص منه الدلالة والمثال «تضخم» أشمل. يمكن أن يرقى في بعض اللوحات إلى مستوى الرمز. لكن هذا قد ينطبق على نسبة في حدود ٢٠٪ من مجموع اللوحات. على حين نجد نسبة ٢٥٪ أخرى تترك على مشارف الرمز. فمما يشغلها «الموضوع» ويرسيها عند مستوى

الولبية، لتبقى النسبة الباقية من اللوحات كشهادات درامية حية نابضة بطزاجة التجربة الإنسانية وفعل المقاومة بأوجها المختلفة. فكيف يتجلى ذلك في الشق الأول، الخاص بالأسلوب والبناء الفني؟

لننظر - مثلاً - إلى لوحة الأم التي تغسل قميص ابنها الملقح بالدماء: لو كان الهدف هو إبراز درامية الموضوع وحدها لاقصر التكوين على الأم وعلى فعل الغسيل. لكننا نرى الأم أصغر حجماً من برميل الماء الأحمر على يمين اللوحة، وقد بدت فيه تجعدات بتقسيم متعوجة وفوقه دلو الماء. كما أن وميض الإضاءة على الأم ووعاء الغسيل أقل من وميض الإضاءة على خيام المخيم وحواف الخيمة التي تجلس بداخلها. والساحة الرملية الممتدة أعلى رأسها.. إن العناصر تحولت إلى حركة إيقاعية ديناميكية تحدث حالة درامية شاملة تتجاوز الموضوع المباشر.

وفي لوحة الصبي الذي ينقذ ثدي الصغير من بين حطام المنزل المهدم، نرى المساحة التي يشغلها الحطام حول الشخصين يتفاصيلها المعقدة وانعكاس الضوء فوقها بأسلوب أقرب إلى التصوير. إضافة إلى المساحة البيضاء للسقف المنهار التي تظلم، تملأ من محور الرؤية البصرية المبهرة للتلألؤ والتي لا يفتت وجهها بخفوت ومع الموضوع.

وفي لوحة الأطفال الخمسة المتراصين في حالة استغراق شديد، وهم يشاهدون التليفزيون نجد مساحة أجسامهم الصغيرة تحتل شريطاً معتماً في الجزء الأعلى من اللوحة. فيما نجد الجزء الأسفل بأكمله مخصص للتكليم المفروش على الأرض بوحدة

هيئة مكعبات بأسقف مائلة. وقد بدت سطوحها كشرائح ضوئية مشعة تتقابل بدمع مع كثافة الظلال السوداء على جوانبها. فمما اكتست اللوحة بكم هائل من اللمسات التائيرية الرمادية والخضراء، هنا يتسامى المشهد نحو آفاق رمزية وأبعاد مظللة لو ابتعدنا قليلاً عن الموضوع المباشر.

« وهناك لوحة الفتاة التي تقوم بتطريز قطعة قماش حمراء، وقد نفذت بأسلوب تعبيري هندسي متميز. ومثل آخر للوحة المظاهرة التي تضم زحاماً هائلاً من البشر بوجود سمراء ترفرف فوقها الأعلام فتبدو كأنها سواد خرافية. فيما تبدو خلفها بقعة ضوئية مستديرة.. إنها ترتقي فعلاً إلى مرتبة الشجر المحسني والجوي السريالي معاً.

« وهناك لوحة الأم والأطفال ومعهم حيواناتهم وهم يتزلون درجات السلم المنهار: إن الضوء هنا يلعب دوراً مدهشاً في خلق حالة الانهيار والمظاهرة عبر سطوحات تعبيرية جريئة.

« كما نلاحظ بدهشة إرهابيات الرمزية (السريالية من خلال لوحاته التي يبدو الفنانون فيها بوجود مخطأة بالاعتناء منها ما يتخذ شكل ب أو ق، ومنها ما يحاكي الأنثى الأفريقية. وقد تشكل اللمع على هيئة علم فلسطين.

« وهناك أخيراً وليس آخراً لوحة جنازة الشهيد. وقد تلاصقت فوق حافة التعلل أيدي وأصابع المشيعين بإيقاع متواز فبدت كاصابع آلة البيانو، فيما يتوهج وجه الشهيد الذي نراه من منظور عكسي - من مؤخرة الرأس - بوضوحه الأرض وشراسبيته المنسقة في الضوء كهيئة من النور وسط العتمة.

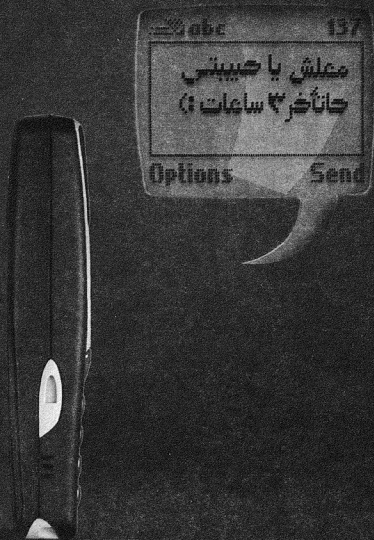


وقد يكون الفنان محملاً في تزعمه إلى الاستشهادية المتشعبة التي تتجلى للجانب الإيجابي من لوحات العرض، وفي تصوره لإيمية ذلك وصول الرسالة إلى فئات جماهيرية أوسع من المعتاد، غير أننا نرى أن أعماله التي اهتم فيها بالجمالي المجازي لذلك الأسلوب، جامعا فيها بين الواقعية والحداثة، وأعماله الأخرى المحلفة في سماء الرمز، قد تكون أكثر نقاداً إلى وجدان الجمهور، خاصة مع اعتيادها مع شاهدة الانعزاش وحدثات المقاومة عبر الصور المتألقة من خلال التليفزيون والصفاقة بصفة يومية، ما جعل منها أنماطاً مكررة تفقد دلالة بصرية في شبيهاتها عبر لوحات الفنان.

« ومع ذلك فلتكن كل شهادة البهدة نحو رؤية جديدة، انطلاقاً من منصة إبداعية ورمزية تجرّبها المقاومة الفلسطينية العادلة



ما فيكش دماغ تتناقش؟... ابعت رسالة قصيرة SMS



- (-) اكتب الى نفسك فيه من غير قلق ولا كسوف.
- (-) ولو عاجز تتأكد إن رسالتك وصلت اكتب #NM* قبل الرسالة.
- (-) ولو حببيت تبعثها هي وقت محدد اكتب # "ترك مسافة" عدد الساعات "ترك مسافة" DEF * قبل الرسالة.
- (-) وكمان ابعت رسالة SMS لخارج مصر ينقش السعر الإجمالي.
- سعر الرسالة: ٣٠ لعملاء الاشتراك الشهري و ٥٠ لعملاء السو

خدمة الرسائل
من موبينيل

MobiNiL
المحمول في يد الجميع



ماك

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

قطع موكيت

دواسات حمام

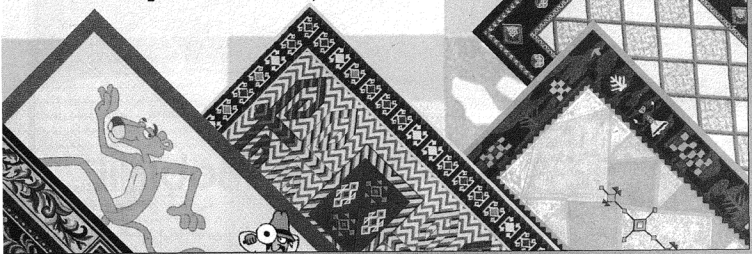
سجاد أطفال

مشايات

مطبوع

شرقي

ماك على الإنترنت www.maccarpet.com



بواقى التصدير والرواكد

مراكز البيع

مصر الجديدة: ١٢ ش محمد المهدي . نبيل الواد أرض الجولف ت: ٤١٤٧١٢
مدينة نصر: أرض المعارض بوابة (٩) شارع الفنجرى ت: ٤٠١٦٣٣٠
الزيتون: ١٢ ش عين شمس . ميدان حلمية الزيتون ت: ٢٤١١٢٤٧
عين شمس: ش أحمد عرابي من أحمد عصمت أمام مزرعة الزهراء للخيلول

الشرابية: ٤٠ شارع الآلاتي
المرج: ش ترعة السلطوحية عمارة سعيد شاهين
الحرفيين: ميدان الحرفيين عمارة الربيع
شبرا: ٦٤ ش روض الفرج . دوران شبرا
ناهما: ١٠٧ ش ناهايا بولاق الدكور
الزاوية الحمراء: ٦ شارع منشية الجمل عمارة العمدة
العمرانية: ٢ ش عبد الرحمن مطر
إمبابة: ٦٣ ش الوحدة
الهرم: ٤٥٦ أول ش الملك فيصل
مصر القديمة: ٦ ش اثر النبي
المعادي: ٢ طريق مصر حلوان الزراعي محطة المطبعة ت: ٥٢٤١٦٥
حدائق القبة: ١٤٥ ش مصر وحلوان والسودان . محطة الجراج ت: ١٠٠/١٥٥٠١٧
القلمة: ١ ش سوق السلاح ت: ١٢/٢٤٣١٦٠٥
بهتيم: ٢٢٩ ش ١٥ مايو أمام حي شبرا الخيمة ت: ٢٢٠٧٦٩٢
صفط اللبن: سنتر الصاوي . شارع التحرير
مكرم عبيد: ٢٥ شارع أبو داود الظاهري . مكرم عبيد ت: ٢٨٧٢٣٢١
فيصل التناون: ٢٥٧ شارع الملك فيصل . محطة التناون . الهرم. ١٠/١٧١٠٤٩٠
الصحفيين: ٢ ش النيل الأبيض متفرع من شارع أحمد عرابي ت: ٣٠٩٤١٢
السيدة زينب: ٢٨ شارع مراميتا ت: ١٠٠/٦١٨٦٩٤٥
حلوان: ٢٧ ش أحمد بدوي من رايل ت: ٥٥٥٩٨٨٧
الأويرا: ١٠ ميدان الأويرا محلات إسماعيل علي ت: ٣٩١٤٩٩٩
المنزلة: شارع عبدالنعم رياض عمارة الدكتور الخريسي
دار السلام: شارع القيوم أمام مجمع المدارس
العباسية: ١٥ ش العباسية . ميدان الجيش ت: ٥٨٩٣٨٥

أرقام تليفونات معارض مدن القناة والوجه البحري

العاشر من رمضان: الحى الأول
العاشر من رمضان: المجاورة ٩
العاشر من رمضان: دوار العاشر . طريق الإسماعيلية
دكرنس: ش مجلس المدينة عمارة التميمي
بلقاس: ش طريق الحرية . خلف المحكمه
مصر بك: الإسكندرية ٦ ش ايديوس من شارع مسجد الحضرة ت: ٢٠٣٩١٨٤٧٠
دمهور: ١٢ ش الشيخ عبدالكريم ت: ١٢/٢٤٣١٦٠٦
ميت غمر: ٥٢ ش الحرية متفرع من ش بورسعيد ت: ١٠٠/١٧١٠٤٧٠

القناطر الخيرية: ٢٥ ش البلى متفرع من ش ١٤
شبين القناطر: ٩ ش الدلتا
بنها: ش الكوبري
السويس: ٦٦ شارع الجيش
المحلة الكبرى: ش شكرى القوتلى من ش الجيش
طنطا: ٨٧ ش سعد الدين من ش النحاس
المنصورة: ش الجمهورية أمام كلية العلوم
كفر الشيخ: ٤ ش الشهيد محمد الدمدرداش الشينانى
الإسكندرية: ٥٠ ش مصطفى كامل أمام كلية التربية الرياضية . فلمنج ت: ٥٨٠٤٩٧٧
رمادا: برج رمادا بالإسكندرية
العصافرة: ش عثمان ابن عفان بجوار المعهد الدينى
الزنتارية الإسكندرية ١٠٢ ش الزنتارى - سيدى جابر
العامة: ش مجمع سيدى مسعود الإستهلاكى عمارة خميس الهوارى
الزقازيق: ش المديرية عمارة العقدين الكبيرة المنزلة ت: ٣٢٢٢٢٩
منوف: ٨ ش ترعة الحشاشة . طريق التأمين الصحى ت: ٦٦٠٠٧٢
دسوق: ش الجيش . أمام عمرا قندى
الإسماعيلية: شارع شحنة - البكة الحديد سابقا
شبين الكوم: ٢ شارع صلاح الدين أبو الخير من شارع الجلاء البحرى
بورسعيد: ميدان الملة - برج الملة
دمياط: ش جنينة سرور أمام الفرن الألى
كفر الدوار: ١ ش أحمد عرابي
أبو حماد: ٢٠ ش التحرير برج الغزالي
السنبلالين: ٦ الجيش المصرى
كوم حمادة: ش مستشفى القواسمة خلف مجلس المدينة
ظافوس: ش الساحة عمارة التميمي . خلف المحكمه
كفر الزيات: ش الجيش أمام نأدى المعلمين
العريش: ش ٢٢ بوليه أمام بنك القاهرة

عناوين وأرقام تليفونات المعارض عن الوجه القبلي

سوهاج: ش النهضة بجوار عمر أهندي ت: ٩٢/٢٢٢٢٨٩٠
بنى سويف الجديدة: ٣ شارع أحمد عرابي ت: ١٢/٢٨٢٢٢٨
بنى سويف: ٥ ش أرض المحجل ت: ٣١٥٤٦٦
قنا: ش كوبري دنطرة عمارة أحمد عامر ت: ٢٣٢٢٤٨
قنا الجديدة: ش جودى متفرع من ش الأقصر سوق ليبيا ت: ١٠/١٦٦٦٨٩٥
الأقصر: ش مدرسة الصناع . السوق التجارى ت: ٢٢٢٠٨٢
أسوان: هيميمى الجبالوى متفرع من شارع قاضى الجداوى ت: ١٠/٢٦١٨١٩
أسبوط: ١٢ ش المدينة المنورة الزهراء ت: ٣٠٦٠٣١
المنيا: ١ ش الجمهورية ت: ٨٦/٢٥٢٣١٦٦
الفيوم: ش ٦٦ يوليو عدلى يكن سابقا ت: ٨٤/٤٤٢٢٢٢

ثورة يوليو وخمسون عاما

السؤال الأول:

هل كانت الثورة لازمة؟

” هـ “



محمد

حسين

هيكل



تركز على نقط التلاقي بين عناصر عسكرية وعناصر مدنية (بالذات الإخوان المسلمين والشيوعيين)، وكانت تقارير القمم السياسية - للإصناف - تدل على جهد كبير، يظهر فيها ما يدل على أن القمم المخصوص فيه إلى خطر مؤكد من عودة جيش جريح في فلسطين إلى مناخ سياسي «مضطرب» في القاهرة، (نتيجة لكل ما وقع سنة ١٩٤٨ ابتداء من إضراب البوليس، إلى حرب فلسطين، إلى حل الإخوان المسلمين - إلى اغتيال رئيس الوزراء «محمود فهمي النقراشي» - إلى اغتيال مرشد الإخوان المسلمين الشيخ «حسن البنا» بأمر مباشر من رئيس الوزراء وبواسطة هيئة مكتبه بما فيه حرس الوزارات).

● وكان المصدر الثالث هو تنظيم «الحرس الحديدي» التابع للدكتور «يوسف رشاد» المقرب من الملك (والطبيب الخاص له) وهو تنظيم أقسم أفرادهم بيمين الطاعة للملك والإخلاص غير محدود لادانته، إلى جانب تعهد بالانتقام من أعدائه السياسيين وتصفيقتهم، ثم حماية شخصه بالأجساد والأرواح إذا اقتضت سلامته أو مصلحته، وكان على الدكتور «يوسف رشاد» أن يحول هذا كله إلى توجيهات وخطط.

وكان ضباط الحرس الحديدي بطبيعة الأمور وسط الجيش، بل وكان بعضهم في فلسطين سواء بدافع الحماسة الوطنية أو بدافع جس نبض القوات المسلحة ومتابعة أحوالها، بما في ذلك «المزاج» السائد وسط سلك الضباط (وعضاب الصف الذين رُكز عليهم الشيوعيون في حين ركز الإخوان على الضباط).

.....
[وقد اطلعت على تقريرين من ورقتين بملحقات مكتبه البوزباشي، مصنفين كمال صدقي، (من ضباط الحرس الحديدي الغربيين في ذلك الوقت) - تعهدت له السبعية «ناهم» رشاد - قرينة الدكتور «يوسف رشاد» بأنها

العهد الثالث والأربعون، أغسطس ٢٠٠٢ م

.....

” ١ “

جيش مجروح وشعب موجه

.....



ضباط مصريون في حرب ٤٨

من بعض العلامات والإشارات على هوانش التقارير يهتم بالجزء الأمني فيها.

● والمصدر الثاني هو القمم المخصوص في وزارة الداخلية وهو المسئول عن متابعة النشاط السياسي في الداخل، وكان يكتب تقريرا يوميا للقصر تحت توقيع ومسئولية رئيسه اللواء «محمد إمام إبراهيم»، ولم يكن القمم المخصوص يكتب عن أمن الجيش عموما، فذلك ليس اختصاصه، ولكن اهتمامه بالتحديد

وإلى الواقع (وكما يظهر في تقارير الحرس الملكي ضمن محفوظات قصر عابدين) - فإن الملك كانت لديه وسائل علم بما يجري داخل الجيش من ثلاثة مصادر يمكن الوثوق فيها:

● المصدر الأول هو «المخابرات العسكرية» للجيش المصري، وكانت تابعة للفرق «محمد حيدر» (باشا) مباشرة، وكان «حيدر» يرسل التقارير وأقية إلى القصر، وكان الملك كما يبدو

■ من الظواهر العنصرية على الفهم وغير القابلة للتصديق أن الجيش العائد من فلسطين مع بداية سنة ١٩٤٨ - كان بذاته علامة الاستفهام الكبرى التي ظهرت لأول مرة على الأفق السياسي. وكان بذاته العنصر المجهول الذي يحتمل أن يكون الأشد تأثيرا على معادلة السلطة في مصر ابتداء من تلك اللحظة، ومع ذلك فإن علامة الاستفهام الكبرى لم تعثر على إجابة لها. كما أن العنصر المجهول الذي نذوق منه الجميع، وصل إلى حيث فعل فعله بعد ثلاث سنوات (يوليو ١٩٥٢) - دون عائق جدي يعترض - أو يمنع!

ولم يكن ما هو حاصل في قلب الجيش العائد من فلسطين سرا خافيا على أحد، بل لعل الخوف منه بالتحديد كان الداعي الذي وصل بقلق السفارة البريطانية في مصر إلى الإحاح بسنة لافتة على عودة حزب الوفد إلى السلطة، تخفيفا لنوع من الاستفهام الشرعي تتطلبه الظروف المستجدة، وكل ما فيها يدعو إلى التوجس ومن ثم التحوط المسبق. وهنا فإن التقارير البريطانية عن تلك الفترة تحفل كلها بطلب عودة الوفد إلى الحكم، وبعدها يمكن أن ينسج المجال للتفاوض في أمر معاهدة سنة ١٩٣٦ التي أصبحت قابلة للتعديل في جانبها السياسي منذ سنة ١٩٤٦ - أي بعد أربعة عشر عاما على توقيعها (ولم يكن جانب التحالف العسكري فيها قابلا للتغيير لأن سريان مفعوله كان مطلقا بغیر اجل).



ولم يكن الملك «فاروق» غائلا عن خطر الجيش العائد من فلسطين واحتمالات اتصاله بالغضب المتراكم في مصر والشعبة الحرجة التي يمكن أن تتفاعل بهذا الاتصال بين جيش مجروح وشعب موجه، حتى إذا لم يكن اتصالا مباشرا واقتصر على مجرد التواجد في نفس المناخ!

سنوات الحرب الصعبة، تبجّل حمايته وأجبا أخلاقيا على الحكومة البريطانية.

● وكان التغيير (الانقلاب الدستوري) الثالث الذي قام به الملك «فاروق» هو إقالة وزارة «النحاس» (بشا) يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤. وفي هذه التجربة فإنه لم يحكم بوزارات نصر، وإنما حكم رؤساء وزارات من أحزاب الأقلية، أظهرهم ثلاثة من السعديين: «أحمد ماهر» (بشا) حتى اغتيل - ثم «محمود فهمي النقراشي» (بشا) حتى اغتيل هو الآخر - ثم «إبراهيم عبد الهادي» (بشا) حتى طرد من الوزارة طرداً (مع فقرة النقط على رئاسته

«النقراشي» (بشا) للوزارة جاء فيها «إسماعيل صدقي» (بشا) لم تطل عن سنة واحدة) - لكن السنوات الخمس من ١٩٤٤ وحتى سنة ١٩٤٩ كانت رعاية لمكية لوزارات أقلية من السعديين - والأحرار الدستوريين - وحزب الكتلة (مكرم عبده) - والحزب الوطني أحياناً. وكانت عهود تلك الوزارات هي التي أوصلت الملك مباشرة إلى حافة الخطر، وعند هذه الحافة تخلى وابعد - خاف وحاول أن يهرب. ● وفي مخاوف الملك على عرشه بعد تولف معارك حرب فلسطين، والإحتمالات الناشئة من

عودة جيش مجروح إلى شعب مروع، فإن الملك وجد أنه جرب كل توليفة ممكنة في الحكم، ولم تبق أمامه غير صفة واحدة. جرب أن يحكم وحده ولم تكن النهاية سعيدة مساء يوم ٤ فبراير ١٩٤٢، وجرب أن يتخلى عن السلطة للوفد عامين ونصف العام، وكانت التجربة ذات مرارة لا تطلق من أول يوم فيها (٨ أكتوبر ١٩٤٤)، ثم جرب أن يعطي الحكم لوزارات أقلية (أواخر سنة ١٩٤٨) ثم تنسح تحت قدميه ورأى الهاوية رأى العين. ثم توصل إلى أن خياره الوحيد الباقى هو

التعاون مع «الشيطان الوفدي»، وهنا كانت اتصالات ومفاوضات مستشاره الصحفي «كريم ثابت» مع سكرتير عام الوفد «فؤاد سراج الدين»، تحت إشراف «أحمد عبود» (بشا) ومعاونة «حسين سرى». وفي المحصلة العملية تلك الأيام أن القصر كان مرفقاً خائفاً ويريد أن يتبعد ويهرب. وفي نفس الوقت فإن حزب الوفد كان مرفقاً هو الآخر - لكنه على عكس الملك يريد أن يقرب ويشبثي العودة للحكم بعد غياب خمس سنوات وجدها قاسية على زعامته وعلى قيادته وعلى انصاره. ■

٢٠٠

الحسابات الملكية لا تتحرق



فاروق زينب الوكيل فؤاد سراج الدين النحاس

■ كانت الاتصالات والترتيبات بين المستشار الصحفي للملك «كريم ثابت» (بشا) وبين السكرتير العام للوفد «فؤاد سراج الدين» (بشا) في حضور «أحمد عبود» (بشا) ومشاركة صديقه «حسين سرى» (بشا) - تجرى على أرضية غير مهددة بسبب تجارب تعيسة سبقت بين القصر والوفد، وكذلك كلا من الطرفين راح يتكشف مشهداً بعد مشهد أن الطرف الآخر لديه «مستجدات» و«طوارئ» لم تكن معروفة لديه من قبل.

كان القصر قد رتب موقف مفاوضه الرئيسي «كريم ثابت» (بشا) درجة بعد درجة:

نقطة البداية أن الملك «فاروق» لم يعد لديه مناخ من مشاركة الوفد في السلطة لمواجهة معاشات هذا التراجع للجميع. ● وعلى هذا الأساس فإن الوفد مدعو للمشاركة في وزارة انتقالية ترأسها شخصية محايدة تخفى برزخ «النحاس» (بشا) ولتحقيق هذا الغرض فإن القصر على استعداد لطرح أسماء عدد من الساسة المستقلين تربطهم علاقة طيبة بالوفد أولهم «حسين سرى» (بشا).

● أن الملك لا يمانع في إجراء انتخابات برلمانية، لكنه في حالة حصول الوفد على أغلبية، يفضل أن يرى على رئاسته الوزراء شخصية ودية غير «النحاس» (بشا)، والداعى أن علاقاته الشخصية بالملك بعد فبراير تركت «ما لا تستطيع الأيام أن تمحوه، فإذا عاد الآن إلى رئاسته الوزارة بعد انتخابات - لا يمانع الملك أن يحصل الوفد فيها على أغلبية، ثم وقعت أزمة بسببها، فإن هذه الأزمة ربما استندت مخزون الشاعرة بالملك بعد ذلك تنقح الجراح التي التقات، وفي ترويع اليقظ لهذا المنطق فقد جرى استدعاء سوايق جالس ناباية كانت للوفد فيها برلمانية دون أن

يكون رئيس الوفد بالضرورة رئيساً للوزراء، والمثال الأشهر على ذلك أن «سعد زغلول» (بشا) نفسه اكتفى برئاسة مجلس النواب في برلمان له فيه أغلبية كاسحة. ● وفي غيبة القصر لتسهيل الأمور أكثر وأكثر فإن «كريم ثابت» كان مخولاً بإقتراح أن القصر سوف يرحب - في حالة حصول الوفد على أغلبية برلمانية - أن تكون الوزارة برئاسة «فؤاد سراج الدين» نفسه، وهو موضع الثقة «النحاس» (بشا) وهو زعيم الحزب بلا منازع، وكذلك من السيدة قريبته (وهي الجهة الأقوى تأثيراً على الزعيم تلك الأيام).

على الناحية المقابلة عرض «فؤاد سراج الدين» موقف الوفد (وموقفه الشخصي) من عروض القصر بالترتيب التالي: - نقطة البداية أن الوفد يمتن أن يلتجئ إليه مع صفحة جديدة لا علاقة لها بقل ما سبق، وسوف يجد الملك من الوفد «أخلاصاً حقيقياً» لا يستطيع أي حزب سياسي في مصر أن يقدمه له - «ولا أن» الآخرين جميعاً يحجون مصالحهم أكثر مما يحجون «جلالته».

فإخلاصهم له تابع من اعتمادهم عليه كي يكفلهم بالحكم، وهم في ذلك الوضع يحملونه بأخطائهم وأوزارهم لأنهم بلا سند أمام الناس غير «جلالة الملك». ● إن اقتراح تشكيل وزارة ائتلافية يدخل فيها الوفد، موضوع لا يستطيع «رفععة الباشا» قبوله، ليس فقط لأنه مخالف لكل تقاليد الملك طول تاريخه، ولكن فوق ذلك لأن «النحاس» (بشا) يعرف أن أي وزارة ائتلافية هي محاولة للتوفيق، مؤدية لامحالة إلى الخلاف لأن طبيعة الائتلاف السياسية في مصر لم تتوصل إلى توافق مقبول من الجميع على أهداف محددة يقوم عليها ائتلاف وزاري، ومعنى ذلك أن الوزارة الائتلافية سوف تكون باستثمار في حالة احتدام إلى أقصى، وذلك يخدم القصر في الخلافات الوجودية بين الوفد - كذلك - إلى استعداد الوزارة قديمة شابت عداقات محددة بالقصر، وذلك احتمال من المستحسن تجنبه، خصوصاً أن «رفععة الباشا» جازم أن يثبت هذه المرة إخلاصه العميق للقصر، وهو يريد أن يتوج حياته السياسية «برابطة مقدسة» بين حزب الأقلية وبين العرش - لم يسبق لها مثيل في التاريخ السياسي المصري. ● أن الوفد على استعداد للمشاركة في وزارة ائتلافية إذا كانت مدتها محدودة وهدهده

محدداً، بإجراء انتخابات برلمانية حرة (يقول الوفد أنه سوف يحصل على الأغلبية فيها)، ولذلك فإن الحزب على استعداد للاشتراك في وزارة يرأسها «حسين سرى» (بشا)، تكون مهمتها إخماد هذه الانتخابات في ظرف ستة شهور، ثم تترك مكانها لوزارة أغلبية حزبية، والوفد يريد في هذا الصدد مرة أخرى أن يكرر «أن «ولا أن» مطلقاً على فرصة أخرى وأخيرة يثبت فيها أنه الأكثر إخلاصاً للذات الملكية والأقدر على خدمته. ● وفي حالة فوز الوفد بالأغلبية فإن رئاسته الوزارة يصعب جداً أن تذهب إلى رجل آخر غير «مصطفى» (بشا) - فإن أي رجل غيره لا يستطيع أن يحصل على ولاه جميع الوفدين، ولا على المصادقية أمام جماهير الحزب، ولا حتى على «زينب هانم»، كما ألتح «سرى» (بشا) أنه كالمه. ● وهنا كان سؤال «كريم ثابت» المباشر لفؤاد سراج الدين: «هل تريد أن تقول لي أن «زينب هانم» لا تستطيع أن تمنح زوجها برئاسته أنت للوزارة؟». ● ورد «فؤاد سراج الدين» - وبدون مهلة يصوغ بهارده في الفاظ غطى أو ترقق: «هي نفسها لا من يرضى أن يتولى الوزارة أحد غير «مصطفى» (بشا). ● ويلى عليه «كريم ثابت» - «ولا حتى أنت؟» ويرد «فؤاد سراج الدين» بنفس السرعة: «خصوصاً أنا»..... ● [فيما بعد (ديسمبر ١٩٥٣) روى لي «حسين سرى» (بشا) ونحن في بيته - وكان ملاصقاً اسكتي في شارع شجرة الدر في الزمك، وكان عاتين معاً في نفس الاتجاه من حفل استقبال لي حضر الظاهرة بمناسبة زيارة

قام بها الملك «حسين» للقاهرة، وهي أول زيارته لمصر بعد ثورة يوليو - ما مؤدا «أنه ذلك اليوم في بيت «أحمد عبود» فوجئ عندما سمع من «فؤاد سراج الدين» أن قريئة رئيس الوفد تعارض رئاسته للوزارة «خصوصا» على حد ما قال».

وروى «سرى» (باشا) تلك الليلة في حديث دار بيننا حتى الثالثة صباحاً «أنه بعد خروج «فؤاد» من بيت «عبود» (في لقاء أوائل يناير ١٩٤٩) وفي حضور «كريم ثابت» جلس الثلاثة وانضم إليهم بعد نصف ساعة «تسليمان اندروز» الوزير البريطاني المغضوب - وراحوا يتذاكرون ما سمعوه من: «فؤاد سراج الدين» وانقسموا فيه إلى رأيين:

● رأى يرى أن «قؤاد سراج الدين» فيما قال يخشع عن حقوق لا يريد أن يغامر بشيء، أما بالتاكيد يحرص على إثبات نفسه في السياسة، لكنه يفضل أن يخلف «الحساس» (بابا) بطريقة طليعية، بعد أن تجرى انتخابات برلمانية بالفعل تحت إشراف وزارة محاسبة، وقد تبنى أغلبية برلمانية وفوز «بابا» وهذا (جاء الاحتلامات) من مبررات «الحساس» (بابا) (سراج الزور)، وبالطبع يكون «قؤاد سراج الدين» أبرز أعضائه، ويشتهر - خصوصا أن صحة «الحساس» (بابا) لا تساعده على الاستمرار ولا على التكريز - بكون «الحساس» (بابا) نفسه هو الذي يقتل الدين لإسعاد الناس.

وكان ذلك رأى «تصابيان اندروز» وقد افاض في تقريره ضمن تقريره إلى لندن قائلا: «إن «فؤاد سراج الدين» في الإصاوغ الحالية هو المرشح لرئاسة الوزارة - رغم أنه سياسي محلي وليس رجل دولة - هو أقرب إلى عقلية «عمدة» (تحتها بالإنجليزية Omda) يعرف فنون التعامل بالجمالة مع الناس أكثر مما يعرف عن مسؤوليات المستوى الأعلى في سلطة الدولة».

وبضيف -تشابمان انروز- في تقريره
«انه يظن أن إجماع -فؤاد سراج الدين- عن
رئاسة الوزارة الآن -متعللاً بأن رئيس الوفد
وقرينته لا يقبلان بذلك- إنما هو تأمين مبكّر
للمسوحه إلى رئاسة الوزارة، فهو يخشى أن
يقوله بالرئاسة الآن قد يبدو صفقة على حساب
زعيمه يكتشف أمرها فيما بعد وتظهره على
هنة لا يريد أن يظفر بها».

● لكنه طبقاً لرواية «حسين سري» (باشا) تلك الليلة في بيته - سنة ١٩٥٣ - فإن «كريم ثابت» كان له رأى آخر، فقد أحس بقرون استتعار مَرِيَّة أن شيئاً ما طرأ على الصداقة بين قريته «النحاس» (باشا) وبين «فؤاد سراج الدين». وقد رأى «كريم» يستعرض استنتاجاته على أساس ما قاله «فؤاد سراج الدين». والطبقة التي قاله بها.

وكانت الاستنتاجات التي عرضها «كريم»:
- أن «فؤاد» في السنوات الأخيرة زاد نفوذه
وأصبح له دائرته المستقلة (Constituency)
وهذا طبيعي.
- أن الصداقة بين الاثنين - المسكرتين العام
شمال وفريقه زعيم الوفد - قد بدأت في تضاؤل
للمؤامرات والمزاوغة من قبل الغارات الإسرائيلية
والألمانية على العراق سنة ١٩٤١ - طالت حتى
الجزء ١٩٤٩ - قرابة عشر سنوات، ولذلك فقد
أثر عليها ما يجري على العلاقات بين البشر
من أوضاع الصداقة والممانعة.

والراجح أن ما يخشاه «فؤاد» هو أن «زينب» قد تتنقل أنه برئاسة الوزارة سوف «يكبر» على الكل، وحينئذ يصيح «سيّد نفسه» صرف كما يشاء.



وحيث بلغت الاتصالات والترتيبات لعودة وفد إلى السلطة نتائجها المتوقعة، فإن الملك «ساروق» مع من استشار من رجال القصر بينهم «حسن يوسف» (ياشا) - الذي قام استقصاء آراء عدد من الساسة الحزبيين المستقلين - توصلو إلى نتيجة مؤداها «أنه الأوفى تكليف (حسين سري)» (ياشا) تشكيل وزارة ائتلافية يدخل فيها الوفد

شخص فؤاد سراج الدين). ثم تقوم هذه وزارة بإجراء الانتخابات، لكن التضييق على مرشحين المعارضة يؤخره. بان التصعيد "مؤمر" بحيث لا تتحقق (مهما كان) إمكانية برنامجة كاسحة (كما يحدث في ليبيا). وتواجه القوى الحرة على أن تتواجد مع الأحزاب السياسية (بالات السبعين) الأحرار (السوريين) في فنلاند الانتخابات بطريقة تكفي لحفظ توازن بينها يمكن العمل على أساسه. بمعنى أنه لا مانع من أن يكون قد بالتصديق الأوفر من القاعد، ولكن دون حصول على أغلبية الحق في تشكيل وزارة وحده وبالكامل.

وكان خطاب الملك بتكليف «حسين سري»
(ناشأ) برئاسة الوزارة (٢٥ يونيو ١٩٤٩)
معبّرا عن مطالب الملك منه ومن وزارته -
ضحا فيما يرمى إليه.

عزیزی (حسین سری) (باشا):
 «إن من أعز أمانينا ورغبتنا دائما إلى
 معاد شعبنا ورغابته، أن تقوم حكومة قومية
 بملء والبلاد مقبلة على انتخابات جديدة -
 في توحيد الصفوف وجمع الكلمة، وتضافر
 قوى، وتركيز الجهود في هذه الظروف الدقيقة
 لتواجهها بالاننا العزیزة في الداخل
 والخارج»
 وكان تقدير «حسن يوسف» (باشا) - وهو

99 (1) 99 99 99

سجل بصوته - طلب الملك أن الوقت مسجوح
أن يحصل وحده حتى نسبة ٤٠٪
الناقد، والسياسيين على ما بين ٢٠٪ و ٢٠٪،
٨٠٪ واليكي للأحرار الدستوري ما يقارب ٨٠٪
السياسية يمكن أن تتفاهد الأحزاب السياسية
والأخرى ومعها المستقلون. وذلك
في ضوء التسيب (السلطة) في الوقت مع
أنه سوف يكون صاحب أكثر المقاعد في عدد
نفسه ضمن التشكيل وأثره التوافقية. وفي هذه
الحالة فإن "الخاص" (إياها) قد لا يكون
فرصا على رئاسته شخصيا، ولم ين
تبركا لغاد سراج الدين.

[illegible]

تلك مفاجأة للقصر دعت الملك إلى غضب شديد ضد رئيس وزرائه «حسن سري». وغضب أشد ضد وزير الداخلية «محمد هاشم» (باشا) وهو صهر رئيس الوزراء، الذي لم يقبل الملك إشرافه على الانتخابات إلا عندما أبلفه «سري» (باشا) أنه اختاره بالذات لهذه المهمة حتى يضمن تنفيذ تعليماته بخصوص حزب الأنزاب (والتعليمات هي تعليمات الملك). وقد دافع «سري» (باشا) عن نفسه وعن صهره وعما

0007-1226/98/0000-0000\$05.00/0

جـرى قتالاً للملك «إبن الخلل في الخلة كلها نشأ من حقيقة أن ضباط البوليس - وهم المشركون كانوا - اختصوا على العديدة الانتخابية - على عداد مع أحزاب الأقلية التي أشرت عليهم بحقوقهم، وندعهم إلى القيام بالإضراب (ما بين أواخر سنة ١٩٤٧ وبداية سنة ١٩٤٨)، ثم اضطرتهم إلى فضه بوسائل ملقوية - وهم لم ينسوا لهذه الأحزاب (السعديين والدستوريين الذين كانوا في الحكم وقتها) ما فعلوه وقد ردوا لهم الجميل..

ومع أن الملك لم يقع بهذا التفسير فـ «سرى» (باشا) أصر عليه، ومع ذلك فقد كان ظاهرا للعيان أن هناك تفسيرات أخرى:

- أولا: أن «سرى» (باشا) (كذلك سمعت منه وسجلت) لم يشأ أن يأخذ على تاريخه تدخلها بالتزوير في الانتخابات، خصوصا أن مثل هذا التدخل سوف يكون سافرا، لأن الملك جعلها «معضلة رياضية»!

ثانياً: أن أصدقاء جميعاً (وأولهم أحمد عبود باشا) نصحوه، بل أقنعوه بأن حكاية التوازن بين الأحزاب قفزة إلى حالة من عدم الاستقرار تضر بمصالح البلاد.

واللذان: إن ذلك أيضا كان رأي السفارة البريطانية، وإن "تشارلمان مندوت" اقنعته (إذا كان في حاجة إلى إقناع) بأن "مندوت" (الذي لم يجهل إزاء المخاطر القبلية، وأولها جيش متجرح عائد إلى شعب مروجوع - قد تستاعد عليه تفاقم مباح يبيع القرص المسموم - البريطانية على أن "الإخوان المسلمين" - والاشيوعيين، كل منهما بأساليبهم ولاغراضه

وقد ظلت تقارير السفارة البريطانية من القاهرة، حتى بعد إجراء انتخابات برلمانية

مفتوحة، وحتى بعد أغلبية تحققت لحزب
الوحد فيها - تشعل الأضواء الحمراء تلتفت
وتتبدد. وركزت تقارير السفارة تلك الفترة (في
أكثر من ثلاثمائة صفحة من الأرقام
والتحليلات) - على تفسير ملخصه أن جماهير
الشعب المصري في الواقع لم تشارك في
الانتخابات البرلمانية ثم توصلت إلى إثبات

● الأولى: أن نسبة التصويت في المذنب (حيث الرأي العام المؤثر في رأيها) - لم تزد على نسبة ٥ ٪ - وهذه نسبة متدنية.

● الثانية: أن نسبة التصويت في الريف (وهو الكتلة الضخمة المكشوفة أمام سطوة الإمارة) وصلت إلى ٧٠٪ (على أن تقارير السفارة البريطانية توصلت إلى أنه حتى لو كانت الأرقام صحيحة - فهذه النسبة العالية تشبه للبوليس والعمد ومشايخ البلد بالشاطء وقلة الحركة، أكثر مما تعبر عن رأى أو تأييد شعبي لأي حزب).

ويضيف أحد تقارير السفارة البريطانية «أن وزارة الوفد القادمة عليها أن تتحرك بسرعة لمواجهة أوضاع خطيرة تشبه «منجما من الكبريت» ينتظر شرارة طائرة في الجو لتنفجر».

ومن الملاحظات التي تسترعى النظر، أن أول تعليق ورد للسفارة من لندن على تقريرها - كان طلبا عاجلا من وزير الخارجية البريطانية يسأل «أريد أن أعرف حجم الأصوات التي حصل عليها مرشحو الإخوان المسلمين في الانتخابات؟».

٣٠

دموع ملك في حالة قلق



عبود باشا

حسين سرى

فاروق

■ ■ ■ لم تتحقق مطالب الملك «فاروق» في نتيجة الانتخابات، وكان غضبه على «حسين سرى» (باشا) شديدا لأنه لم يستطع أن يضيظ النتيجة وفق الحسابات الملكية. على أن الملك كان في حاجة إلى عزال بيته وبين رئيس الوفد، وهكذا فإنه طلب إلى «حسين سرى» (باشا) أن يظل قريبا منه يساعد على ضبط العلاقات مع الوفد مادام قد فشل في تحجيم أغليته في البرلمان الجديد. وروى «سرى» (باشا) أنه عندما قدم استقالته للملك بعد إعلان نتيجة الانتخابات، قال له الملك «أنت سوف تبقى هنا لتستعمل مع المشاكل التي تسببت فيها، ثم أبلغه أنه سوف يعينه رئيسا للديوان الملكي، وكلفه بتسيير الأمور مع حكومة الوفد الجديدة: لأن «حسن» (بقصد وكيل الديوان «حسن يوسف» (باشا)) لا يقدر على الوفاء في حين أمن فاروق على «أكته»، ولذلك فإنه يريد أمكا، وأضاف الملك «هنا في السراي»!

وقال «سرى» (باشا) إنه يلتمس من «مولانا» أن يعطيه مهلة ٢٤ ساعة للتفكير لأنه الآن وبعد ستة أشهر مضت في رئاسة الوزارة جاءت خاتمها هذه الانتخابات المزعجة، - يجد نفسه في حالة إرهاب شديدة!

وقال الملك لسرى (باشا) (طفا لرواية): «لا تقل هذا الكلام، المسؤولية عليك وأنت لا تستطيع أن تتركني وتجرى»، وهذا قدر «سرى» (باشا) أن الفرصة متاحة «ليتمتع الملك درسا عن حقائق الأمور في بلاده وفي بيته»!



يوم ١٤ فبراير ١٩٥٠، وكانت نتائج الانتخابات تعلن تباعا، كتب السير «روالد كامبل» (السيرير البريطاني في القاهرة) تقريرا بالغ الاندية يستحق القراءة المتأنية، لأنه جاء أشبه ما يكون بوصف للحوال في مصر منذ ذلك المخطط الهام في التشريع المصري الحديث.

كان التقرير (٣٢٧/٨٠٣٧٧) ملفات الخارجية البريطانية على شكل خطاب موجه إلى السير «وليام ستراخان» (الوزير العام لوزارة الخارجية، وقد تواصل على امتداد ست صفحات كاملة بداهة السير «روالد كامبل» بقله:

«بعدت لقائنا» «سرى» (باشا) بعد إعلان نتائج الانتخابات في المرحلة الأولى، بعد «سرى» (باشا) بلفت نظري إلى أنه يتحدث معي بصراحة صديق شخصي وموضع ثقة. قال لي «أن «فاروق» جاء إلى بيته أمس يلج عليه بحضوره أن يتسولي رئاسة الديوان الملكي». قال «سرى»: «إنه قبل ولكنه اشترط أن يسمح منه ذلك لتقسيمه للأوضاع دون تزييق». فسأل لي: «إنه جلس مع الملك طيلة أربع ساعات وأنه تلمع مع بطريقة لا يعثر لغيره أن يجازف بها، وساعده عليها أنه عرف الملك منذ كان صبيا، وكذلك كان صهره له، باعتباره زوج خالة الملك فريدة التي طلقها الملك قبل أقل من عام، قال لي «سرى»: «إنه على يقين من أن الملك سوف يكرمه بسبب ما صارحه به، وأنه سوف يفضله بعدد من دائره الأقراب، ولكن ذلك ليس مهما في مثل هذه الظروف». قال لي «سرى»: «إنه سوف يتصرف بفضلي فسيحاول منصبه،

مجرد استجابة طلب «فاروق»، ولكنه استجابة لإحساسه بالواجب العام، وأن هذا القبول ينطوي على تضحيات جسيمة بقلها برضى، فهو رجل لم يعد يطمح في منصب لأنه تولى رئاسة الوزارة أربع مرات حتى الآن، كذلك لا يطمح في شرف يتخلف إلى ما عده، لأنه يحل أرفع الأوسمة والإلقاب».

قال لي «سرى»: «إنه بما قاله للملك أراد أن يصدمه لعله يفيق، وأنه يعلم مقدما أن مهمته صعبة، وأن الملك لن يستوعب درس الحقائق، وأنه في الغالب لن يصحح من سلوكه الشخصي ولا من قراراته غير المسؤولة ولا من تدخله في شؤون الدولة، لكنه أي «حسين سرى» سوف يحاول بالقي ما يستطيع».

قال لي «سرى»: «إنه وأثق أن الملك ذكي، ويمكن أن يكون مغفلا ولو يستطيع أن يناقش موضوعا من المواضيع بجديدة لمدة ثلاثة أرباع الساعة وفي بعض المرات عدة ساعة، لكنه فجأة ينصرف كما لو أن موجه كهربائية اخترقت رأسه، فإنه مسلكه ينقلب وإذا هو يكابر وعائد».

فيما يتعلق بالوفد قال لي «سرى» عندما سألته: «إنه لا يشعر بسوء الحظ أنهم جاهدوا للمسؤولية التي جاءت إليهم،

فالحاصل (باشا) في «عالمه الخاص»، وأعضاء الوفد كلهم مكثوا بغير سرعة الاستعداد للأنوار والانتخابات التي يتفوق بها ضاعت عليهم جراء سوءات خارج السطحة، وكلهم الآن في عجلة من أمرهم. أضاف «سرى»: «إنه تحدث إلى أصدقائه الوقيدين مشيرا إلى ضرورة أن يتصرفوا بغيرية والإساءة إلى أنفسهم». قاطعت «سرى» وقتها: «وإنني أمل أن يستطيع الملك دراسة الموقف الدبلوماسي بدمية، وأن تتشبه زعامته مستغني الضغوطات

الاستراتيجية إلى الموقف الدولي، ثم لا يظنون منا على وجه العجلة أن نفتح باب التفاوض معهم في شأن تعديل المادة ١٩٢، «إنه ساعدته سنة ١٩٢٦، قال لي «سرى»: «إنه ساعدته بما قلت وطلب إلى أن أساعده بما أقدمه من نصائح شخصية من أراه من أقطاب الوزارة الجديدة».

قلت له: «إنني قدت بذلك فعلى أساس شخصي بحث، وأضفت على نصحت هؤلاء الأصدقاء فعلا أن يتشاوروا الفرسية، يحصلوا التعامل مع الملك، وأن يتعاونوا معي في ما يخص مساعدة البلد». قال لي «سرى» (باشا): «إن ما فعلته شيء عظيم للغاية».

قال لي «سرى» (باشا) «إنه لم يسوف يدعو «النحاس» ويكفقه بالوزارة، ومع أن الملك لم يكن يريد أن يرى نفسه في يوم من الأيام مرغما على مقابلة «النحاس» وتكليفه برئاسة الوزارة، إلا أنه الآن يدرك أن ذلك أمر لا مفر منه، مع العلم أنه تلقى تأكيدات بأن «النحاس» سوف يكون هذه المرة حسن السير والسلوك على نحو يلبي كل التوقعات».

[ينتقل سير «روالد كامبل» في تقريره ليشير إلى لقاء له بعد ذلك مع الملك «فاروق»، كان الغرض من تقديم زائر بريطاني مهم هو «اللورد هام جويون»، ثم كان أن «فاروق» استقبل السير بعد انصراف اللورد «هام جويون» - لأنه - كما قال سير «كامبل» أنه يتحدث معه عن بعض التطورات الأخيرة. وبدا الملك قائلا: «إنه مدعته من تركيبة مجلس النواب الجديد، فغالبية أعضائه كم مجهول لا يعرفهم أحد

مؤسسة مهة ولزامة للبلاد وتصرفاته على هذا النحو المسمى إلى شيء، قد تعرض العرش للخطر، وموقفه في البند هو في الحقيقة مثل بالون مغفول لا ينتظر غير عسة من سن دبوس، ثم إذا هو قارع حتى من الهواء».

قال لي «سرى»: «إن الملك حاول أن يناقش معه قائمة ما نسبته إليه «سرى» (باشا). وسبح «سرى» (باشا) لنفسه أن يقول لفاروق «إنه لا يحتاج إلى دفاع عن نفسه، وإنما يحتاج بالدرجة الأولى إلى تصحيح تصرفاته دون أن يتخذ بحاشية سوءة التي تحيط به - لكل أفرادها ويدين استغناء لإسراون شيئا (Worthless). وقال لي «سرى»: «إنه فوجئ بخاطر الملك ولج بدعوة، ورأى أن يقوم من مجلسه ويتجه إلى نافذة يطل منها على حديقة بيته، ويحيث يترك للملك فرصة استعادة سيطرته على شاعره. قال لي «سرى»: «إنه بعد أن عد الملك، قال له إنه يقبل المنصب لأنه يريد أن يخدعه بامانة». ود الملك بأن رئيس ديوانه الجديد سوف يكشف بنفسه أنه (الملك) أقدم يحاول جديا أن يكون على مستوى مسئولياته».

قال لي «سرى»: «إن قبوله للمنصب لم يكن

وأنه سوف يثبت في كل المسائل بنفسه، ولن يعرض على الملك إلا ما ضروريا، ويحتاج دستوريا إلى موافقته. قال لي أيضا: «أن الملك سوف يحاول بالتأكد أن يتجاوز ويتخذ في شتى الأمور، وذلك بنصيحة أفراد من الحاشية المحيطة به». قال «سرى»: «إن هذه الحاشية سوف تبدل جهدها في عزله عن الملك، وسوف ينجي يوم يسدون فيه الطرق عليه، بحيث لا يعود أمامه غير أن يكتفي بالملك كما لديه مع علمه سيقا أن ما قد يكتفه لن يصل إلى المرسل له في معظم الأحيان، وأكثر من ذلك فهو يتوقع أيضا أن لا يتمكن مسؤولة من محادثة شيئا تليفونيا. ولكنه عازم على أن يشق طريقه حتى لو اضطر إلى طلب لقاء الملك أو محاولة الاتصال به تليفونيا مرتين وللا وأربعا وخمسا وستا، لأنه مصمم على القيام بأعمال مهمته كما يتصورها مادام هو باقيا في هذا المنصب». قال لي «سرى»: «إنه عدد أمام الملك قائمة بأخطاء «جالاتته»، بما في ذلك التصرفات المسيئة التي أقدم عليها في السنوات الأخيرة، وحذنه عن حياته الخاصة ولياليه في مازلي الفاحرة، مينا أن لم يتفحص من كرامة الملك، وهيبته أمام شعبه». وأضاف يقول لفاروق: «إن الملكية



وزير الدولة الخيطان ينصح سفير

بإقائه بآن ينسحق خطا مع «عبود»

(المليونير أحمد عبود باشا)، رغم علمه بأنه؛

«نصاب (Crook)، ولكن ميزة الرجل أنه لا يخفى حقيقته

سرا، ثم إنه رجل بارع جدا فيما يقوم به، ومع أن

مصالحه هي التي تحركه، إلا أنه يبقى

أنفع لنا وسط هذه الفوضى التي استأثرت



إننى اقترح أن تقترب أكثر من اللازم من «النحاس» رغم كل ما قدme لنا من خدمات، وأن تحفظ لنفسنا بمسافة عما جرى، فضلا عن أنني أظن أن «النحاس» لن يستطيع بسهولة أن يخلص من الشعارات الوطنية التى أطلقها رؤساء الوزارات الذين سبقوه فى السنوات الأخيرة، ومن المهم أن يفهم ذلك الصغير «فاروق» دلالة نتائج التصويت الأخير، وإذا فهم فسوف يكون عليه أن يتواضع، وفي كل الأحوال فليست لدينا دموع نذرناها إشفافا عليه..

ثم يضيف وزير الدولة «مكتور مائيل» إلى ما سبق فقرة شديدة الغرابة: «إن السفير يحسن صنعا لو سئى خطاه مع «عبود» (الطبيب أحمد عبود باشا)، نحن نعلم أن «عبود» نصاب (Crook)، ولكن ميزة الرجل أنه لا يخفى حقيقته سرا، ثم إنه رجل بارع جدا فيما يقوم به، ومع أن مصالحه التى تتحرك، إلا أنه يبقى لنا شئ وسط هذه الفوضى فى القاهرة، وفي كل الأحوال فإن علينا أن نبقى معيدين لبعض الوقت، ونترك الأمور لتقالاتها فى مصر، ونلوم نحن على أشرعتنا Trim Our Sails.

إبضاه - هـ مائيل: ■

«جلالته» لا يستطيع نسيان إهانة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، لكن الملك فى الحقيقة على استعداد لأن ينسى ويفتح صفحة جديدة مع الولد - على أن ذلك حتى من الناحية الإنسانية يتطلب وقتا!..»



وتظهر ملفات وزارة الخارجية البريطانية (١٨٧٧ - يناير ٢١ يناير ١٩٥٠) - أن ذلك التقرير المستفيض من السفير البريطانى وصل إلى وزير الدولة البريطانى وقتها «مكتور مائيل» الذى علم عليه بخط يوم ٢٥ يناير بما نصه:

«إننى أشعر بالقلق وأنا أقرأ التقارير الأخيرة من سفيرنا فى القاهرة، خشية أن يبدو موقفنا وكأن لدينا شيئا من التعاطف مع الملك، إن عودة «النحاس» إلى الحكم تؤكد إلى جانب علامات أخرى شعورا لدى النازحين معادينا للفرص، ومع اعتقادي بأن نسبة المشاركة فى التصويت ضئيلة جدا، فإن ما يمكن استخلاصه منها هو أن الطبقات ذات الوزن فى مصر لم تعد على استعداد لعضم تصرفات «فاروق» وهذه غفارة ميمه.

فى ثلثون سنة، فالتحاس (باشا) ليست لديه إحاطة بالشئون الدولية، والراجح أن الأشد تأثيرا عليه سوف يكونون الأعلى صوتا بين وزرائه، في حين أن العناصر العاقلة فى الحزب سوف تكتم أراءها أو تنأى بنفسها عما يجرى.. قال «صدقي» «إنه لا يبق فى أى تعهدات يعطيها «فاروق» بالتزام حدوده الدستورية، فقد أدمن على تدخل القصر فى كل الشئون حتى فى ثقلات الموظفين»، ختم «صدقي» (باشا) تقريره للوقوف بأنه لا يستطيع تصور صيغة يمكن أن تستقيم بها هؤلاء

[وأخيرا ينتقل السفير «رونالد كامبل» فى تقريره إلى لقاء بينه وبين «كريم ثابت» جرى قبل يومين ويكتب: «سأت «كريم» مع مزاج الملك الحقيقى عندما تلقى نتائج الانتخابات، وأكد لي أن الملك استأنه النتيجة بروح رياضية، ويتنفس هذه الروح إقبالة كلف «النحاس»، بتشكيل هذه الوزارة، وكلف «سرى» برئاسة الديوان، ذكرت به بعض ما سمعته من الملك عن نتائج الانتخابات، ورجاى عدم شيان أن الملك أحيانا يعبر عن مشاعره بطريقة عفوية، خصوصا فى هذه الأصفاء، ثم ذكر لي أنه من الضروري على أن أقدر موقف «جلالته»، إزاء زعيم الولد، لأن

حتى بين جماهير حزب الوفد، رغم أنهم نجحوا فى الانتخابات على قوائمه»، أشار الملك إلى «عبود» (باشا) يوصف: «إنه المهندس الحقيقى وراء نتائج الانتخابات وأسماء الرجل الخفى وراء الستار»، وقال إنه كان دافع كل الأموال التى صرفها الوفد على الانتخابات، وذلك الملك رفعا ضما فى تقريره لما صرفه «عبود» فى الانتخابات الأخيرة»، وأضاف بمرارة: «لكنه مهما كان المبلغ كبيرا - كذا قال الملك - فإنه لا يزيد بالنسبة للثروة «عبود» عن سردينية استخدمت لإستصدار يكون لعبود نلوة هائل على الوزارة الوفدية المقبلة، وإلى حد يسمح له بتسخيرها حتى أقصى مدى لتحقيق مصالحه».]

«انتقل سفير «رونالد كامبل» بعد ذلك فى تقريره إلى لقاء بينه وبين «إسماعيل صدقي» (باشا) وقال:

«قابلت «إسماعيل صدقي» (باشا) السيسى الرئيس الحضرى على عشاء فى بيت أصدقاء مشتركين بمصرين، وكان متشائما واعتفاده أن المستقبل مظلم وأن الوفد لن يعرف كيف يتصرف فى أوضاع تختلف عما تعود عليه

٦٦

مشهد «الندوة» فى مأساة السياسة المصرية

التقى الملك مع «النحاس» - وجاءته هذه الحظفة متوقعة على كل التوقعات والاحتمالات، فجاوزة كل الحدود السياسية وتاريخية فى العلاقات بين القصر والسيدة



عندما دخل «النحاس» (باشا) (وفق شهادة «حسن يوسف» (باشا) و«حسن سري» (باشا) وعلى يد «شادي» (باشا) الأمين الأول) إلى مكتب الملك ليلقى التكليف، هُج «فاروق» وانفا مبادرا بعبارة «مبارك يا باشا فلة الناس فيه، وإن شاء الله تحقق لهم هذه المرة» -! - ما ينتفروهم، ورد «النحاس» (باشا) إنه قبل أن يتكلم فى أى شئ - فإن لديه عند «مولانا» طلب هو مصمم عليه ولن يجيد عنه..

(وقال الملك «فاروق» بعد المواجهة لحسن يوسف (باشا) أنه توجس عندما سمع مقدمة «النحاس» (وقال فى سره «بديتانا»؟) وعلى أى حال فقد رد على «النحاس» بقوله: «خير يا باشا، قد قبل»)، وقال «النحاس» - إنه يريد أن يأتى له الملك بمقتضى بيده التكرية تأكيد وتعزيزا لولائه للعرش وللملك «فاروق».



النحاس

فاروق

دون أن تترك مجالاً لل«دسائس» الذين عاشوا وحلقوا «مباريه» «بالبحر» على الجبال بين القصر والوفد. وفوجئت «سعدية هانم» بما سمعته من قريبة «زعيم الولد»، لأنها على طول حياتها مع زوجها، لم تسمح لنفسها بالخروج عن دور الزوجة، وقد كانت تتمنى أن تجد «زينب هانم» أحدًا غيرهما لإبراع رسائلها، لكنه لم يكن فى وسعها «ما باب الآداب والاحترام» لزينب هانم بد من أن تسمح الرسالة إلى الآخر.

وعندما نقل «حسن يوسف» (باشا) إلى الملك «فاروق» ما سمعته زوجته من «زينب هانم»، أبدى «فاروق» تشككه، وكان تعليقه: «ج يقول كلام التهارة ويرجع فيه بكرة»، على أن لحظة الحقيقة جاءت أخيرا عندما

كل الإشارات والتلميحات الواصلة إلى القصر - تؤكد أنه فى هذه المرة سوف يلتقى (بمصطفى باشا) لم يتعرف عليه من قبل، لأنه فى التجربة الراجلة رجب جديد تماما، مستعد للخدمة بغير تحفظات، مفتوح القلب، متخفف من كل ألقاب الماضي ورواسبه. وبعدما لم يعد الأمر مجرد إشارات وتلميحات، لأن قريبة رئيس الوفد انتهرت مناسبة اجتماعية التقت فيها مع «سعدية هانم» قريبة «حسن يوسف» (باشا) - ولا هى تظلم منها توصيل رسالة إلى قريبها (وكيل الديوان) مؤداه أن جلالة الملك لن يقدم إذا اتاح للعرض الباشا، فرصة جديدة يلتق فيها وأده للعرض وأخلاصه «مولانا»، وإن صفعة بفضاء لابد أن تفتح بين جلالة «الملك» و«مصطفى» (باشا)

بعد إجراء الانتخابات البرلمانية التى أشرفت عليها وزارة «حسن سري» (باشا) فى أول يناير ١٩٥٠، وبعد ظهور نتائجها مؤيدة لحزب حزب الوفد فيما يشبه الإحتساح الكامل للدوائر كانت الأحوال المتعبة للملك «فاروق» تنقلب بسرعة إلى مسار متعرج فهو الغضب أولا على «حسن سري» الذى عجز عن ضبط التهجيد - ثم به القول بما حدث لأنه أصبح أمرا واقعا يصعب تجاوزه - وبالصبر فقد كان الأفضل ألا يعود «النحاس» (باشا) إلى كونه فى نفس الوقت أمين المرشح الجديد (فى تقدير حاشية الملك) وهو «قواد سراج الدين» ليس قادرا أو ليس جاهزا الآن لأسباب أقوى من طموحه.. ثم إنه ليس هناك داخل الوفد بديل آخر جاهز للور، خصوصا أنه ليس ببعيد أحد فى الوفد أن يقبل رئاسة الوزارة دون موافقة «النحاس» (باشا) - يزيد على ذلك أنه ما لا يقلل شأن «النحاس» (باشا) مصمم على حقه، وأن المؤرخين وأولئك قريبته «زينب هانم الوكيل» أدركته تعصيمه - وأن الذين أصام «فاروق» غير أن يستدعى «النحاس» (باشا) إلى مصر عابدين، ويطلبه مهما كان طعم المرافرة فى حلقه، بتشكيل الوزارة الجديدة. وكان أكثر ما يثير توقعات الملك «فاروق» أن



التحالف

فاروق

تلك ليست روح الوفد، ولا هي حركة المؤثرة بين الجماهير المصرية.

● وعندما دب النشاط وسرى الدم في العروق بعد جسر الاتحاد تمهيدا لعودة الوفد إلى السلطة في يناير سنة ١٩٥٠ - كان أول ما تكتشف أن القوة الحقيقية داخل الوفد ملقطة في التحالف بين قرينة رئيس الوفد والسكرتير العام للحزب - ليست كما كان العهد بها وكما كان لمنصور!

كان التحالف بين الاثنين مازال قائما - لكنه لم يعد على تماسكه السابق، بمعنى أن ضرورات الواقع ظلت تقضه وتحافظ عليه، ولكن المصالح المتعرجة الحوادث والمشارع أياها، واختلاف القادير ومؤثرات المناخ - مضت تكبر شكوكا بين الاثنين فيها المثير والمقنوع. والحصله أن الوفد فيها تمت صفقة عودة الوفد إلى السلطة، وجرى الانتخابات، وقارأ الوفد - كانت قرينة (الحساس) (باشا) تقول به كل الشبهات الموقوفة بها - ترفض بشكل قاطع أن يجوز أحد مهما كان على حق «رفعة الباشا»، وقاها..

كان استمرارها كسدا بدأ لكل العارفين والمتابعين المتعرج الحوادث والمشارع أياها: أن أي كلام يدور رئيس آخر غير «مصطفى» (باشا) مستحيل.

● أن «رفعة الباشا» لا يجب أن يترك التصالح وعلاقاته مع الملك إلى شخص آخر - مهما كانت ثقته فيه.

● أن «الفتنة البعث» (السلطة) - ١٩٤٤ - انقضت ب«كل الناس»، ولابد أن يكون لتفاهم «الباشا» هذه المرة مع «الباشا» نهائيا ويؤمن وجهته، أن الظروف وضعت سلطا لتكليف رؤساء الوزارات والبرلمانات في يد «فاروق» الذي كان «باشا» لا يوافق إلا في «السياسة» يرضون ب«الديابات»، «و«شارع» «الفاهر» بتصدى لإعراضه إرادة الملك وهي معززة بسلطة أجهزة الدولة، وأما «رفعة ذلك كانا كلاما يضر بالاعتق».

● وكانت «زينب هاتم» قد سعت بالتقصير عن رغبة ملكية في أن يدل ولدى آخر - «فؤاد» سراج الدين - بالذات محل «رفعة الباشا»، وقد علم أن «فؤاد» رفض العرض فور سماعه، لكن شكوكها لم تهدأ وخشيتها أنه في «طرف محتلم» - «فؤاد» - قد غلب على ما اعتدل عنه اليوم، خصوصا هو وأهله في «داخل قلبه».

● وبالتالي فإنه ما تبصر أن هو واجس «زينب هاتم» كانت «مقيمة» وقوية في أحد الرجل لكلامها أن الموقر على زوجها صراحة أو إيعاد، والشاهد أن «فؤاد» لم يثبته «زينب» يمكن ثبته من خلال حوار على مادته بينها، خضره «نجيب الهاللي» (باشا) بعد مشهد التكليف وإنشاء مشاورات تاييد الوزارة وتوزيع اختصاصها، فقد قالت قرينة رئيس الوفد للجميع ما مؤدا: «إن الباشا قال علي أن يجب مع الملك إلى أقصى حد يتسعه، وبيربح باله، الرجل (تقصد الملك) يمشي بغير حرج في حركته بحرية إهانة ٤ فبراير ١٩٤٢، ولذلك فلابد من «حركة» غير عادية حتى يشعر الملك ب«رفعة الباشا» ويضمن وتسير، الكلام وحده لم يكن كافيا ولا يؤيد من يفعل»!

واكدت «زينب هاتم» (الحساس) (باشا) تحليلها بقولها ما معناه «إن قوة الوفد الحقيقية حين يكون في الحكم وليس حين يكون معزولا في السلطة» - بالحد لا طوط، وهو في الحكم يستعيد ب«خود الناس» وهو في بيئته لا يستطيع أن يخدم حتى نفسه. ■

● يزيد على ذلك أنه في فترة وزارة ٤ فبراير (١٩٤٩) - كان الوفد في السلطة، والإنجليز وراءه، والأحكام القرينية مغلقة، و«لام الحرب يحجب كل شيء» - وبالتالي لم يكن الحزب في حاجة إلى عمل سياسي جماهيري، أي أنه - في الواقع - لم يكن في حاجة إلى قوة تحرك أو إلهام يستثير!

● لكن الأمور اختلفت بعد الإقالة (١٩٤٤) وهي لم تستطع في الداخل وحده، وإنما في الإقليم المحيط بمصر، وكذلك في العالم الخارجي بعد خمس سنوات من نهاية الحرب لأنها تبادلت أزمة الوفد: «الفانكس» (باشا) من ناحية كان شرفها بعيب سنوات طويلة من التفاح إلى جانب انقلاب المرض التي نزلت عليه - ومن ناحية أخرى فإن القوة الحقيقية تلك الفترة في الحزب كانت قيادة ثنائية مؤلفة - لأنها كانت شراكة بين قرينة رئيس الوفد «زينب هاتم» والوكيل، «سراج الدين» العام الصاعد في

الوقت «فؤاد سراج الدين» (باشا) - وإلى حد ما فإن «فؤاد سراج الدين» كان على نعت «صبري» على «علم» (هو الآخر أسير «محلية» - «محدودية تجربته» - «والفارق بين الرجلين أن «فؤاد سراج الدين» واثق من نفسه

الذين يعرفونه أن يحيدو «أزياء الشخصية، وفيه ذكاء طامح إلى «شهادة تجهد نفسها لإرضاء الجميع، وإتسامة حلوة غير متكلفة، حاضرة طول الوقت.

ومن الناحية الواقعية فإن هذه القيادة الثنائية في قلب الحزب - لم تكن تستطيع أن تخرج إلى الناس كخروج عمل متكامل من يقود وفيه من ينظم. والتقدير المنطقي لهذه القيادة الجديدة قلها أنها كانت قوة تستطيع أن تؤثر دورها في الصالونات، وفي الاجتماعات المؤدية، وتقدر على الاتصال والمناورة وتذليل العقبات وإجراء الاتصالات وقد الصفقات. لكن

بدأ المقابلة يطلب يتنمك به وهو تعقيل يد الملك (بكل ما يبرهن إليه).



والصورة التي يمكن اعتمادها لخلفية هذا المشهد - الذي ليس مجرد مشهد ضعف إنساني عابر، بل هو نقطة فصل في السياسة المصرية، تجسعت فيها دواعي سيطرة عصر بانهل ما بين ثورة سنة ١٩١٩ وحسنى ثورة سنة ١٩٥٢ - ترسم صلاحيات ظاهرة ومعقولة لما جرى:

● كان الوفد كحزب سياسي بمك الأغلبية الساحقة بين جماهير الشعب المصري - يعتمد دائما على قيادة قوية، يورثها أن تحرك وتلهم، وفي بداية صعود الوفد، فقد كان على رأس الحزب رجلا: «سعد زغلول» (باشا) وفتح الله بركات، (باشا) - سعد زغلول وبركات ينظم. وبعد رحيل «سعد» ظهرت في الوفد قيادة أخرى: «مصطفى الحساس» (باشا) ومكرم عبيد، «الحساس» هو «الزعيم الجليل» (باشا)، هو «الجهاد الكبير» - مرة ثانية الأول يلود، وبالتالي ينفق.

● وبعد خروج «مكرم عبيد» (باشا) وكان ذلك آخر وأخطر انشقاق في الوفد - وقع على قيادة الوفد تغيير، فإستلزام «صبري» على «علم» الذي خلف «مكرم عبيد» على السكرتارية العامة للوفد كان محاسنا من قلب الريف، وكان قدبرا في مهنته - لكن مشكلته كانت «شدة محليته» - «محدودية تجربته» (في حين أن «مكرم عبيد» جاء من جبهة أوكتوفورد إلى قلب الشارع المصري، من إنه كان ثقافة عريضة أخذته من حلف الوفاة كمالا إلى استيعاب أفكار الجمعية الفابية، يعق في جانب أن كان خطيبا «ساحرا» لا يراى من قلب مكتوبة، فبقوة في صياغة الأفكار والمخاطبة، وإنما كلمات تندلق لها وتندرج جمرًا).



عندما دب النشاط وسرى الدم

في العروق بعد جسر الاتحاد تمهيدا لعودة الوفد إلى السلطة في يناير سنة ١٩٥٠.

كان أول ما تكتشف أن القوة الحقيقية داخل الوفد مثيلة

في التحالف بين قرينة رئيس الوفد والسكرتير

العام للحزب - ليست كما كان العهد

بها وكما كان منصورًا!



وفوجي الملك وكان رده بسرعة «الغفو» يارفعة الباشا» - لكن «الحساس» (باشا) أصر ويد يد وأمسك يد الملك الذي حاول أن يسحبها ولم يبدد بسبب حرصه على الإشتد في المقاومة مع رئيس وزرائه «الشيخ» - واستغرفت القابلة ثلاثة أرباع الساعة عرض فيها «الحساس» (باشا) أفكاره عن تشكيل وزارته وعلمها.

(لكن الملك «فاروق» قال بعد المقابلة - إنه لم يستوعب أي شيء مما قاله الحساس» - لأن فكرة كان مشغولا بالمشهد الاحتفالي للقاء، وذكر «فاروق» ما سمعناه أن «فاروق» بشرد لبعض «فؤاد» كانت موجودة في المكتب لتري كيف نجح الإثن فيهما عجز عنه إلا طول سنوات جلوسه على العرش في «تأديب» زعيم الوفد «الحساس» و«العبيد»!



وليام بعد هذا المشهد الذي لا يصدق كانت الدوائر السياسية والخزينة والبولماسية في مصر مأخوذة بأفكاره، كما تألقها الروايات والكتابات في قصور العاصمة ومتندياتها السياسية.

(وكان المشهد لسوء الحظ حقيقيا وليس ادعاء من صفد بأخبار اليوم لتشوية وسيع الوفد وترسبه كما قيل ليل بعد) والسؤال الذي حذر الجميع وقلقا - بين فيهم كتورين في الضعف الملكي نفسه هو - ماذا تصرف رئيس الوفد على هذا النحو؟ - «والحاصل أنه حتى هذه اللحظة لا يوجد تفسير كاف يتسع لجميع المعنى الرمزي «الهائل» ما لقع في مكتب الملك «فاروق» ذلك اليوم.

● وربما أن التفكير على مهل يستطيع أن يكتشف عن أسباب ظاهرة تماما، ويومي إلى أسباب أخرى غير ظاهرة تماما، لكن المشهد - في شكل ذاته وفي وقته - كان يخطي على كل الأنساب: «مرنية أو محسوسة أو حتى خفية» تطال بالفتون، مهما كان ما تعتمد عليه هذه الفتون من استنتاجات.

● أولى هذه الواقعة فقد سمعت و سجلت روايات كل من: «حسين حسري» (باشا) - «نجيب الهاللي» (باشا) - «يوسف يوسف» (باشا) - «فريق إسماعيل» (باشا) - «مكرم عبيد» (باشا) التي استبدت بشهادته عند كتابة هذا الحديث، فقد وجدته - رغم إعجابي بكثير من مزاي «مكرم» (باشا) - متحيزة بقسوة ومعباة بشدة من الكراهية العميقة والغريبة لقرينة «الحساس» (باشا) ول«فؤاد سراج الدين» (باشا). لدرجة أن «مكرم» (باشا) روى عن تفاصيل مشهد وصل إليه خبره - وقع بين «مصطفى» (باشا) وبين «زورق» (كسما كان يسمى زينب هاتم) - وهو مشهد بدا لي وقت سماعه ومازال كذلك حتى الآن - «والحاصل على التصديق»!

أني على استغفار الواقع وشكاهة الروايات يمكن تصور خلفية عامة لذلك المشهد الذي وقع في مكتب الملك «فاروق» يوم جاء «الحساس» (باشا) يتقدم مع تكليف من وزارة - بعد إذ بالالحاس (باشا) (بكل ما يملكه)

“ ٥ ”

حروب أهلية داخل الوفد

زينب الوكيل فؤاد سراج الدين محمد صلاح الدين أحمد نجيب الهلالي



عبد باشا

كريم ثابت

طه حسين

لم تكن «زينب هانم الوكيل» وحدها المستنكة، وإنما كان هناك آخرون غيرهما ساورتهم شكوك في أن «فؤاد سراج الدين» (باشا) - وقد كان هو ممثل الوفد المنصحت باسمه في صقلية عودة الحزب إلى الحكم سواء مع السفارة البريطانية ممثلة بالوزير المفوض «تشارلمان اندروز» أو مع القصر الملكي (ممثلاً باستشارة الصحفي الملك «كريم ثابت» (باشا) و«برعاية» أحمد عمو - باشا في الصالونين) - سوف يكون هو المنسك بكل المفاتيح ينصرف في الألبان كما يشاء، بمعنى أنه بقدراً أن يتأخر مرة عن رئاسة الوزارة رغم تحريض ملكي) ويقدم «النحاس» (باشا) على نفسه، أو يتقدم مرة ثانية (بدافع طموحه الإنساني) ويؤرض ضميره ويشتري سكوت آخرين بأن يرفع «النحاس» (باشا) إلى أعلى تاركا له لقب زعيم الأمة مدى الحياة بعيدة شعبية وربما رئاسة مجلس الشيوخ باعتباره نبيح الحكمة (وكان ذلك تقديراً لحافظ عقلي» (باشا) رئيس الديوان الملكي فيما بعد). ومعنى ذلك أن الشكوك كانت تساور الجميع في بيت زعيم الوفد - وفي الحزب الذي يقود.

وفي المحصلة النهائية فقد كانت «زينب هانم» في البيت تشك بغيرية سيدة بلغت سن النضج وقاربت الأربعين من عمرها - ثم إنه في الحزب كانت شكوك لدى القدامى من رجال الوفد تتوسس لهم أن «فؤاد سراج الدين» يسعى للسيطرة على الحزب ويقطع اكيدا إلى رئاسة الوزارة.

وعلى أي حال قد كانت عملية تشكيل الوزارة واختيار أعضائها هي المناسبة التي عبرت فيها كافة الشكوك عن نفسها، والظاهر أن «مصطفى النحاس» (باشا) نفسه كان لاحظها في «ثوبة بقلقة» عادت فيها إليه كلمات السياسي «الواعي» الذي كان ذات يوم، وقد لاحظ كشيرة - حتى في القصر الملكي - أن «النحاس» (باشا) يمسك الزمام في عملية تشكيل الوزارة، ويُسعى إلى كثيرين ويبحث وجهات نظر متعددة، ويبدل جهدا في يقرر ويختار، ويعرض الاختيارات محصلة لحسابات معقدة لا يوح بها لأحد.

لوزارة الداخلية - وهو منتقلي - لكنه اختار معه «محمد صلاح الدين» (باشا) لوزارة الخارجية - وهو يعلم بما بين الاثنين من تلافق في الشخصية وفي الرؤى، وفي اختار وزارة الحربية - وفي وزارة يعرف «النحاس» (باشا) أنها لهم القصر - فإن رئيس الوفد لم يأت معه لهذه الوزارة هذه المرة بوزير عسكري كما كان يفعل عادة باختيار اللواء «حمدي سيف النصر»، وإنما اختار مهندساً مدنياً هو، مصطفى نصرت، والإيعاء أن ذلك المهندس المدني يستطيع التعاون دون تعقيدات (عسكريه ضد عسكريه) مع الفريق «محمد حيدر» (رجل القصر القوي الذي تعهد رئيس الوفد عندما كان في المنفى بمرسوم تعيينه قائداً عاماً للقوات المسلحة).

وكانت المواجهة الأهم في التشكيل الوزاري أن «النحاس» (باشا) اختلى طويلاً بأحمد نجيب الهلالي (باشا)، ولفن بعضهم أن «رغبة الباشا» يعرض عليه مقعداً وزارياً، لكن هؤلاء اكتشفوا أن «نجيب الهلالي» اعتذر عن أن منصب، فاقبلوا للنحاس (باشا) «أن دخوله الوزارة الآن قد يسبب مشكلة لأن الملك حتى

فيها «الهلالي» - فباشا - قدم لزعيم الوفد قلانة ورجال وصفهم «بأنهم وجود شايه» - مستعلة - مجربة - تلك لو وأنتها الفرصة أن تحصل على احترام الناس، بما يعيد لوفد صورته الأولى، ك: «مصنع قيادات».

وكانت القائمة تشمل أسماء لافتة للظن، معظمهم أساتذة جامعات، ومع أن بعضهم كان دون «مناض» - وفدى بدعم ويؤيد - فبان «النحاس» (باشا) وفاق أن يعطيهم الفرصة.

وكان أبرز هؤلاء: الدكتور «حامد زكي» (وزير للدولة في رئاسة الوزارة بجماعت - و«رئيس» الباشا) - والدكتور «زكي عبد المتعال» (وزير للمالية بناءً على خدمة طويلة في البنك الأهلي) - والدكتور «أحمد حسين» (وزير للنشون الاجتماعية وكان من قبل وكيلاً لهذه الوزارة).

كانت الجائزة الكبرى التي عرضها «نجيب الهلالي» على «النحاس» (باشا) في آخر الخلوة ترشيح الدكتور طه حسين، وزير المعارف، وقد تردد «النحاس» (باشا) لوهلة، مبدئياً تحسبه من أن طه يمكن أن يشطح. لكن زعيم الوفد لم يلبث أن غير موقفه على أساس أن طه حسين، سوف يعطى للوزارة «رونقاً» يعجب «المتعلمين في البلد».

وكانت الجائزة الكبرى التي عرضها «نجيب الهلالي» على «النحاس» (باشا) في آخر الخلوة ترشيح الدكتور طه حسين، وزير المعارف، وقد تردد «النحاس» (باشا) لوهلة، مبدئياً تحسبه من أن طه يمكن أن يشطح. لكن زعيم الوفد لم يلبث أن غير موقفه على أساس أن طه حسين، سوف يعطى للوزارة «رونقاً» يعجب «المتعلمين في البلد».

وكان تعليق «فؤاد سراج الدين» عندما عرف بما وقع في خلوة «النحاس» (باشا) مع «الهلالي» (باشا) قوله: «أصبح في الوفد الآن حزب من الدكاترة» - وشاع وصف «حزب الدكاترة» بعد ذلك في القاموس الوفدي. ومع أن «فؤاد سراج الدين» أحس بذكائه أنها محاولة لتطويعه أو على الأقل لتجسيم دوره - في الوزارة بما يشبه انقلاباً بديراً - فإنه لم يبد تيرماً، وإنما - ربما - من قدرته على كسر الطوق، وقرصناً على أن «الدكاترة» لا يعرفون ما فيه الكفاية عن ممارسة الحكم في مصر، وكل ما لديهم مجرد «أحلام» و«تظلمات» سوف تنتهي عاجزة أمام الواقع!

ويستحق الملاحظة هنا أن «فؤاد سراج الدين» (باشا) بدأ ينتهج سياسة خاصة به لمواجهة محاولات تطويعه، فعندما وجد أن الحزب ينقسم إلى مجموعات وكلت تصادم مع بعضها أو تلغى إحداها تأثير الأخرى - رأى أن يلتفت إلى خارج الحزب بأشياء لنفسه عن «قاعة قوة» يستطيع الاستناد عليها أو على «قاعة استقلال» دورها أو فؤادها. وكان اختياره منطقياً ومنسقاً مع طبيعته الشخصية ومع طبيعة الأحوال في نفس الوفد - وهكذا التفت «فؤاد سراج الدين» (باشا) إلى البيوليس، وخلفته أن يكسب الشعور العام في صفوف ضباطه أوالاً - ثم يعزز مركزه بحركة ترقيات وتعيينات واسعة تؤكد ثقاده عميقاً داخل مؤسسة الأمن، وكان المنطق وراء هذه السياسة واضحاً:

«فمسو نفس وزير الداخلية المكلف بالبيوليس عن مؤسسة المسئولة عن الأمن» - وهو يعرف أن البيوليس على علاقة شديدة مع أيام الإضراب عن أحزاب الأقلية إلى درجة أن ضباطها اتهموا بالإلحاح لعودة الوفد وإجابه على أسبابه في انتخابات سنة ١٩٥٠ (و رغم تعليمات القصر). وإذن فهناك «إشارة» - وتلكم - وسلط هذا النوع من العلاقات والمناورات مجال خلفته ويقتضه أي «عمدة» مجرب في الربف.

«يضاف إلى ذلك أنه إزاء إحساس عام بوجود أزمة في «الأمن» يعدل كل ما جرى في السنوات الخمس ما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) وحيث وزارة الوفد الأخيرة (١٩٥٠) - فإن المجال مفتوح لوزير الداخلية أن يخلص من معارضة تُذكر على كل الاستعدادات اللازمة - «تحسين» الأحوال البيوليس» - وهذا يتجلى فؤاد.

وكانت أنشأ «فؤاد سراج الدين» إدارة خاصة في مكتبته من «تأمينيين ومندوبين» مهمتهم القيام بمهمة علاقات عامة بين مكتب الوزير وبين مؤسسة البيوليس. وقد لمحت ثلاث من السفارات الأجنبية في القاهرة محاولة



هو «رالف ستيفنسون»، الذى وقع الاختيار عليه ليحمل بريطانيا فى القاهرة، تصديبا لمرحلة خطيرة قائمة فيها احتمالات تفاوض بين مصر وبريطانيا؛ وكُتب السفير الجديد «رالف ستيفنسون» تقريره الاتحادي (رقم ١٠١١/٠٠/٠):

«لقد مضت شهور قليلة على عودة الوفد للسلطة ويبدو للعيان الآن أن الحكومة الجديدة خيبت مبكرا توقعات الرأى العام إزاءها، بمن فيهم أنصار الوفد وأصدقاؤه. ومن الواضح أنها فشلت فى استيعاب دروس الماضى ولم تستطع الارتفاع إلى مستوى التوقعات المتفطرة منها.

وما يدعو إلى مراعى إلى مثل ذلك الاستنتاج أن الحكومة الجديدة لم تستطع بعد أسابيع من تشكيلها أن تخلق فريق عمل ينسجم مع بعضه، فتمتدح متعاقبا لتحقيق برنامج متفق عليه.

٢- ويجمع أكثر المهتمين بشأن المصرى استقلالاً موضوعية، أنه قد تأكد الآن أن هدف الوفد الوحيد من الصفقة مع القصر كان الوصول إلى السلطة، والاحتفاظ بها، ولابد أن أقول الآنى لا أقول تقريبا آخر بقنعتي بما رأته من هذا الخضوع الذى لا يؤوم له من جانب «النحاس» (باشا) مرمع قصادت موجهة فى الملك بإشارات إلى الدستور. الذى كان الوفد دائما يستند على فى مقاومة تجاوزات العرش فدان الإصحاء العام المديح الزائد تقيل على الأصحاب، ولو أن الملك المظفرين من «النحاس» (باشا) ذكر أدعاء مفارقات أن «النحاس» لم يتغير، لكن يريد أن وقع الصدام بينه وبين الملك أن يكون ذلك على أرضية يتخارها هو ولا تفرض عليه.

٣- أن التجمع الأكثر تأثيرا فى السياسة المصرية الداخلية الآن هو ذلك التحالف الثلاثى الذى يجمع «فؤاد سراج الدين» (باشا) وزير الداخلية مع «حريم باشا» (باشا) الرجل الاقوى فى حاشية الملك الآن مع «أحمد عيوود» (باشا) وهذا هو الثلاثى الذى رتب عوود عودة إلى السلطة، وهو الذى مازال يمسك بدفة توجيه الشان المصرى.

٤- ومن الواضح أن «فؤاد سراج الدين» يحاول أن يمازى عائلاته بالقصر، والانتفاع العام من قبل فى رئاسة الوزارة، لكنه لا يبدو أنه سوف ينجح فى مساعاه، فهو لا يملك مؤهلات رجل دولة، وما لديه هو اساليب بكتن قريه إقتضاها سفير رالف ستيفنسون - كذلك من الإنجليزية والعربية بحرف لاتينية Village Omda). لأن مراسلته للسلطة فى العاصمة اقرب ما تكون إلى مآرسات السماسرة المحليين فى الامريكى تعتمد على الإغراء وألى التهديد.

وقد أكد لي «جاشا» (صاحب جريدة الجورنال ديجيت من القريين من مصر) وشقيقه هو «فيليب جاشا» (باشا) مدير الإدارة الفرنجية فى قصر عابدين - «أن الرئيس مستريح إلى «النحاس» (باشا) وأن رئيس الوفد لن يترك رئاسة الوزارة لغيره بما دى فيه، بل قد يفسن يريده.

وحسب ما توقت وزارة الخارجية البريطانية، وهو متطلى: «لأن موضوع البدء فى مفاوضات مصرية - بريطانية كان يلح نفسه بالضروة على جدول أعمال الوزارة الجديدة، وذلك ما استعدت له الخارجية

تصريحات الوزراء مع بعضها وخرجت جريدة يملكها شقيق لفؤاد سراج الدين تهاجم الدكتور «حامد زكى»، وهذب الدكتور «محمد صلاح الدين» إلى «النحاس» (باشا) يطلب تدخله لتهديد أخصاصات كل وزير، لأنه يخشى أن بعض الوزراء تستصوبهم القضية المالية.

٦- وقد تأكد لي إعلان أن هناك تضاريا فى التصريحات بين الدكتور «حامد زكى» و«محمد صلاح الدين» وفؤاد سراج الدين، وخشيتى أن الوزارة الجديدة قد تعجز عن توفير الخير للناس من يعوضون ذلك بتوفير الشعارات الحاسية.

١٠- سألت «عيود» (باشا) عن الأوضاع وأدلى أن «فؤاد سراج الدين» مازال «الرجل الكبير» فى الوفد، وهو على وجه التأكيد خليفة «النحاس» فى رئاسة الوزارة، وأبدى «عيود» تخوفه من تيار بين قدامى الوفديين والجند - يحذر من التكايل على إرضاء القصر وتكب رضا الملك باى قن!

وأبدى لي «عيود» - «أن «النحاس» (باشا) يركب «الحصان العاتكة» إلا أن هؤلاء الكاترة لن يحصلوا على الاعتمادات اللازمة لتحقيق مشروعاتهم وسوف يتكشف أمرهم أمام الجميع.

وعبر لي «عيود» (باشا) كذلك عن نقد صريح لفؤاد سراج الدين بسبب عدم قدرته على التعامل مع «مجموعة البكتارة»، رغم أن استطاعته «مماراتهم حتى يتكشف أمرهم وتضعف هيبتهم، وعلى أى حال فهو يامل أن يستطيع «فؤاد» بسرعة أن يتدارك ما فاتته.

ومضت أسابيع وهذب سفير بريطانى السيد «رونالد كامبل» وجاء سفير بريطانى آخر

متصارعة على النفوذ، الأولى: مجموعة تلف حول «فؤاد سراج الدين» وتظهر من فيها «إبراهيم فرج» - وزير الشؤون البلدية والقروية؛ والثانية: مجموعة محسوبة على «نجيب الهلالي» - وزيرها الدكتور «طه حسين» والدكتور «زكى عبد الحلال» والدكتور «حامد زكى» والدكتور «محمد حسن» - والثالثة: مجموعة من الوفديين القدامى يعتبرون أنفسهم على صلة بريس الوفد له وحده ولأهم - ويلاحظ أن وزير الخارجية «محمد صلاح الدين» يلق «مجموعة» وحده ويفضل أن يمارس الشؤون الخارجية بغيره

٤ - يبدو واضحا أن «فؤاد سراج الدين» مازال الرجل الاقوى فى الحزب، وهو يتصرف باعتباره «النحاس» (باشا)، لكنه فى هذه الأيام يمشى بلباسه بطلى الخلعى حتى يتنى الاقوال التى تنهيه بأنه متجمل إقصاء «النحاس» (باشا) عن رئاسة الوزارة لكنى يجلس مكانه.

٥ - والملاحظ أن «فؤاد سراج الدين» (باشا) يصرف جهدا كبيرا فى تنمية علاقاته مع القصر الملكى عن طريق «كريم ثابت» الذى يامل فى مساعدته بسخاء أكثر حتى يصل لرئاسة الوزارة.

٦ - هناك شعور بان مجموعة الوزراء المحسوبين إلى «نجيب الهلالي» (باشا) ينتظرون فشل التجربة الهلالية للوزارة، ويعلمون مع «نجيب الهلالي» لعبة صبر طويلة من التخطط والخطى مع اتفاق بين الجميع على أن مصدر القصر هو «فؤاد» جيش المروج عائد من فلسطين، يشجع موجوب تكاتثر على هلمو الاقتصادى والاجتماعية - إلى جانب حالة تور أمنى، خصوصا بعد سنوات دورث انفجارات القنابل فى الشوارع، وألهم رصاص أودى بحياة رجال بارزين وساسة لهم شأن، وإغتيال زعماء وراهم قسامير، والشاهد أنه تبيد لكل المراقبين، وأولهم سفارات القوى الكبرى - الذين نموا أن يروا تحالوت فى الوفاى الأكبر إلى الداخل: القصر و«فؤاد» - لثبات حالة من التردد العامة أصابت الشان المصرى وأضرت به - ما لبوا أن استشهوا أن الحصلة النهائية لكل ما نموه وسعوا له أصبح اتفاقا بين الوفد والقصر يقسم السلطة بينهما، وفى الجوهر فإنه لم يكن اتفاقا للسلطة وإنما كان توافقا على ألا يتعرض أحد الطرفين للآخر، وبدا لكل المراقبين على الأرض أن كلا من الطرفين انشغل بأحواله وتلته بها.

٧ - ومن المحسوس ب أن الملك «فاروق» غير راض عن مجموعة «الهلالي» لأن خطابهم مازال موجهها إلى عناصر الوفد التقليدية المعادية للقصر فى صفوف الوفد، وقد لفت النظر أن الدكتور «حامد زكى» رفض عمادا أن يُقبل ب الملك كما فعل غيره، وقد علمت أن الملك قد الدكتور «طه حسين» مباشرة «قبل أن اتك شوى على باشا» - «محمد حسن» «طه حسين» من الملاحظة.

٨ - المصراحت بين المجموعات المختلفة فى الوزارة ظهرت على السطح، فعدت تناقضت

«سراج الدين» بناء نوع من الولاء الشخصى له فى البوليس، وفى سفارات بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا - وسجلتها فى تقاريرها إلى عوامد بلادها، عشيرة إليها فخرها، بل أن سفير فرنسا كتب «أن وزير الداخلية وهو يعرف أن الملك هو القائد الاقوى للجيش - يريد أن يجعل نفسه «الغومبشير» الأكبر للبوليس».

ويقول السفير البريطانى السيد «رالف ستيفنسون» فى تقرير علق به على نفس الظاهرة - إنه ليس واضحا لماذا يبنى «فؤاد سراج الدين» لنفسه هذه الشعبية الشخصية وسط البوليس، فهذا نفوذ يصعب تصور أن يصاحبه يستطيع استعماله لحسابه الخاص إزاء أى تحد حزبى أو سياسى يواجهه، والغالب أنه ينطق «بالخار» (تحوش) أدوات السلطة، بصرف النظر عما يمكن أن تستعمل فيه هذه الأدوات، وربما أنه تعبير عن «قلق» ذاتى لا يفصح عن نفسه.

٩ -

١٠ -

١١ -

١٢ -

١٣ -

١٤ -

١٥ -

١٦ -

١٧ -

السفير البريطانى «رالف ستيفنسون»

هى تقرير إلى الخارجية البريطانية، مضت شهر

قليلة على عودة الوفد للسلطة ويبدو للعيان الآن أن

الحكومة الجديدة خيبت مبكرا توقعات الرأى العام إزاءها،

بمن فيهم أنصار الوفد وأصدقاؤه. ومن الواضح أنها

فشلت فى استيعاب دروس الماضى ولم تستطع

الارتفاع إلى مستوى التوقعات المتفطرة منها،

باعتباره مبعوثاً مع «النحاس» (باشا). وأنه جاء لهمة سرية دقيقة..

وراحت السفارة البريطانية تتحرى. واتضح أن «توفيق مفرج» رجل أعمال من أصل لبناني، تربطه علاقات عمل وثيقة مع السيد «أحمد الوكيل» شقيق «قريئة» «النحاس» (باشا). كما أن زوجته (السيدة لمياء مفرج) صديقة مقربة من «زينب هاتم»، ويظهر أن «قريئة» رئيس الوفد رأت «إنه إذا كان من الضروري لأحد أن يتكلم أو يسمع من لندن فالأفضل أن يكون ذلك من بيت «النحاس» (باشا) مباشرة..

وكتبت السفارة البريطانية في القاهرة إلى لندن تنصح بعدم استقبال «توفيق مفرج» في وزارة الخارجية من ناحية المبدأ، وكتب السيد «رالف ستيفنسون» يقول «أنه لا يصح لحكومة صاحب الجلالة أن تدخل طرفاً في هذا النوع من المناورات» ■

وزير الداخلية والخارجية، وكان تعليقه: «إن موضوع العلاقات مع الإنجليز هو المشكلة التي يمكن أن يلعب فيها من يريد اللعب، وأضاف ما صدقنا أن رسيماً على بر مع الملك والآن يريون «دبوبيط» العلاقة مع الإنجليز..» (رواية زينب هاتم الوكيل لعاهد هاتم سرى قريئة حسين سرى باشا).



وتلا ذلك أنه بعد أسبوعين ظهرت في الوثائق البريطانية إشارة من الخارجية في لندن إلى سفارتها في القاهرة تسألها: «من هو توفيق مفرج؟» ثم تضمنت الإشارة فتقول «إن ذلك الرجل ظهر في لندن يطلب مقابلة مع وزير الخارجية أو مع مسئول كبير في الوزارة لا يقل عن مستوى الوكيل الدائم، وهو يقدم نفسه

(باشا) في غرفة نومه يشكو إليه «أن سفر وزير الداخلية في هذه الأوقات إلى لندن قد يؤدي إلى تشاكيل في الخطوط».. وكان أن اتصل «النحاس» (باشا) في حضور الدكتور «محمد صلاح الدين» بالسفير الكبير العام للوفد وزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» وبنيه على مشروع زيارة لندن، ويكرر أكثر من مرة «دا موش كلام يا فؤاد»، وحاول «فؤاد سراج الدين» أن يشير للنحاس (باشا) أن اقتراح الزيارة جاء لسبب طبي وعائلي، ولكن «النحاس» (باشا) قطع الحديث قائلاً «موش وقته» (وكانت تلك رواية الدكتور «محمد صلاح الدين» بنفسه لنجيب الهلاي (باشا)).

ومع أن هذه كانت حكاية غريبة، فقد لاحظها ما هو أغرب منها، ذلك أن «زينب هاتم الوكيل» وبسبب حقيقة «جوز» «مصطفى» (باشا) معلّم الوقت في البيت مالوا لغرفة نومه (وهو ما كان يعطيهما فرصة كاملة لمخاطبة ما يجري في الوزارة) - سمعت بما وقع من إشكال بين

البريطانية عندما اختارت لسفارتها في مصر رجلاً يؤزن السير «رالف ستيفنسون».. وفي تقريره التالي من القاهرة كتب «رالف ستيفنسون»:

«في أول لقاء لي مع «النحاس» (باشا) أثر معه موضوع العلاقات بين بلدينا، وقد أشار على بأن أتحدث في الموضوع بصفة مبدئية مع وزير الخارجية «محمد صلاح الدين»، وبالفعل بدأت سلسلة اجتماعات مع «صلاح الدين» لم يظهر لي فيها شيء جديد.. وفي تقرير آخر قال السير «ستيفنسون»: «إن «عمود» (باشا) أصر إلى بأن «فؤاد سراج الدين» يرغب في زيارة العاصمة البريطانية يقدم بها نفسه إلى لندن حتى يتعرفوا عليه ويفهموه».. وعلى نحو ما قرأنا الاقتراح بسفر «فؤاد سراج الدين» تشرب إلى الدكتور «محمد صلاح الدين» وزير الخارجية، وكان أن ذهب الدكتور «محمد صلاح الدين» لمخاطبة «النحاس»

٦٦

كل شيء مباهج في القاهرة

نازي



فايزة

رالف ستيفنسون



رياض غالي

فتحية

● ثم دخل الملك بنفسه إلى أعمال من نوع لا يخطر على البال، فقد كان من الأصل هاويا للافتتاح، وكانت لديه مجموعة ثائرة من طوابع البريد، وأشار عليه بعض الإيطاليين في القصر (وبينهم انطونيو بولتي (ديك) مدير الشؤون الخاصة) بأن يوافه المقتنيات النادرة في العالم أكثر الناس استعداداً «الدفع»، وهنا تعرض الملك ما لم يكن ينبغي أن يتعرض له، وفيه أن تاجر طوابع بريد نادرة (يهيوسو) تشيكوسلوفاكيا هاجر إلى لندن «جوزيف سيميسكي» ورفع على (الملك فاروق) قضية باسمه ولقبه الملكي، وأبلغ البوليس في لندن أن «فاروق» سرق منه طابعاً نادراً قيمته خمسة آلاف جنيه إسترليني، وادعى أنه أرسل الطابع إلى الملك داخل رسالة خاصة، لكن سكرتير الملك أبانحه أنه عندما فتح «جلالته» المظروف بنفسه اعتماماً بالطابع ونشوا في خائب، ومع أن التحقيق كشف سوء نية المرسل في تقديم الرقعة الطابع عندما استشير بعض الخبراء بواسطة السفارة المصرية في لندن - إلا أن الملك كان قد وضع سعته في ساحة الحاكم الجائبة.

● وكان الأشد سوءاً أن الملك تصور أنه يفتخر بنفسه - على زيادة ثروته بالفاخر، وقد وجد كثيرين أمامه يخسرون عنداً لمحتفلوا بصحبته، ومع ذلك فإن البعض أثر الانسحاب من مائدة الملك (في نادي السيارات المصري وغيره من نادي اللعب في

ومن المفارقات أنه في نفس الوقت الذي راح فيه «أندراوس» (باشا) يضارب في بورصة القطن لحساب الخاصة الملكية - كان هناك سمسار آخر في بورصة القطن هو «روبير خوري» يضارب لحساب «فؤاد سراج الدين» (باشا) (بوصفه كاتال كيبوا لراض نتجت فلطان)، وكذلك كان «خوري» يضارب لحساب الأستاذ «محمود أبو الفتوح» وهو صاحب جريدة المصرية، (وكان كبار تجار القطن أندرياس سرباكيين - ومحمد أحمد فرغلي (باشا) - وعلى أمين يحيى (باشا) يساعدون هنا وهناك مرة أخرى!).

أراضي الأوقاف الأميلية إلى الأوقاف للملكية، وفي صيف سنة ١٩٥٠، وطبقاً لتقارير السفارة البريطانية - مدت «الخاصة الملكية» يدها إلى ثلاثة وستين ألف فدان موزعة بين الدلتا والمعيد. ● ثم جرت إضافة أخرى إلى أعمال الملك حين ظهر إلى جولاره «مستشار مالي» هو «إلياس أندراوس» الذي ما لبث أن منح رتبة الباشوية، وأخصاصه الحقيقي توفير أكبر قدر من السيولة النقدية للملك حتى بالمضاربة في بورصة القطن لحساب «الخاصة الملكية».

■ في واحد من أهم تقاريره إلى وزارة الخارجية البريطانية (١٥ يونيو سنة ١٩٥٠) كتب السفير في القاهرة السير «رالف ستيفنسون» عبارة لنص فيها أحوال الملك «فاروق» بعبارة بليغة في إيجازها وصادقة في إلمامها - قائلاً «إن الملك داخل «فاروق» ينهزم بسرعة أمام الرجل، والظاهر أن الملك كان قد اطمان إلى شكله مع الوفد، وإلى أنه - حسب تعبيره - (أكريم ثابت) «خسر عين النحاس» حين اعطاه يده قبيلها، ونسي - أو تناسى - السبب الرئيسي الذي حدا به إلى فتح طريق عودة الوفد للسلطة، معتبراً أنه ألقى بالمسؤولية على غيره - وإن فإن من حقه أن يتفرغ بالكامل ما يجب ويهوى!

● وكانت أولى قائمة شواغل الملك «أن مصاريفه تزيد».. بينما كثير من أغنياء الحروب الجدد إلى مملو في المقاولات والتوريدات للمجهود العسكري، وتوسعة السوق السوداء والتهرب - راكموا ثروات خرافية.. وقد عرف باسم بعض هؤلاء عندما تسلموا على الملك في قصره بأن كان في استطاعته أن يحصلوا على القاب النبوية والباشوية، حتى يجمعوا «الشرف» إلى جانب الثراء (يعني ويسترو) - وكان هؤلاء الأغنياء الجدد على استعداد أن يدفعوا الفتن وفق أي توجيه ملئ.

● وتوافق ذلك مع جهد حديث للخاصة الملكية نشط إلى ضم مساحات هائلة من

تلك الأيام) بعد أن تجاوزت خسائرهم ما كانوا مستعدين لدفعه مقابل صحة الملك.



كان الشاغل الثاني لفاروق هو أحوال أمه الملكة «نازلي»، التي ذهبت إلى الولايات المتحدة ولم تعد. وكان أكثر ما شاكى الملك، هو نوع الحياة الذي اختارته الملكة الأم لنفسها، فقد اختارت أن تسكن في لوس أنجلوس وعلى مقربة من هوليوود (عاصمة السينما)، وتعرفت على كثيرين من نجومها، وأصبحوا زوارا لبيتها يحضرون حفلاتها إذا وجهت لأحد منهم أو منهم دعوة. لأن الكل يريد أن يكون في «أجواء صاحبة الجلالة».

[واختارت الملكة لإقامتها في البداية بيتاً في شارع قريب من هوليوود اسمه «تاو رود»، وقد زورها في هذا البيت. وأبدت أني حين عبرت حديقة مارا بإحفاة حمام السباحة مع «رياض غنالي» (الذي كان في الأصل سكرتيراً لها منذها لتخدمتها من فضيلة مصر في سان فرانسيسكو) - كان زواجهم وقد وصلنا إلى باب البيت - أن انتظر في الصالون قليلاً لأن «جلالتها تؤدي صلاة الظهر حاضراً»...]

كان الملك يعرف أن والدته صاغت رجل بترول أمريكي اسمه «ريشارد باولي»، وأن «باولي» اقنعها أن تباع مجوهراتها وتستمر أموالها في حقل بترول كبير في منطقة «جيمسبرج». وبالفعل باعت الملكة مجوهرات بما قيمته ثلاثة ملايين دولار، (وبقيمة النقود

وقتها فإن ذلك كان مبلغاً مهولاً) - ثم إن «باولي» دفع للملكة مبالغ ما قال لها أنه أرباح «الحقل»، ثم «نغد الحقل» قبل الأوان، وكذلك زادت طلبات «نازلي» من مصر وراحت تنهمم الخاصة الملكية، بأنها تسرق إيراد أراضيها وتسئولي على دخلها من غير الأرض، ولا تبعث لها بشيء مما يتوافر لها من إيرادها، ثم راحت تنهمم ابنها مباشرة بأنه يحاول «أكل حقها»، وهدته برقع قضاي مطالبة بمسحتها.

وزاد الطين بلة أن اثنتين من بناتها كانتا معها في أمريكا - وهما الأميرتان «فايقة» و«فتحية» - وقعت كل منهما في غرام لم يكن دبلوماسياً مصري هو «فؤاد صادق» وقد تقدم بالفعل بطلب بدها من الملكة «نازلي»، والأميرة «فتحية» مع مؤلف السلك القنصلي «رياض

غالي»، الذي اعتنق الإسلام وتقدم لخطبتها هو الآخر من الملكة «نازلي».

وكان الملك «فاروق» قد تلقى تقارير من بعض أسدقائه في الولايات المتحدة أن «رياض غنالي» - كان على علاقة مع الملكة «نازلي» نفسها، وأن تلك العلاقة هي التي مهدت له الاختلاط بـ «فتحية»!

وفقد الملك أعصابه وتقدم إلى مجلس البلاط بطلب الحجر على أمه ويدعو شقيقته إلى المنفى أمام المجلس، وأطاعت الأميرة «فايقة» وجاءت إلى مصر مع «فؤاد صادق» تضع نفسها - ومعها زوجها - تحت أمر الملك ومجلس البلاط.

..... [وقائع وثائق قضية الحَجَر في جزء مستقل من هذا الحديث]

٧٦

حكاية زواج ملوك!



ناريمان

نادر رشاد

وكانت المسألة المعلقة هي كيف يكون إبلاغ أسرة «ناريمان صادق» أن الملك اختار ابنتهم زوجة له، وكيف يتم فسخ خطبتها من خطيبها الأصلي مع الشرط عليه بأن «لا يتكلم»، وتكرر ترك هذه المهام لأحمد نجيب، وتفرغ الملك «للتصحيح أحوال البيت» حتى تكون لافتة - ثم ليبحث في «كيفية إعلان النبأ للناس»!

وبالتسوية ليند «التصحيح»، فقد جرى تكليف «عبد العزيز بدر» (باشا) - وكان من قبل واحداً من أمراء القصر ثم أصبح سفيراً هصر في روما - أن يستضيف «النبأ»، وأنه تشرّف زوجته على «توضيب» ناريمان من كل النواحي: اللبني والمشي وطريقة الإكل وقواعد البروتوكول، وإذا أمكن شيئاً من اللغة الفرنسية أو الإنجليزية أو حتى الإيطالية «كخيار ثالث» إذا كان ذلك أسهل لها بحكم أنها سوف تبقى في روما مدة لا تقل عن ستة شهور.

وما بالشيء ليند الإعلان عن الخطوبة، فقد عبد الملك إلى «الخصاس» (باشا) بأن «يشغل» في هذه المسألة، كما اشتغل سابقاً بمسألة الملكة «نازلي» (وكان زعيم الوفد قد اتصل

«تحاسن» على المصاريف - أو تطلب كل يوم «مائة لستان» كما تفعل بعض إمبراطوراته؛ وكانت مواصفات الملكة شائعة في أوساط حاشيته، وعندما تصور جواهرجي الملك - «أحمد نجيب» (باشا) أنه عثر على فئة تتوافر فيها هذه المواصفات: اتصل بمكتب الخدمة الخاصة للملك لإبلاغ بأنه «وجد طلب مولانا» وكانت المشكلة التي اكتشفها «أحمد نجيب» مخبوءة، وقد ذهبت إلى محله (في شارع ثروت وسط القاهرة) - فتشأت «شبكة زواجاها» مع شاب من خيرة شباب مصر، كان يعمل وقتها في مجلس الدولة، ولدهش أن الملك طلب من الجواهرجي الملكي أن يعمل على استدراج الفتاة وأنها إلى مكانه مرة أخرى، بحجة أنه يريد أن يعرض عليها «عدها» شيئاً أفضل بلقي العجب أكثر من خاتم ورق اختيارها عليه. وعندما جاءت الفتاة وأنها خطيبته!) كان الملكاً من وراء ستارة يريد أن «يعان بنفسه»، وقد وافقه ما رأى، وكان تعليقه لأحمد نجيب (وفق رواية السيدة «نادر رشاد»): «إن البيت نتفع».

■ كان الشاغل الثالث للملك هو تحقيق أمنية عمره بأن يكون له من صلبه ولي للعهد، وكان ضمن أسباب طلاقه من زوجته الأولى - فريدة - أنها إني جانب كل ما أخذها عليها، أنجبته ل بيتات ولم تلد له ولداً ذكراً يرث العرش بعده (وكان يقول «الله كلما رأى ولي عهدته الرسمي الأمير - محمد علي - وهو في السبعين من عمره، يُصاب بالغم»).

وكانت للملك «فاروق» مواصفات «معيّنة» للزوجة الثانية: حديداً (طبقاً لرواية السيدة نادر رشاد):

- فهو يريد «بيتاً خدام» «يربيها» - بـ «معرفة».

- وهو لا يريد «أكيدة» تفشل في حياته الخاصة حين لا يعجبها شيء!

- وهو يريد «من أسرة» «وثقة» للذكور حتى لا تتكرر «حكاية البنات».

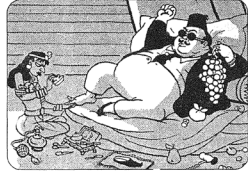
- وهو يريد «جميلة فقط» وليست شديدة الجلال، وعن أسرة معقولة وليست بالضرورة من أسرة أرستقراطية، وعادةً الطبع تعرف كيف «تسمع الكلام»، وست بيتة، تعرف كيف

بالمكة الأم قبل وإنشاء قضية الحجر أكثر من عشر مرات ولم ينجح في اتصاله،) - وأن كان «فاروق» يتنقل من «الخصاس» (باشا) أن ينجح هذه المرة، وأن يتولى هو «إداعة النبأ» السعيد على الشعب المصري.



واقام «مصطفى النحاس» (باشا) رئيس الوزراء خلافاً بانخا في قصر الزعفران، التي فيه خطاباً عن الزواج الملكي السعيد استغرق سبعا وخمسين دقيقة، تراخمت فيها العواطف تجاه «الملك الإنسان»، وقدراته السامية، و«حكمت» العالية، وفي الفقرة الثانية من الخطاب جاءت البشرى تشكر الله أن السعادة في الطريق إلى هذا الملك الحريص على رفاهية شعبه، وأن فإن واجب الشعب كله توفير أسباب السعادة «للسنة العالية» والمقام الكريم.

وفي هذا التوقيت بالضبط يكتب السفير البريطاني في



نفس الكاريكاتير في نفس الصحيفة بعد تدخل رقابة الجيش البريطاني وحذف جزء من الرسم

في الرسم الكبير: الشعب المصري يحمل صحيفة تنشر خبر تأييد روسيا لمصر يقول الشعب للملك.. كبادرة تقدير لحملاتنا العظام.. هل يتفهم مولاي بتفقد أحوال العمال في المصانع بدلا من الكباريات؟! عن «صنداي اكسبريس» ٢ سبتمبر عام ١٩٥١

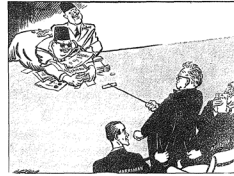
THERE WON'T BE A FUSS? ASKS MAX ('FAROUK') BACON

Max BACON pictured in the "Farouk" costume he wore at the Royal Variety Show to join the court-livered Crazy Gang in a warming-up sketch- was wondering last night whether there would be a fuss about his fun.

"If I went to a fancy- dress party nobody would say anything, would they?" he asked.

"I shan't be sued for it, shall I? There won't be a row, will there?"

But already Max's Farouk joke is going round Europe. Pictured on the right, in a Paris night spot, is a woman complet. with a Bacon- Farouk moustache.



الملك فاروق على ملادة القمار وخلفه النحاس باشا عن «الديلي ميرالد» ١١ أكتوبر ١٩٥١



الملك الهزلي «ماكس بيكون» يقدم «نمرة» في أحد الملاهي الليلية يقلد فيها الملك فاروق.. وفي الصورة الأخرى في أحد كبريات باريس، سيدة تفسع شوارب الملك بعد اشتها «نمرة» ماكس بيكون.

عن «الديلي اكسبريس» ٢٠ أكتوبر عام ١٩٥١.

الملك فاروق في الصحافة البريطانية
١٩٥١



السفارة البريطانية في العاصمة السورية إلى «سكن متقل».

كان «قاروق» قد تعود على رحلات صيف أوروبية صاخبة من قبل لكن مناسبة شهر الحاصل الجديد فاقت في صخبها ما يمكن تصوره. وطبقاً لوصف السفير البريطاني في روما، فإن موكب الملك بدأ تزوله وعروسه ومرافقيهما من البيت الملكي يوم ١٠ يوليو ١٩٥١ في ميناء «تاورمينا»، في «صقلية»، ثم أبحر إلى «كابر» ثم «نابولي»، وتقدم الموكب بعرض الريفيرا الإيطالية والفرتسية - سيرات الدايكلا الملكة، تسبقها سيارة حراسة لتبهي سيارة الملك وعروسه، ووراءها رجال ونساء من الحاشية، وبعد من «الجميلات الإيطاليات» (Glamour Girls)، ثم وراء ذلك جمع من أفراد الخدمة وأخصيفي للملك والمملكة الجديدة رجالاً ونساءً، وفي هذا الجمع (حسب تقرير السفارة البريطانية في القاهرة) عدد من أصدقاء الملك في موانئ الممر معهم إلى الشاطئ، وكان الموكب حيث يصل يجد في انتظاره مجموعة من رجال أشداء من الحرس الملكي في الغالب يرتدون ملابس مدنية، ويتعاملون مع الجمهور المتوسد بما يرى، بشدة وقسوة لا يعرفها جمهور أوروبي، وقد شاهد السفير الإيطالي في إيطاليا موكب الملك يمر بسرعة عظمى على الطريق الساحلي ما بين «رياليو» و«بيروتينو»، في الريفيرا الإيطالية متوجها نحو منطقة البحيرات!

(ولملاحظ أنه في نفس الفترة تواجد

«النحاس» (باشا) وقرينته في أوروبا لمدة شهر للاستشفاء ما بين «فيشي» و«إيفيان» في فرنسا - وكان «سيد الدين» (باشا) قد صُحِبَ الاثنين وصلاً إلى أوروبا بضمناً عليهم، وبقي معها أسبوعاً ثم عاد إلى مصر، ليرجع إليهما مرة أخرى فيفضي أسبوعاً في هناك وقد جازف للخدمة وتلبية الطلبات يتقدمه الأستاذ «محمود أبو الفتح» صاحب جريدة المصري الذي يادر بإرسال ثلاث سيارات لكرد

على أن سفارات الدول في إدراكها للامعية التاريخية لخصر بصرف التفرغ عن أحوال أي فظا يحكمها في لحظة معينة من الزمن - يادرت في تقديم الهدايا:

١- فلانكاشا السوفيتي سارع بتقديم باطو من الفراء النفيس للملكة الجديدة.
٢- والحكومة الهندية تقدمت بغطاء لفراش مطرز بالذهب ومرص بالؤلؤ.
٣- وإيطاليا قدمت لوحة تسجيح من صنع فينيسيا يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر - والولايات المتحدة طاقما من الزجاج النادر مماثل لما قدمته في طهران عندما تزوج شاه إيران من «فريا» (قبلها بشهور).
٤- وفرنسا قدمت طاقما للطعام من الغضبية المحفوظة بالذهب.
٥- والنرويجية قدمت باسم الإمبراطور هيلسانسي شخصياً إناءً كبيراً مرصعاً بالجواهر.
٦- وسويسرا قدمت ساعة من نوع بالغ الدقة تظهر الوجه في أي مكان في العالم بللمسة على زر.
٧- وتركيا قدمت غصنًا نادرة من صنع القرن السادس عشر.

وهكذا... وهكذا...

ولم تكن السفارات الأجنبية وحدها التي بادرت بالهدايا. وإنما تسابق وتزارت الدولة المصرية ومؤسساتها وهيئاتها حتى الجيش والبوليس - إلى تقديم هداياها، وكذلك الجاليات الأجنبية وحتى الجمعيات الخيرية رفع الطابع الخاص بأورادها - كان عليها جميعاً أن تقدم الهدايا لملكها، حقيقة وليست مزعومة. ويكتب السفير البريطاني السفير «رالف ستيفنسون» إلى وزير الخارجية «هربرت موريسون» يقول له: «إن الفكرة لا حديث لها لأن وسائل الضغط الفاسية (Brutal) التي جرى اتباعها حتى تكون الهدايا التي تقدم للملك كثيرة وغالية؛

كان مزاء الهدايا فضيحة داخل مصر - لكن شهر العسل عندما حل موده كان فضيحة أمام العالم، فقد طال عليها الحرس عشرة أسابيع (وقع وسطها شهر رمضان)، وطوال هذه الأسابيع لم يفرح المتحرك الذي أقامه الملك «قاروق» في أوروبا تحول حسب تقرير

القاهرة السفير «رالف ستيفنسون» - «خطاباً خاصاً إلى «هربرت موريسون» وزير الخارجية العمالي الذي جاء إلى الوزارة خلفاً ل«إرنست بيتر» الذي اعتقت صحته - وفيه يقول «رالف ستيفنسون»:

«بأنني في غاية الدهشة من مسلك «النحاس» (باشا) إزاء الملك - فهو مسلك يختلف تماماً عن كل المجهود من «زعيم الوفد» عندما كان في السلطة مرات من قبل. والحقيقة أن سلوكه يمكن وصفه «بالجاهلة»، وأكثر من ذلك فهو سلوك يتناقض تماماً مع الحقائق. فالملك لا يملك أي خيار لرئاسة الوزارة غير «النحاس» (باشا) الذي هو صاحب الأغلبية في البرلمان وكذلك في الشارع - لكن هذا الرجل الذي يفترض أن يكون قوياً بما لديه، يضع نفسه موضع الخضوع وقبيل الإهانة. ولا أعرف كيف يستطيع رجل مثل «النحاس» أن يشهر بالرضا عن نفسه وهو يسمح لفاروق أن يقول له وجها لوجه وفي مناسبة أحاط به فيها جمع من وزرائه ما يعرف أن تعرف أن تعرف أن The Majority of your cabinet Ministers are Thieves بالجر في خطاب السفير البريطاني لويزر خارجياً».

ويلاحظه القاتل بالأعمال الأمريكي في نفس الفترة، أن رئيس الاتحاد الذي لا تحول إلى منتظم لانتخابات الزواج الملكي، وأنه قد طور «مقدم لحظته»، مع أن مناسبة الاحتفال فيها ما يسوجب التوفي والحرز، لأن مشروع الزواج كان «مشواً» من اللحظة الأولى. والواقع أن رجال الصحافة وفي مقدمتهم «حسن يوسف» (باشا) كانوا في مشهد من الذي الذي ذهب إليه «النحاس» (باشا) في إظهار سعاده بالزواج الذي على أن «حسن سري» (باشا) - حسب قوله - لم يندش له يعرف حجب الضغوط الهائلة الواقعة على رئيس الوزراء حتى «بماشي ويجاري»؛

(١)

وعندما بدأ الاستعداد لعقد القران، أوضح الخبر لسنر أن يمهة الامران الملك لا يريد أن يتلقى هدايا مزينة - وإنما هدايا حقيقية، ولا يريد من أحد أن يعبر عن تهنئته بالورد - لأن حدائق القصور مليئة بها على الأرجح. ووصل إلى الاحتفال حتى إلى سفارات الدول الأجنبية، لعلوا القاصيد جرت على أن هدايا الزوايا لمعوم تقصر على أمر، فذا تكرر الزوايا أو تعددت زيجات رئيس دولة مسلم، فإن هدايا الدول الأجنبية لا تفتقر، لأن المقصود بما يكون قدر غير عن نفسه في المرة الأولى وذلك كاف. لكن السفارات الأجنبية هذه المرة لم يكن أمامها خيار إلا بذا استعان بأمرها عن تقديم الهدايا لملك مصر - نوعاً من «الإيمان المتعمد أو الإهانة المقصودة» - وكان ذلك هو التعبير الذي استعملته السفارة البريطانية في مصر عندما بلغها أن الملكة «إليزابيث» ملكة بريطانيا (وهي إليزابيث الأم التي توفيت أخيراً عن ١٠١ عام) أدت اعتراضها على اقتراح وزارة الخارجية البريطانية بأن تقدم وزوجها الملك «جورج السادس» صاحب لفاروق، وكان رأي «إليزابيث» أن «رجلاً مثلاً» يتزوج مرة أخرى لا يصح أن يتلقى «تهنئة»، ولا «هدية»؛

تحت الطلب، أولاهما سيارة من طراز «فولكس فاجن» خصصت لرفقة الباشا» (طبقاً لرسالة تبعها بعد رجال الحاشية الملكية وكانت هذه الرسالة ضمن محفوظات الديوان الملكي، ويظهر أن الملك أرسله أو أن «جهلاء» (بك) تلحوا لإلقاء نظرة على ما يجري في محيط رئيس الوزراء).



ومرة ثانية كتب السفير البريطاني في روما إلى وزارة الخارجية - في لندن «١٩٥١/٥/٢٣» (١٠٢٣٣) - يقول «إن الملك «قاروق» تجنب زيارة روما بسبب خوفه من زحامها وجوها الحار والرطب في الصيف»، في السفير «البريطاني» في روما وكان «رالف موكب الملك في «أربالو» - تحدث فيها رأي عن السفير المصري (باشا) - وقد روى في تقريره «أنه شعر بأن مصر المصرية (رغم أنه كان من أمهات العصر ورغم أن زوجته كانت متمسكة على «تاهيل» (صليب) «ناريمان» - لا مدحها، وكانت تعالج) تعكس نظرة بامسة وهو يسمح أصحاب المجتمع الإيطالي بين فيه - الحاسيون عن محاسرات كمال بلاد دون تحرج من جانب أحد، لأن الصحف كانت مليئة بالصور والأخبار عن «السيد الملك» المتقل، الذي قدر الصلابة العنيفة (وضمنها جريدة التيمس) مصاريفه على يوم بمائة ألف جنيه إسترليني (وهو مبلغ يساوي للمليون جنيه إسترليني بسعر العملة هذه الأيام).

ويروي السفير البريطاني في برلين من روما (١١ - ١٩٤١) أن «السيد العزيز بد» (باشا) السفير المصري في لندن لم يأت إلى الدولة الإيطالية أخذه على وجبة في إحدى الصحف وقال له: «إن زوجتي ليست عمة وأقامت معنا في المنزل الماضي، والحقيقة أن ذلك كان خطأ» «عده مناسبا» واعتبار أن زوجته من عائلة «صديق»، و«ناريمان»، والدها اسمه صديق - لكنها ليس من نفس العائلة. وأصل المسألة أنني خدمت مينا في القصر، وكنت موضع ثقة، ثم وجدوا أن تشابه الاسم العالي بين زوجتي وعروس الملك - فرصة مناسبة للتحفة».

أضاف السفير المصري:

«حاولنا معها بكل وسيلة وقد تعلمت أشياء، ولم تعلم أشياء، وكانت مشكلتها الكبرى هي الغلات، وقد بقيت هنا ستة شهور ولم تتلق كلمة من اللغة الإيطالية».

وتسببت الإحالة المشهورة في الصحف عن تصرفات الملك وضمنها سهراته حتى الجفر في نوادي القمار - في إزمات ومشاكل بلا حدود، فقد حاولت الحكومة المصرية حين ذهب الملك أن تدافع عن سمعته، وأن تكتب لإحتياج تلوا الإحتجاج - وبيت بعض الحكومات الأوروبية مخرجة، وعلى سبيل المثال فإن وزير الخارجية في لندن «هربرت موريسون» تدخل في اللورد «بيغبروك» (إدوارد باتون) الصحافي الكبار - صاحب دار الإعراس - التي تخفف جرأته - حملتها - وخصوصاً رسومها الكاريكاتورية - على ملك مصر، ورفض «بيغبروك» يقول أي

وقائع ووثائق أحوال ملكية!



فايزة

نازلي

رياض غالى

فخية

فقط خط اتصال تليفوني مع والدتها (في لوس أنجلوس). وأجريت مع الملكة الأم قضية مثيرة، وقد خرجت للعلن وأعلنت من الكتمان، عندما فقد الملك لكامل أمل في عودة والدته من الولايات المتحدة، رغم دعوتها لها ودعوته أيضا لشقيقته «فايزة» وفتحية. وقد رفضت «فتحية» الدعوة. كما فعلت الملكة «نازلي». وصممت على الزواج من «رياض غالى»، لكن «فايزة» أعلنت أنها سوف تعود فور انتهاء شهر العسل في جزر هاواي. وفي ذلك الوقت أوائل مايو ١٩٥٠، سافرت والأمستاد محمد يوسف، كبير مصري أخبار اليوم، إلى روما. والتقدير أن تنحدر من هناك موعد عودة الأميرة «فايزة» وزوجها «محمد يوسف» في روما ثم نعود معها إلى القاهرة. وقد توافر لنا أكبر قدر من التفاصيل وأول لغظات من الصور وكذلك كان. وكانت الأميرة شديدة اللقظ ما ينتظرها في القاهرة ولعلها قبلت. وفؤاد صادق معها. أنها يتحدث إلى.. لأن كليهما كان في شوق إلى استطلاع الأجواء في القاهرة. والذي حدث وقتها أننا قضينا ثلاثة أيام في روما لا نكاد نفترق، وعدسة «محمد يوسف» تواصل ومضاتها. وقد تعهدت للأميرة وقيلت وعدى لا أنشر شيئا سمعته منها أو صورة ظهرت فيها إلا بإذننا عندما ننقل جميعا من آخر محطة أوروبية وهي روما. متوجهين إلى القاهرة. وتحت السلطة المطلقة للملك «فاروق» (وقد ساعدتني الأميرة «فايزة» على

فتح خط اتصال تليفوني مع والدتها (في لوس أنجلوس). وأجريت مع الملكة الأم قضية مثيرة، وقد خرجت للعلن وأعلنت من الكتمان، عندما فقد الملك لكامل أمل في عودة والدته من الولايات المتحدة، رغم دعوتها لها ودعوته أيضا لشقيقته «فايزة» وفتحية. وقد رفضت «فتحية» الدعوة. كما فعلت الملكة «نازلي». وصممت على الزواج من «رياض غالى»، لكن «فايزة» أعلنت أنها سوف تعود فور انتهاء شهر العسل في جزر هاواي. وفي ذلك الوقت أوائل مايو ١٩٥٠، سافرت والأمستاد محمد يوسف، كبير مصري أخبار اليوم، إلى روما. والتقدير أن تنحدر من هناك موعد عودة الأميرة «فايزة» وزوجها «محمد يوسف» في روما ثم نعود معها إلى القاهرة. وقد توافر لنا أكبر قدر من التفاصيل وأول لغظات من الصور وكذلك كان. وكانت الأميرة شديدة اللقظ ما ينتظرها في القاهرة ولعلها قبلت. وفؤاد صادق معها. أنها يتحدث إلى.. لأن كليهما كان في شوق إلى استطلاع الأجواء في القاهرة. والذي حدث وقتها أننا قضينا ثلاثة أيام في روما لا نكاد نفترق، وعدسة «محمد يوسف» تواصل ومضاتها. وقد تعهدت للأميرة وقيلت وعدى لا أنشر شيئا سمعته منها أو صورة ظهرت فيها إلا بإذننا عندما ننقل جميعا من آخر محطة أوروبية وهي روما. متوجهين إلى القاهرة. وتحت السلطة المطلقة للملك «فاروق» (وقد ساعدتني الأميرة «فايزة» على

القاهرة، وانصرف بها وحدها، تاركا «فؤاد صادق» لأحد أفراد أسرته. وأما الأستاذ «محمد يوسف» وأنا، فإن رئيس القلم المخصوص «الأميرالي»، محمد إمام إبراهيم، (بك) أخذنا إلى غرفة جرى فيها تقديشنا مصدرة ما معنا من أفلام وأوراق (ولم يكن فيها ما نحرص عليه). ولم تنص ثلاثة أيام حتى كانت الأميرة «فايزة» تنصل بي معتذرة وبرقة «إن المسألة والحمد لله سويت». ورضي جلالة الملك عن زواجنا ووافق على عقد زواجها، العقد الذي أجراه شيخ مسجد سان فرانسيسكو. ثم أضافت «أنه كان عليها أن تعرض الأفلام على الديوان الذي قام بتحميمها، وأنها استطاعت إقناعهم» في القصر بنشر خمس صور تنتمي بها للمسألة كلها وتطوى الصفحة.

ثم تقابلنا بعد ذلك وجاءت مع زوجها يحملان أية كرسى (ملكية) ترد هديتي السابقة، وقد حُفرت عليها عبارة «لشكر العرفان بالفضل»، والحران الأولان من اسم الأميرة، وكانت تلك بداية صداقة سعيدة دامت سنوات طويلة، حتى بعد الثورة وسقوط أسرة «محمد علي»، وإلى أن توفيت الأميرة في أوائل السبعينيات من القرن الأخير متأثرة بسرطان الثدي الذي اغتال حياتها وسعادتها!

لكن وقائع الحجر على الملكة «نازلي» لم تكن لها هذه النهاية السعيدة، وإنما وثائقها الرسمية أفضل ما يكشف ملامستها.

تدخل، ووجهة نظره «أنه مادام ملك مصر يصرف «بدون حياة» - فإن الصحافة من حقها أن تتابعه دون عائق». وفي اليوم التالي أرسل اللورد «بيغبروك» إلى مكتب وزير الخارجية (طبقا لرسالة من مكتبه إلى السفارة في القاهرة) مجموعة صور التقطت للملك وهو يرتدي ملابس البحر ويستمتع إلى عازف جيتار يقف بيته وبين «ناريمان»، وكان ذلك على الغداء في مطعم «كانسوني دل ماري» (أغنية البحر) الذي تملكه المغنية «جراسي فيلن» في كايرو، وكانت الصور مليئة من وجهة نظر صحفية، وكانت مع الصور بطاقة كتب عليها اللورد «بيغبروك»، بخطه «كيف يمكن أن أحرم «الإنسبرس» من نشر مثل هذه الصور؟».

والمدى أن الغداء في مطعم «جراسي فيلن» في كايرو تسبب في مشكلة للصحف المصرية، فقد نشرته «الأهرام» بخس نية في الطبعة الأولى، وتذكر أحدهم «أننا في رمضان» ولا نُحَلَّل أن يجلس إلى عشاء غداً على في الشهر الفضيل حتى ولو كان على سفى. وتم الاتصال فجرا بوزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» (باشا) الذي أصدر أمره بمصادرة الجريدة - وكانت تلك الحادثة موضع تقرير من السفارة البريطانية في القاهرة إلى وزارة الخارجية في لندن:

وربما كان الأسوأ من ذلك أن وزير خارجية إيطاليا دعا إلى اجتماع ليخضع رؤساء الصحف الإيطاليين بروجوه من أفلو ما يشترطونه من أخبار عن ملك مصر، وعبارة للعلاقات بين البلدين. وكان بين ما قاله لهم «أن الصحافة الإيطالية لا يسمح أن تعطي كل هذه المساحة لنشر الفضائح». ورد عليه رئيس تحرير المسابرو قائلا: «إن كنت تصفها بالفضائح فلماذا تريدنا أن نكتب أخبارها عن فرنسا؟» ورد عليه وزير خارجية إيطاليا «إن هذه كلها ليست أخبارا بل أمور عادية، طاعية شرقي. يصحرف طاعية شرقي. أي غريبة في ذلك يمكن أن تمثل خيرا؟».



وهكذا فإنه عند منتصف سنة ١٩٥١ كانت أهم المؤسسات المصرية السياسية والسياسية والنسورية في أزمة: القصر وهو المؤسسة المطلقة السلطة، السيدات، وحزب الوفد وهو المؤسسة الملكت لأغلبية الشعب، وفي الواقع فإن القصر الملكي كان يتهاوى ويقف أمامه وحيدته، وأن حزب الوفد كان يتصدع ويهدم بقية المؤسسات التاريخية والدستورية.

وهي ثلاثية السلطة الحاكمة في مصر وهي: الإنجليز والقصر والوفد. فإن سلطة واحدة كانت لا تزال متعاسة تحاول المحافظة على موقعها (الإمبراطورية).

وكان على الأقل السياسي المرئي طارئا جديد تحسبه له الجميع مبرا وتنادوا للتعامل مع احتمالاته عندما يقف اللقاء بين جيش مروج وقبض مروج - لكن (المصريين) وليس (الإنجليز) نسوا الأسباب والدواعي وهو ما يحدث للقرى السياسية عادية وحتى للافراد كان تخاصم مغربيات واجدية ورواياتها وتفسيرهم حقائق الحياة ونسوقها إليها.



رسالة فاروق

إلى

مجلس البلاط

نص الرسالة التي عرضها الديوان الملكي على مجلس البلاط يوم ١٢ مايو ١٩٥٠:

«جمع ديوان حضرة صاحب الجلالة الملك جميع المستندات التي تقوم مقام أدلة الإثبات في القضايا العادلة، وهي عبارة عن التحريات الخاصة التي قامت بها السفارة المصرية في الولايات المتحدة، فيما يتعلق بشخصية «رياض غالى» (أفندى)، والكيفية التي تعرف بها على جلالة الملكة «نازلى» وسمو الأميرتين منذ سنة ١٩٤٦، والطرق التي كان يستغل بها أموالهن، مع بيان الوسيلة التي كان يفرض بها نفسه عليهن، والتقارير التي تلقاها ديوان جلالة الملك من مختلف الجهات عن هذه المسألة، وفيها بيان شامل للمساعي التي قامت بها الحكومة المصرية والسفارة المصرية في الولايات المتحدة.

وقد تغضل جلالة الملك بمبالغة من جلالاته في العناية بهذه المسألة، فاعد مذكرة مستفيضة تتألف من صفحتين من الحجم الكبير وقعتها باسمه الكريم، جاء في مستهلها: «رأى المغفور له جلالة والدنا الملك «فؤاد الأول»، وضع نظام للأسرة المالكة، فأصدر بذلك القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢، وقد راعى بشاق فكره في وضع هذا النظام أن الأسرة المالكة ركن من أركان الدولة لما بينها وبين

الجالس على العرش من أواصر القرباة، وهي من جهة أخرى أكبر الأسر وأكرمها، والمثال الذي يحتذى به في ضبط النفس وكمال السلوك، واعتبر بخسن تقديره أن مسائل الأحوال الشخصية مسائل عائلية محضة، وأن كرامة الأسرة ومركزها في البلاد يقضيان بأن لا تتعرض مثل هذه المسائل الشخصية لأحداث الناس، ولذلك فقد أراد والدنا إنشاء مجلس للبلاط وأن يصحب هذا المجلس فوق ما له من اختصاص قضائي، هيئة استشارية في الأمور المهمة التي تهم الأسرة المالكة عندما يطلب إليها الرأي فيها».

وانتقلت مذكرة المقام السامى إلى أن ظروفا قد طرأت على جانب كبير من الأهمية والخطورة وتقتضى العرض على المجلس، إذ إن جلالة والدنا الملكة قد سافرت إلى الخارج في صيف سنة ١٩٤٦ للعلاج، وقد استصحبته معها شقيقتنا الأميرتين «فاثقة» و«فتحية»، وأثنى يقمن الآن في أمريكا، ونظرا إلى طول مدة إقامتهن بعيدا عن مصر وعنا، وإلى صغر سن شقيقتنا الأميرتين، وما عليه جلالة الملكة من حالة مرضية ونفسية قد وقعن تحت تأثير بعض المصلتين بهن، وقد دعوتهن مرارا بعد إتمام العلاج للعودة إلى مصر، فلم تقبلن، حتى كان من نتيجة ذلك زواج الأميرة «فاثقة» في أمريكا قبل

الحصول على موافقتنا، وكان من نتيجة ذلك أيضا أن اعتمدت جلالة الملكة والدة أن تزوج شقيقتنا الأميرة «فتحية»، التي لم تبلغ سن الرشد بعد ولا تزال تحت الوصاية إلى الآن. بمن يدعى «رياض غالى» المسيحي الذي دلت التحريات على سوء سيرته.

ولما علمنا بما اعتمدته جلالة الملكة، بذلت جميع المساعي الممكنة لمنع هذا الزواج قبل وقوعه، وهي مساع عديدة كانت لدى جلالة الملكة والدة ولدى الأميرة «فتحية» نفسها، وقد قدمت لهما فيها النصيحة تلو النصيحة بوجوب المحافظة على كرامة الأسرة المالكة.

وقد ساهمت الحكومة كما ساهم سفيرنا في أمريكا بنصيب موفور في هذه المساعي، ولكنها كلها مع الأسف الشديد، لم تؤد إلى النتيجة المرجوة. وقد أبغى سفيرنا في أمريكا ديواننا تفصيلات مسعاه التي لم تزد جلالة الملكة إلا إصرارا على تنفيذ ما اعتمدته، وقد كانت تصرح في كل مرة، وعند أى مسعى، بأنه لا يهمها ولا يضيرها أن يكون من يصاهرها من عائلة مالكة أو ممن يقال أنهم من عائلات عريقة، وكانت تُرِيد على ذلك فتذكر بأنها لا تبالى بما ينتسب عن هذا الزواج من نتائج وعواقب مهما يكن نوعها.

وقد أوضح جلالة الملك أن جلالاته

قد أرسل إلى جلالة الملكة والدة برقية مطولة مستفيضة يوضح فيها ما يساور جلالاته من الألم المرير، ويناشدها أن تكف عن هذا الزواج، وإصرارها على ما اعتمدته من العواقب الوخيمة السيئة، ولكنها أصرت على موقفها، وردت على جلالاته ببرقية قالت فيها «إن عاطفة الأمومة لديها مقدمة على كل اعتبار»، حتى وقعت المناسبة مع الأسف البالغ، فتم الزواج محذرا في يوم ١٠ من شهر مايو الحاضر.

وقد اشتملت هذه المذكرة السامية الكريمة على بيان تفصيلي بالمبالغ التي أرسلت إلى جلالة الملكة «نازلى» والأميرتين في الفترة الواقعة من صيف سنة ١٩٤٦ حتى الآن، وهي تبلغ في مجموعها نحو أربعمائة وثلاثة وثمانين ألف جنيه ٤٨٣٠٠٠ جنيه.

وقد تبين من المعلومات الرسمية التي وصلت إلى ديوان الملك من مختلف المصادر أن «رياض غالى» (أفندى) قد استولى على نحو أربعين ألف جنيه ٤٠٠٠٠ جنيه من هذه المبالغ.

وقد ختم جلالاته هذه المذكرة الكريمة بقوله «لهذا كله أود أن نقف على ما يشير به المجلس من إجراءات نحو هذا الزواج، وما يصح أن ينبع نحو جلالة الملكة».



وقائع مؤتمر صحفى لنازلى و«فتحية» و«رياض غالى»



تحدثت الملكة «نازلى» والأميرة «فتحية» أمام الصحفيين لتستطلع على القرارات الصادرة من مجلس البلاط في مصر إزاء أعمالها، وقالت وكالة أنباء اليومياتند بوسن إن الأميرة «فتحية» سئلت عن رأيها في معارضة جلالة الملك «فاروق» لزواجها من «رياض غالى»، فقلت: «إن غايي الوحيدة أن أجعل زوجي سعيداً، وأن أنجب له عدداً كبيراً من الأطفال».

وسئلت الأميرة تحديداً عن وقع قرارات مجلس البلاط في نفسها، قالت: «حسناً... هذا ما كنت أريد من زمن».

وكانت تبدو على وجود الملكة الوداد «فتحية» و«رياض غالى» «دليل الاستهتار وعدم المبالاة بقرارات مجلس البلاط، وعندما سئلت جلالة الملكة «نازلى» عن رأيها في هذه القرارات، أجابت بقولها: «لقد كنت أتوقع هذا الأمر، لذلك قوبل لا يهمني في شيء».

وسئلت «رياض غالى» في الموضوع فقال: «إن هذه القرارات لا تهمني، لأنهم سئلت جلالة الملكة «نازلى» عن رأيها في هذه القرارات، وكانت الملكة «نازلى» قد اعتبرت أن «فاروق» قد انتهب الفرصة ليعتصلي على زواجها من الأرض والعقارات والأثاث والتحف والأموال السلالة».

ومضى «رياض غالى» و«على أي حال فإن لدينا ما مالاً ما يكفينا بعض الوقت، أما فيما يتعلق بالزواج الدينى، فإننا

نص القرار بتوقيع الحجر على الملكة نازلى والفريق بين فتحية وزوجها

اتخذ مجلس البلاط قرارات تصها كما يلي:

١ - من حيث إن زواج المسلمة من غير مسلم باطل بطلاناً أصلياً ولا يقرب إليه أى أثر من آثار الزوجية طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.

ومن حيث أنه إذا أسلم شخص فعلاً وتزوج بمسلمة عريقة في الإسلام فإن هذا العقد إذا حصل بغير رضاء الولي أو العاص لا يصح.

لذلك قرر المجلس التفريق فوراً بين حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة «فتحية» وبين «رياض غالى» (الفدى) بالحبولة بينهما ووضعها تحت يد حضرة صاحب الجلالة الملكة للمحافظة عليها إلى أن يصل في الحل الدعوى.

وعلى السلطات المختصة اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ ذلك.

٢ - قرر المجلس منع حضرة صاحبة الجلالة الملكة «نازلى» من التصرف في أموالها وتعيين حضرة صاحب السعادة «نجيب سالم» (باشا) ناظر خاصة جلالة الملك مديراً مؤقتاً على جميع أموالها إلى أن يصل في طلب الحجر.

٣ - قرر المجلس وقف حضرة صاحبة الجلالة الملكة «نازلى» عن أعمال الوصاية على حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة «فتحية» وتعيين سعادة «نجيب سالم» (باشا) ناظر خاصة جلالة الملك وصياً مؤقتاً لإدارة أموالها إلى أن يصل في طلب عزل جلالة الملكة «نازلى» عن الوصاية.



نص طلب الحجر على الملكة نازلى

بين العضو الشرعى الذى يحل محل شيخ الجامع الأزهر عنده غيباه، وذلك حسبما يراه المجلس في هذا الشأن.

وهذا وانتشرف بأن أرفع إلى المجلس الموقر أن حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة «فاطمة» شقيقة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم قد استجابت لرغبة المجلس التي أبداها في ١٦ مايو سنة ١٩٥٠، بشأن عودة سموها من أمريكا، فعادت فعلاً إلى القاهرة في ٢١ مايو سنة ١٩٥٠.

وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فأذن بالتصديق على عقد زواج سموها من صاحب العزة «فؤاد صادق» (بك) الصادر بينهما في أبريل سنة ١٩٥٠ وفقاً لأحكام الشريعة الغراء لدى أم مسجد ساكرامنتو بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية. كما تعلفت حفظه الله بقبول الوكالة عن سموها في إقرار التصديق والإقرار بقبض المهر. وبناءً على هذا الإنز السامى الكريم صدر هذا التصديق في ١ يونيو سنة ١٩٥٠ بقصر القبة العامر لدى حضرة صاحب الجلالة الملكة الأميرة «فاطمة» و«فؤاد صادق» (بك) (يد) أمام الرحمن حسن» وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط. على اعتبار أن فضيلته يحل محل الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفقاً للمادة الأولى من القانون رقم ٤ لسنة ١٩٤٨، وعلى أن شيخ الجامع هو النائب عن مجلس الشورى في سماع إشارات الزواج الخاصة بأمره وأميراته ونبيلاء ونبيلات الأسرة الملكية بناءً على قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥.

ومعنا ما أتى من حول هذه الإثابة في سماع الإشارات الخاص بالتصديق سالف الذكر، أرجو من المجلس الموقر التفضل بما يلي:

أولاً: إجازة صدور التصديق المذكور أمام وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإنز بالتأخذ اللازم نحو تسجيله في سجلات المجلس، وذلك مكل لكل شبيهة في صدور الإشارات أمام جهة غير مختصة.

ثانياً: تعديل القرار الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ بإجابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشارات الزواج الخاصة بالأمره وأميراته ونبيلاء ونبيلات، وإضافة نص الإثابة الذى يحل عن شيخ الجامع الأزهر عند غيباه حسبما يراه المجلس الموقر في هذا الشأن.

كاتب من مجلس بلاط الملك محمد حسن يوسف
يوليو ١٩٥٠

نص المذكرة التي قدمها رئيس الديوان الملكي «حسن يوسف» (باشا) بالنيابة إلى مجلس البلاط بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٥١ بطلب الحجر على الملكة «نازلى» و«فتحية».

والإشارة بالعلو عن الأميرة «فاطمة»:

وصل إلى ديوان جلالة الملك أن زواجاً مدنياً عقد في أمريكا بين حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة «فتحية» و«رياض غالى» المصرى الجنسية المسيحى الديانة، وبما أن هذا الزواج باطل شرعاً، إذ إن الشريعة الإسلامية لا تجيز لسلمة أن تتزوج من غير مسلم، فضلاً عن عدم توافر شرط الكفاة بينهما على افراض أنه اعتنق الدين الإسلامى كما يزعم. لذلك بطلب ديوان جلالة الملك الحكم بطلان هذا الزواج.

وقد تقدم «محمد نجيب سالم» (باشا) ناظر خاصة جلالة الملك و«جلالة الملكة «نازلى» بطلب النظر في الطلب المرفوع بتوقيع الحجر على جلالتهما، وتعيين قيم عليها، ويعزلها عن الوصاية على كريمتها «فتحية» والأم، وإقامة وصى آخر بدلاً منها، وقد أعلنت بالتوقيع منها باستلام.

وقد وقع مذكرة مجلس البلاط من سعادة «محمد نجيب سالم» (باشا) في هذا الصدد ما يأتى:

بناءً على الأمر السامى الكريم، يتشرف ناظر خاصة جلالة الملك بأن بطلب إلى المجلس الموقر:

أولاً: توقيع الحجر على حضرة صاحبة الجلالة الملكة «نازلى» وتعيين قيم على جلالتهما.

ثانياً: عزل جلالتهما عن الوصاية على كريمتهما.

ولذلك لاسباب الموضحة بالطلب المؤرخ ١٢ مايو سنة ١٩٥٠، وللمستندات المرفقة به، وبناءً عليه يتقدم حضرة صاحب السعادة «محمد حسن يوسف» (باشا) إلى المجلس بوصف كونه «كاتب من مجلس بلاط الملك» بطلب النظر في الموضوعين الآتيين:

١ - إجازة صدور التصديق على زواج حضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة «فاطمة» من صاحب العزة «فؤاد صادق» (بك) أمام فضيلة وكيل الجامع الأزهر نيابة عن مجلس البلاط، والإنز بتسجيله في سجلات المجلس (وكان ذلك الزواج قد تم فعلاً وقضى العروسان شهر العسل في جزر هاواي).

٢ - تعديل قرار المجلس الصادر في ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥ الخاص بإجابة شيخ الجامع الأزهر عن المجلس في سماع إشارات الزواج الخاصة بأمره وأميراته ونبيلاء ونبيلات الأسرة الملكية بإضافة نص

... للقصة بقية



فيصل بن عبدالعزيز

من عبد العزيز، وكان كلامها يتوهم أن النظام الملكي يمكن أن يعود إلى مصر في ظرف من الظروف بعد رحيل جمال عبد الناصر. وهنا فإن «أحمد فؤاد» اختار لزوجته اليهودية اسم «فضيلة» (بداية بصرف الغاء المتوارث عن الملك فؤاد). ثم اختلقت الوقائع عن النوايا، ذلك أن «فضيلة» التي تصور أن عودة زوجها لعرش مصر يمكن أن تكون محتملة، لكنها لم تلبث أن قصرت الأمل، ثم تطورت علاقتها بزوجها إلى قضايا أمام المحاكم، ووصل الأمر إلى حد أنها رفعت عليه دعوى حجر أمام محكمة سويسرية في «لوزان» تتهمة بخلل في قواه العقلية، وبالفعل فإن «أحمد فؤاد» أودع في مصحة للأمراض النفسية في سويسرا، لم يخرج منها إلا قبل شهرين قليلة، ولعل حالته مما ينطبق عليه المثل السائد المشهور: «إن الأباء ياكلون الحَصْرَمَ والبنات يضربن»..

والواقع أن الملك «فاروق» لم يتحرك لروته لروة كبيرة من مات، لأن حسابات سرية عديدة ضاعت أرقامها بوفاته، فقد شاء أن يحتفظ بها سرا لا يعرف به غيره، وفي حين أن فروته حين خرج من مصر قُدرت بثلاثمائة مليون جنيه، فإن ما تركه فعلا لم يزد على ثمانية عشر مليوناً (ذهب أكثر من نصفها لتعاليق للمحامين والخبراء الذين كلهم الورثة يتعقب مواقع الثروة)، والباقى ضاع في حسابات البنوك!

«نازلي» ويضرب الأميرة «فايزة» إذا حاولنا التدخل لنمعه من الاعتدال على زوجته، ومن المحزن أن الملكة «نازلي» كانت لا تزال على قيد الحياة حين قام «رياض غالي» بقتل «فتحية».. وقد سارت في جنازة ابنتها تتوَكَّا على عصا.



ويظهر أن هناك لعنة تطارد الملك «فاروق» في أسرته من بداية صباه وحتى هذه اللحظة، ذلك أن ابنه «أحمد فؤاد» (ولي العهد الذي نودي به «ملكاً تحت الوصاية» بعد تنازل «فاروق» عن العرش بقرار من مجلس الثورة يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ثم جرى خلعه بإلحاح النظام سنة ١٩٥٣) - وسافر «أحمد فؤاد» رضيعاً مع «فاروق» و«ناريمان»، لكن «ناريمان» (وكانت في حقيقة الأمر ضحية لظروفها) لم تستطع مجاراة «فاروق» في حياة المثالي، لأنها كانت أكثر صخباً من حياة الملك، وهكذا عادت وحدها إلى مصر، ثم واجه ابنتها ظروفاً صعبة، وعندما أصبح شاباً فقد تزوج من فتاة يهودية فرنسية، وأنجب منها ابناً أسماه «محمد علي» - ثم سمح له الرئيس «أنور السادات» بالعودة إلى مصر بناءً على وساطة من شاه إيران «محمد رضا بهلوي». ومن ملك السعودية «فيصل

كانت نتيجة هذه التصرفات جميعاً أساسوية لفاروق، حتى وإن لم يعش ليراه.

والذي حدث فيما بعد أن الملكة الأم «نازلي» أرادت عن الإسلام، واعتنقت المسيحية على المذهب الكاثوليكي، وكذلك فعلت ابنتها «فتحية» وأيضاً «فايزة» التي انضمت إلى الائتلاف بعد خروجها من مصر سنة ١٩٥٥ بعد الثورة، وكانت «فايزة» قد نجحت في تهريب مجوهراتها عن طريق الحقيبة الدبلوماسية للملحق العسكري التركي الكولونيل «محمد نور الدين» - لكن الضابط الذي قام بتهريب مجوهرات الأميرة لم يسلمها لها في باريس كما كان مُتفقاً عليه، ووجدت الأميرة «فايزة» نفسها مُغلّسة في العاصمة الفرنسية، واكلت رحتلها إلى كاثليقونيا تشارك والدتها حياتها. وكذلك تدخل معها في عقيدتها الدينية الجديدة (المسيحية الكاثوليكية) - وعملت الأميرة «فايزة» كثيراً في حياتها قبل أن تعرض وتزعم الفراش سنوات.

لكن مصر الأميرة «فتحية» كان أكثر أساسوية لأنها قُتل بخصم رصاصات أطلقها عليها زوجها «رياض غالي» الذي تركت كل شيء من أجله، ذلك أن الغرام قُدر، ثم طارت بين الزوجين خلافات وصلت إلى حد أن «رياض غالي» كما ورد في تحقيقات بوليس لوس أنجلوس «كان يضرب زوجته دائماً من يضرب الملكة

وقائع

مؤتمر

صحفي

نعد العدة الآن لإتمامه في خلال بضعة أيام..

هذا وقد أُنشِيع اليوم أن مكتب الهجرة الأمريكي في سان فرانسيسكو طلب من «رياض غالي» أن يغادر الولايات المتحدة في مدة أقصاها ٢٥ مايو الحالي، دون أن يعين له الجهة التي يقصد إليها. وكانت السفارة المصرية في واشنطن قد سحبت من «رياض غالي» جواز سفره الدبلوماسي منذ عامين عندما رفض الأوامر الصادرة إليه من وزارة الخارجية بالعودة إلى مصر، لذلك أصبحت إقامته في الولايات المتحدة في العامين الآخرين غير قانونية. ولما سئل «رياض غالي» عما يعتزمه الآن بعد أن تلقى إقرار مكتب الهجرة بضرورة مغادرة البلاد في مدة لا تتجاوز ٢٥ مايو الحالي، قال إنه يفكر مع زوجته «فتحية» في السفر إلى جزر هاواي حيث لا تزال تقيم الأميرة «فايزة» مع زوجها «فؤاد صادق».

أما فيما يتعلق بقرار مجلس البلاط الخاص بالتفريق فوراً بين «فتحية» و«رياض غالي» بوصف أن زواج المسلمة من غير المسلم باطل بطلاناً أصلياً ولا يشترط عليه أن أثر من آثار الزوجية طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، فإن السلطات الأمريكية ترى أنه لا يمكن اتخاذ خطوة عملية في سبيل تنفيذ.

وفي رأى هذه السلطات أن كل ما تستطيع أن تفعله الحكومة الأمريكية أن تطلب إلى جلالته الملكة الوالدة و«فتحية» مغادرة البلاد - إذا طلب إليها أن تفعل ذلك - ولكنها لا تستطيع تسليمها رغم إرادتها إلى السلطات المصرية أو حتى تعيين البلد الذي تسافران إليه عند مغادرتهما الولايات المتحدة.

من العالم العربي... الى كل العالم

اينما كنت اطلب واستلم



الكتب



الموسيقى



الأفلام



برامج الكمبيوتر



الالعب التتقيفة



الاعمال الحرفية

بأفضل سعر وأسرع وقت

www.adabwafan.com

ادب وفن • كوم

كتاب الزاوية



حرب النهر إمبراطورية الدراويش

كانت فضيلة إمبراطورية الدراويش هي الشجاعة، وهي صفة تنال الإعجاب وإن لم تكن نادرة، جاءت الثورة بالحرب، عاشت بالحرب وانتهت بالحرب.

ما إن بدأ يوم الاستيلاء على الخرطوم، حتى انتهى فجأة بعد ١٣ عاماً في معركة أم درمان. غمماً كبيراً كان فرعى ثار بعد انفجار كبير، استمر يهدر أثناء الاضطرابات ثم خمد نتيجة لصدمة عنيفة.

بعد أن غادر الجيش البريطاني الخرطوم، أصبح المهدي هو حاكم السودان المطلق، كل طلباته مجابة، واختار مدينة أم درمان على الضفة الغربية للنيل، وبنى لنفسه مسكناً وجامعاً ومخازن لأموال الدولة وأسلمتها في منتصف شهر يونيو، ولم تمض خمسة أشهر على تلك الانتصارات حتى مرض المهدي ولزم الفراش، ولم يعد قادراً على الظهور في الجامع. وظل الخليفة عبدالله بجواره.

أعلن المهدي في آخر نقس له خلافة عبدالله له، لكن عبدالله أراد أن يثبت أمر الخلافة بطريقة البيعة. جمع الناس في الميدان الفسيح خارج الجامع، وألقى خطبة بليغة ومؤثرة فسارع الجميع لإعلان البيعة له.

انتصر الخليفة في كل معاركه في كل الجبهات تقريباً على كل أعدائه. وشهدت الفترة من عام ١٨٨٥ حتى عام ١٨٩٨ م أقوى فترة للسودان، هي نتاج قوة حكمه المتمكن رغم ظروف صعبة للغاية. ظل الخليفة يواجه الأخطار متخطياً الصعاب، وجاهزاً لمواجهة كل تحد.



تُستخدم من أجل العديد من التحولات غير المشروعة وتستحق قدرًا خاصًا من المتحيز. وهي مسؤولة عن جزء من عدم الثقة التي ربما عدم غرض المصالح المالية المهمة خدمة كبيرة. كما أنها تستخدم لغسل الأموال الخاصة بتجار المخدرات، وتوفير ذلك ألية للمسؤولين الفاسدين يظلون بها الأموال خارج بلادهم، في جانب أنها تمكن الأغنياء من التهرب من دفع الضرائب، وتساعد في الوقت ذاته على توفير التمويل للإرهاب، كما علمنا مؤخرًا.

وقبل الحادي عشر من سبتمبر، اعترضت وزارة الخزانة الأمريكية على جهود منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية OECD للحد من السرية التي تحمي تلك الحسابات. ومن الواضح أنها تحمي بذلك مصالح وول ستريت الخاصة كبيرة، بغض النظر عن التكليف المفوض إلى الآخرين في العالم الكوني. بل إن المؤلفة خبيرة الأمريكية اضطرت بعد الحادي عشر من سبتمبر لتغيير موقفها. وبمينا تتسم العلاقة بين الغرب والإرهاب بالتعقيد، يتكر البعض أن الفقر - وخاصة معدل البطالة بين الشباب - يوفر أرضا خصبة ينمو عليها الإرهاب. وبذلك يصعب ضمان كون العولة أكثر عونًا للغراء بعد مجر ضرورة الأخلاق. كذلك أمرًا ينبغي النظر إليه على أنه مسألة تتعلق بالمصلحة الذاتية.

و قد كتبت كتاب سوروس ببساطة تجعله تعريفًا مناسبًا للمنظومات الاقتصادية وعملية بما في ذلك صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية والبنك الدولي. وفي الوقت

«سوروس» ضمن فريق من الخبراء يتزايد

أعضاؤه يعترف بقدرته العولة على زيادة الثروة، في الوقت الذي يعترف فيه كذلك بأثارها العكسية. والانتقام الذي يسوقه بسيط: فقد أضرت العولة أناسًا كثيرين، وخاصة الفقراء في العالم النامي. وشوهدت العولة تخصيص الموارد للمصالح الخاصة على حساب المصالح العامة



صفة عادلة للعالم .. حاربوا الإرهاب ولكن

الذي لا تتضح فيه صورة تلك المؤسسات وضحًا تامًا في ألمان العامة، فإنها مؤسسات مميزة ذات مهام وولايات وسلطات حاكمية مختلفة. وهي جميعًا تقوم بدور مهم في كشف دراما العولة. وبذلك تتحمل الكثير من اللوم على فشلها. على ما ينطلمت الاقتصادية الدولية على لخصلة الدول الغنية صاحبة السيطرة، الأمر الذي ينطوي في كثير من الأحيان على إلحاق الضرر بال دول الفقيرة....

ويتضح من فشل صندوق النقد الدولي كمؤسسة أنه أسوأ المؤسسات. وكما يشير سوروس، فإنه «منذ أزمة ١٩٩٧-١٩٩٨... ليس لدى الإمبراطور ملابس نثرته: فقد فشلت برامج صندوق النقد الدولي في التأثير على الأسواق»، وهو يرى، شأنه شأن صندوق الائتمانيين، أن السياسات التي كان صندوق النقد الدولي يضعها في لجل هذه الأزمة ساعدت على إضعافها. بل أنها بعد ما يجب في الإصرار على تحرير أسواق رأس المال، على بتشجيع البلاد على قبول القروض الدولية الذي والتصصير الذي دون أن تكون هناك ضوابط فعالة على أثارها المدمرة المحتملة (كان يسحب الدائن الأجنبي رأس المال فجأة)، ويشير سوروس بكتابة المختصر المجهول، أن «صندوق النقد الدولي كان يفتقر إدراج فتح أسواق رأس المال ضمن أهدافه الأساسية. في الوقت الذي اشدعت فيه الأزمة الاقتصادية: ولم يسمع الكثير عن ذلك الاقتراح منذ ذلك الوقت».

ودعا البعض إلى إلغاء المؤسسات الاقتصادية الدولية وهم يرون ما منيت به من فشل. إلا أن سوروس - بروح المجتمع المفتوح

أعضاؤه يعترف بقدرته العولة على زيادة الثروة. في الوقت الذي يعترف فيه كذلك بأثارها العكسية. والانتقام الذي يسوقه بسيط: فقد أضرت العولة أناسًا كثيرين، وخاصة الفقراء في العالم النامي. وشوهدت العولة تخصيص الموارد للمصالح الخاصة على حساب المصالح العامة. كما أن الأسواق الدولية الكونية عرضة للأزمات. ولم يختلف إنسان نظر نظرة محايدة إلى عملية العولة على مدى السنوات الأخيرة مع أي من عناصر هذا الانتقام. وكانت أشكال النظم المرتبطة بالعولة واضحة من زمن بعيد أن اقنعوا بالعدالة الاجتماعية العولة. ومنذ الأزمة المالية الكونية في ١٩٩٧-١٩٩٨ - على أقل تقدير - وعدم استقرار العولة يمثل مصدرًا لكثير من اللق. إلا أن أحد أشكال النظم المرتبطة بالعولة أضادت بعدًا جديدًا لجمل العولة. وبسبب السلع والخدمات وهدما هي التي تتدرج بسهولة عبر الحدود. فحسابات بنوك الأوفشور السرية

الانقراحات العملية والإصلاحات التي يمكن تبنيها بطريقة معقولة. وهو يعترف بكل تأكيد بأن هناك قوى سوف تفعل ضد التغييرات، وأن هناك مصالح خاصة في الولايات المتحدة ستفيد من الترتيبات القائمة. ولكن إيمانه قوي بالمجتمع المدني الكوني، وهو أحد أقوى مؤيديه. وقد تمكن المجتمع المدني الكوني في بعض الأحيان من التغلب على القوى الراسخة. في عام ٢٠٠٠ دعت حركة البوبل. وهي ائتلاف دولي بغض المصالح الخاصة، إلى تخفيف ديون أكثر من عشرين من الدول الأكثر فقرًا في العالم، ونجحت في تيل ما أرادته.

وقد قيل وضع صندوق النقد الدولي عرائيل ضخمة في سبيل تخفيف ديون الدول الفقيرة، بحيث لم يتمتع سوى عدد قليل منها من بلوغ العماير التي وضعها. وكل من شاهد التغيير في الموقف داخل المؤسسات ولى الجمهور الباع على مدى السنوات الخمس الماضية. لا بد أن يعترف بقوة المجتمع المدني

عالم المال والاقتصاد الدولي عالم مثير للدهشة. فما قد يبدو مبادئ أساسية - بل وواضحة - غالبًا ما تبدو لنا في الوقت ذاته متناقضة. فربما يفلن فلان أن المال يتدفق من البلاد الغنية إلى البلاد الفقيرة؛ ولكن ما يحدث العاد هو الآخر هو العكس تمامًا. وربما خطر على قلب شخص من الأشخاص أن البلاد الغنية - لكنها اقدر من غيرها بكثير على تحمل مخاطر تذبذب أسعار الفائدة وأسعار الصرف - قد تتحمل إلى حد كبير تلك المخاطر التي تفرز المال للدول الفقيرة. ولكن ما يحدث وأن الفقراء يتحركون لتحمل تلك الأعباء. وبطبيعة الحال لم يكن هناك من يتوقع أن يكون اقتصاد السوق العالمي عادًا: إلا أنهم قالوا لنا إنه سيكون فاعلًا على أقل تقدير. غير أن هذه الانتصارات وغيرها تشير إلى أن هذا الاقتصاد لا هو بالعدل ولا العادل.

وكتب جورج سوروس كتابًا رائعًا قوميًا بعنوان: (On Globalization) من العولة أضحى فيه إلى ما هو أبعد من مجرد وصف الفضل والترتيبات الدولية الحالية. ذلك أنه يقترح إصلاحات عملية ملموسة - وأن سوروس خلق ثروته من أسواق رأس المال الحالية - لا بد أنه يعلم عنها شيئًا. ولكن ما يجعل هذا الكتاب مؤثرًا بهذا القدر هو أن سوروس يربط هذا العلم بالإنسانية الموجودة في كل شيء. يعالجه.

وما يجعل بعض اقتراحاته على قدر كبير من الإقناع - وخاصة تلك المتعلقة بالأساعدات الأجنبية - هو أنه كان ولا يزال يعمل بناءً عليها. كما أنه كان ناجحًا كاستثمر اجتماعي

بنفس القدر الذي حققه من نجاح كبير في الشؤون المالية. فقد وضع ماله حيثما يكون فيه. كما يقولون: «وكان شيئًا الذي تضم مؤسسات المجتمع المفتوح تأثيره ضخم، وخاصة في أوروبا الشرقية - لبيدًا للمشائين في البداية تم إلى إقامة المؤسسات ما بعد الشيوعية لكان جامعة أوروبا الوسطى في بودابست. وكان برنامجيه في مجمله أكثر نجاحًا بكثير من تلك البرامج الخاصة بمعظم الحكومات. بما في ذلك الحكومة الأمريكية. وأكثر تأثيرًا منها بكثير.



وضع سوروس في عمله الميكرو مفهوم المجتمع المفتوح الذي يخلصه كما يلي: يقوم المجتمع المفتوح على الاعتراف بأننا نعمل على أساس من القلق المتقوض. فكلما عبيد عن مثالنا: لا بد أن نرضى بالمجتمعات المتقوض الذي يفتتح للتسعين. وقبل النص المتضمن بالبحث الدائم عن التحسين والاستعداد للخضوع للتخلص النقدي هما المبدأ المرحان لأي مجتمع مفتوح.

ما هو وجه الاختلاف بين الخурсة واللفة الطاغية في النفس التي تميز الكثير جدًا من مناقشات السياسة الاقتصادية، وخاصة على

George Soros on Globalization
جورج سوروس يتحدث عن العولة
by: George Soros
Public Affairs, 2002, 160pp. \$20.00

جوزيف ستيجليتز

بمبالغ ضخمة، فيما لم عالم غريب حقيقة أمره أن الدول الفاسدية هي التي تدعم أغني دولة، التي تصادف في الوقت ذاته أنها بين أكثر الدول ثراءً من حيث تقديم المساعدات في العالم. فكما يوضح سوروس، تمثل «قيمة» المساعدات الخارجية ٠.١ بالمائة من إجمالي الناتج المحلي في الولايات المتحدة الأمريكية، مقارنة بحوالي ٣ بالمائة في زمن مشروع مارشال..



هناك ترتيب بديل - وهو ترتيب موجود بالفعل وجوداً جزئياً، فيبذل المجتمع الدولي إصدار نوع خاص من الاحتياطي النقدي يسمى «حقوق السحب الخاصة» SDRs، وإن كان من المكن إعطاء اسم آخر لهذه الأموال، مثل أوراق النقد الكويتية أو TERRAs. فالقول تضع العملات هو مبادلة الدول الأخرى عملاتها بحقوق السحب الخاصة هذه، وهي بطبيعة الحال لن تسحب من احتياطياتها إلا في أوقات الشدة، فالأمر أشبه بالجمعية التعاونية، إذ لا يكون لكل عضو في الجمعية الحق أن يسحب من الدول الأخرى مبلغاً مساوياً لتلك الاحتياطيات.

وإصدار قدر مغفول من حقوق السحب الخاصة قد يؤدي إلى حدوث تضخم؛ إلا أنه قد يوفر اعتمادات لدعم المصالح العامة كالرعاية الصحية والتعليم ويساعد في تمويل التنمية، وتماشياً مع تأكيد سوروس على

الترتيبات الدولية، حيث إنه في كل عام لا تتلق ملياتر الدولارات من الدخل، بل تحفظ وحسب في الاحتياطيات السائلة. كما يمكن عدم الاستقرار في النظام، ويحضر صندوق النقد الدولي (وعبره) الدول الفاسية باستمرار من العجز التجاري، ولكن لا بد أن يساوي مبلغ العجز التجاري مبلغ الفائض؛ ولذلك فإنه في حالة إصدار بضع دول كبيرة، كالإيران والصين، على أن يكون لديها فائض، فلابد أن يكون لدى سائر دول العالم عجز. وإذا قلل بعض الدول عجزها (كما فعلت كوريا بعد أزمة ١٩٩٧)، فلا بد أن يظهر العجز في مكان آخر من النظام. وحين تجد دولة من الدول نفسها تعاني من عجز كبير، فإنها قد تواجه أزمة، وإذا باع المستثمرون عمل هذه الدولة، فإن بنيتها المرتزة قد يضطر إلى رفع سعر الفائدة كي يمنع التلعن من السقوط سقوطاً حاداً، وقد تبطل أسعار الفائدة المرتفعة نمو البلد وتحدث انكماشاً.

والشيء الوحيد الذي يجعل النظام مستمراً في عمله على أي الأحوال هو أن الولايات المتحدة، وهي أغني دولة في العالم، أصبحت «عزاً ملالاً الأخير». وهذه هي المفارقة المقلقة: فالنظام المالي يسمح للولايات المتحدة بالعيش عاماً بعد آخر فيما هو أكثر مما لديها من وسائل، حيث تشتري من الخارج سلعاً أكثر بكثير مما تباع، حتى حين تقدم وزارة الخزانة الأمريكية التمنص للآخرين، عاماً بعد آخر، بشأن أسباب ضرورة عدم القيام بذلك. وتعدعي القليلة الإجمالية للوفاء التي تحصل عليها الولايات المتحدة من النظام المالي الحالي إجمالي المساعدات الخارجية التي تقدمها واشتغل

سندات الخزانة الخاصة بها، بينما هناك عائد أعلى من ذلك بكثير على الاستثمار داخل بلادها. والفروق بين عائد سندات الخزانة الأمريكية وعائد الاستثمارات الأخرى هو الثمن الذي لا بد أن تدفعه للاحتفاظ باحتياطي كاف لحماية نفسها من التذبذب الشديد في الأسواق العالمية. فقد ترتفع أسعار الفائدة بين عشية وضحاها، لأسباب لا علاقة لها بما يجري في بلدكم؛ إذ ربما ترتفع أسعار الواردات، كالبنزين، ارتفاعاً حاداً، بينما قد تنخفض أسعار ما تبعية هبوطاً شديداً، أو قد تجد الدولة أن سوق سلعها تهبط هبوطاً سريعاً جداً حول كساد كويتي. وقد ترتفع أسعار الصرف أو تهبط بنسبة ٥٠ بالمائة أو يزيد، لأسباب لا سبيل إلى تفسيرها، حتى بالنسبة لمن يسمون بالخبراء، ومن بين التكاليف التي كان يتعين عليها دفعها هو ادخار المزيد من المال للاحتياطي منخض الفائدة.



وكانت الولايات المتحدة ولا تزال أحد أقوى مؤيدي العولة وسياسات مثل تحرير أسواق رأس المال، التي تجعل البلاد عرضة بصورة كبيرة للمخاطر التي ذكرتها، في الوقت الذي استغفمت فيه الولايات المتحدة من الطلب المتزايد على احتياطات الدول، بينما دفعت الدول النامية ثمناً باهظاً للحصول عليها. بل إن هناك ميلاً انكماشياً كامناً في تلك

العولمة - يعترف بأنه في عالم العولة الجديد، تزداد حاجة البلاد إلى العمل بشكل جماعي من خلال المؤسسات الدولية، وتستلزم العولة قدرًا أكبر من الاعتماد المتبادل، ويقتل الاعتماد المتبادل أن يكون هناك تعاون. وأدّم سوروس حجة مقنعة بخصوص الحاجة إلى وجود قدر أكبر من الإنفاق على المصالح العامة الكونية، بما في ذلك الصحة والتنمية الاقتصادية. وفي الوقت الذي نحن فيه بحاجة ماسة إلى المؤسسات الاقتصادية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، نجد أن الثقة في تلك المؤسسات في أدنى مدلاتها. والحل ليس هو إلغاؤها، بل صالحتها، وبخاصة سوروس جزءاً كبيراً من كتابه لإقترح إصلاحات محددة من بينها مصدر جديد للتمويل ومقاربة جديدة للمساعدات الخارجية. وكلا الاقتراحين يبدو لي على درجة كبيرة من الأهمية.

اقتراح حقوق السحب الخاصة

أول إصلاح يقترحه سوروس معقد بعض الشيء، فاندول تحفظ باحتياطي، هو في المقام الأول الأموال الموجودة في البنك لمواجهة أيام الشدة، وهي عادة ما تحتفظ بهذا الاحتياطي في خزائنه، في صورة سائلة - سندات الخزانة الأمريكية - والاحتفاظ بالاحتياطي مسألة مكلفة بالنسبة للدولة النامية؛ وهي التكمب أقل من ٢ بالمائة عن

حاربوا الفقر والجهل أيضا



الإصلاحات العملية المعقدة، فمقترح الإسقاطفة من حقوق السحب الخاصة التي صرح بإصدارها صندوق النقد الدولي بالفعل - ويبدو منظره فقط إقرار الولايات المتحدة لها. وهو يقترح كذلك موافقة الأمم المتحدة على المساعدة في تخصيص حقوق السحب الخاصة لتوفير المصالح العامة الكويتية، بما في ذلك التنمية.

وحظي ذلك الاقتراح الممهم الذي يتسم بالبنساعة والعلمية بمخاطفة الكثير من الحكومات والأمم والهيئات المالية في أنحاء العالم. كما روج له سوروب تريفيث شاستا، وسامحت أنا في مناقشات تتعلق به مع العديد من الحكومات. واتقاني الوحيد هو أنه لا يحقق الكثير - ربما لأنني ظننت أن أكثر من اللازم. فمجرد تحقيق الأهداف المتواضعة التي اتفق عليها المجتمع الدولي بالفعل - مثل خفض معدل الفقر وأسف بمقدار النصف بحلول عام ٢٠١٥ - لا يوجب تبنيها زياداً قدرها ٥٠ مليار دولار سنوياً عما يتفق حالياً. وقد يوفر الاقتراح سوروب ٢٧ مليار دولار مرة واحدة. ولكن ما ذكرته من ظلم وعدم استقراء سوف يستمر. ولا يعالج مخصص مرة واحدة هذه المشاكل الأكثر أهمية.

واعتقد أن هناك سبباً عملياً يمكن به إقناع الولايات المتحدة. أن غيرها من قد يتبردون أولاً ذلك إلى المساعدة. بأن نتحدث مع الناس. فعلى سبيل المثال، إذا وافق من يشاؤون في المشروع على أن ينفقوا طناً باحتياجات من عمال الماشركين الآخرين، فسوف يسهل ذلك على الولايات المتحدة - ومعها الدول الأخرى التي تستخدم عملاتها كاحتياطات - كي تنضم.

إصلاح المساعدات الخارجية

جُنب أو بالأحرى ورد على (الاستة) في الفترة الأخيرة الكثير من الكلام الفارغ فيما يتعلق بقالة المساعدات الخارجية. وأشار وزير الخزانة الأمريكية إلى أنه ليس ضد تقديم المساعدات؛ فما يريد ليس سوى التأكد من أن الأموال تنفق بطريقة صحيحة. وهو يشير إلى أنه لا بد أن يرى ما يدل على إنفاق المساعدات بطريقة صحيحة. وإذا كان الحال كذلك، فهو لم يبحث عن هذا الدليل. فبعد ذلك، من خلال خبرتي في البنك الدولي وغيره، مشروحات يرى تسمح للمزارعين الفقراء بمضاغة ذلهم مرتين أو ثلاث مرات عن طريق زراعة محصولين وثلاثة محاصيل في السنة، بينما كانوا قبل ذلك لا يزرعون سوى محصول واحد. وقد شهدت المشجرات تعليم ريفي لتعليم أطفال العمال المهاجرين القراءة والكتابة، مما يتيح خروج الأطفال من دائرة الفقر المفرغة. كما رأيت برامج صديقة تريد منسوس العصر

ونقص على أمراض مثل عني النهر. وإذا لم ينق كل دولار إضافياً جيداً، فإن هذا يصدق على كل برنامج في القطاع العام والقطاع الخاص.



ويقترح جورج سوروب مجموعة من الإصلاحات الخاصة بزيادة فاعلية المساعدات الأجنبية. وهو يقارب المشكلة من منظور استثنائي، وبما يبدو لي أنه ناهي. من كي تنضم "سوروب" إلى المساعدات الخارجية، من المهم أن نذكر أنها لا بد أن تقل فاعلة من السوق العادية... وليس هناك معيار للنجاح أشبه بحساب المكسب والخسارة في التجارة. وهناك بعض الأعداد التي يمكن قياسها بالمشاورات الكمية كحذف القوايات أو معرفة القدرة والتكاليف، إلا أنه قد يكون في حصر الأعداد على ذلك التي لها مؤشرات قيمة تقدير ونشوء.

وتجميع مقترحاته بين استخدام صناديق الائتمان التي يديرها بشكل حزني برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة، وإشراك أفضل الخبرات المتاحة، والاعتماد على المنظمات غير الحكومية. وهو مصيب في إشارته إلى الكثير من المساعدات الخارجية في الوقت الراهن تنعق حركتها شرط مرورها عبر الحكومات التي لا تتفق أحياناً ومصالحها في الأحوال مع مساعدة فقراء العالم (كما لا تتفق معاهد أجنحة ومصالح بعض المؤسسات الاقتصادية الدولية التي تشكلها الحكومات). وظهرت مؤسسات المجتمع المدني الخاصة بسوروب أن هناك أصلاً في مشروعات المساعدات الفعالة في الدول ذات الحكومات الديمقراطية.

النظام المالي الكونى

ليس مستغرباً أن تتعلق أكثر نظرات سوروب نقاداً بالنظام المالي. وهو يبدأ بنقد لكل من الترتيبات المالية الكونية الحالية والمصالح السياسية التي يقدمها صندوق النقد الدولي ووزارة الخزانة الأمريكية. والواقع أن سوروب يشتر أن لن المشكلة تكمن في أيديولوجيا السوق الأصولية الخاصة بها، أي الإيمان بالأسواق الحرة التي لا يقيد بها قيد. وهو الإيمان الذي لا تعضده نظرية حديثة ولا تسانده تجربة تاريخية. وكان من السهل وسط أزمة شرق آسيا أن يلقي بالوم فيما يتعلق بالمشاكل على للفشل الداخلي في دول كاتيلاند وإندونيسيا - بعد اعتماد الشافعية ورأسمالية الحساب. وقد أسكت ذلك الآراء التي لا كثير في أعقاب ما شوهته المظاهرات الأخيرة من فشل وفشل. بما في ذلك الانهيار المفاجئ لشركة إيزون، وإنقاذ إدارة رأس المال طويلة المدى

جري تنسيف بشكل عام وتنويعه بشكل خاص، وكشف الاستغلال الإجرائي لحسابيات بنوك الإفشور. كما أنها تشير إلى أن ماليزيا، التي ألقت قروضاً على رأس المال، عادت بسرعة إلى القوة بعد أقل من مبرسات التدين؛ وكانت فترة انكماشها أقصر وأكثر ضحالة من تلك الدول التي اتبعت نصائح صندوق النقد الدولي.



ويوضح سوروب أن الحال بالنسبة لتحركات رأس المال أقل وضوحاً بكثير من حال التجارة الحرة. إنه لم يضى إلى ما هو أبعد من ذلك بقوله إن هناك أدلة على أن تحرير أسواق رأس المال يؤدي إلى زيادة الاستثمار، ولكنه لا يؤدي إلى زيادة الاستثمار. ويوضح سوروب شيئاً يعرفه معظم برافتي لفاعلة سوق الأوراق المالية الأخيرة معرفة حسية، في حين يتكره أسويو السوق: "لو تركت الأسواق المالية لإيجزتها فإنه من المحتمل أن تشتت وتنهار في نهاية الأمر". ووفق روبرت شيرل في كتابه غير Irrational Exuberance الحيوية غير المنطقية) بين الأسواق ذاتي التجذير الزائد، ويقول سوروب أن تاريخ الرأسمالية هذا "خلط الأزمات"، وهذه المشكلة ليست جديدة، كما يقول. والنشء الاستثنائي ما يتفعل بطرق أسباً - كما كتبت أنا في قبل - ليس أن تعبر الأزمة في النهاية، بل أن أمضي لفترة طويلة دون أي هبوط اقتصادي خطير. كما يشير سوروب إلى أن الدول النامية على "هاش" النظام هي التي تعاني أكثر من غيرها. وهو يقول إن مشكلة الإصلاح تكمن في هذا. وهؤلاء الذين يؤمنون بأصولية السوق "يتبردون في قبول إمكان الانقراض من قيمة النظام بشكل كبير حين يعمل بشكل جيد من أجل من يتولون السطوية".

واتقادات سوروب الكثير من إصلاحات صندوق النقد الدولي المتقدمة مدرة. فهو يفتح حيث يقول إن المشكلة الأساسية فيما يتعلق بسياسة صندوق النقد الدولي لم تكن، كما أكد البعض، مجرد مشكلة "مخاطرة أخلاقية" - حقيقة الأمر أن عمليات الإنقاذ التي قام بها صندوق النقد الدولي أغرت المخرجين على التحلي بالقروض الكلي من الداب والمشاركة عند تقديم القروض. وهو يكن مستغرباً كذلك أن استراتيجيته صندوق النقد الدولي سببه التخطيط الخاصة بإجبار القطاع الخاص على المشاركة في عمليات الإنقاذ منيت بالفشل في أغلب الأحوال؛ وهي مشهورة منذ ذلك الوقت. ومن المؤكد أن صندوق النقد الدولي لم يجرب استراتيجية إلى على الدول الضعيفة مثل رومانيا وإندونيسيا، وليس على روسيا. وبما أن الحقبة في صندوق النقد الدولي تراجعت بشكل هذا الفشل، فلا جد من بدت

أنها استراتيجيته سياسية جريئة. فقد قال نائب مديره العام الأول إنه ينبغي تحسين سلطته بحججه مقرض المالد الأخير، أي أن المالد عجز الدول عن الوفاء بالتزاماتها، وأن حين توشك على ذلك، وكما يشير ببساطة بقوة، فإن "صندوق النقد الدولي لا يمكنه القيام بدور مقرض المالد الأخير، إذ ليست له السيطرة على الأنظمة المصرفية المحلية. وقد يعني العمل بمقتضى ذلك توقيع شيك على بياض، وهناك مغالطات أخرى في الزعم بأنه ينبغي على صندوق النقد الدولي أن يكون مقرض المالد الأخير، إلا أنه حقيقة سوروب الأساسية غير كافية؛ فلفظاً ناهج العقلة حين تكون في الإفقر؟



وفي بعض الحالات لا يحتاج سوروب إلى تقديم أية حجة، حيث تروق الأحداث نفسها كل شيء، وبعد أزمة شرق آسيا، كانت ما تسمى حكمة صندوق النقد الدولي ووزارة الخزانة الأمريكية هي "نظرية الركبتين - فالويل ينبغي أن تكون لديها أسعار صرف ثابتة كل النيات أو مرتبة كل المرونة. وساهم ذلك الاعتقاد خاطئ في حد ما في انهيار الأرجنتين، عن طريق تقديم أدلة لهؤلاء الذين كانوا يريدون الحفاظ على نظام سعر الصرف الذي كان محكوماً عليه بالفشل. فقد فشلت محاولة الأرجنتين في الحفاظ على سعر صرف يرتبط ارتباطاً شديداً بالدولار، مما أدى إلى هروب رأس المال من البلد. إلا أن من هم أقل اقتناعاً بأيدولوجيا أصولية الركبتين هذه يعرفون باستمرار بأن فكرة الركبتين هذه على أنه - وهذا هو السبب في انهيار نظرية - ولا بد أن تكون "جماعة الشخصيات البارزة" Eminent Persons Group الخاصة بزعامة العالم الاقتصاديين التي تدعمها مؤسسة فورد، رفضت موقف صندوق النقد الدولي (ووافقت على جانب ذلك على الكثير من الآراء الأخرى التي عرضها سوروب).

ويقول أصوليو السوق الذين يعتقدون أن الأسواق غير الحرة سوف تؤدي دائماً وفي كل مكان - من تلقاء نفسها وبدون التدخل الحكومي - إلى نتائج مشرقة وسرعوية اجتماعياً، إن ما وقع من أخطاء بالنسبة للأسواق كان "كوميدياً" كما كتب كبير، في صورة عمليات الإنقاذ. ولو تركت الأسواق لنفسها، لمعت بطريقة لا بأس بها. وهذا يبدو لي سوروب مقلداً حين يقول: "لا حاجة إلى تغيير النظام، إلا لاغتي للقضاء على الخطر الأخلاقي". كما يقول إنه لا بد من عمل شيء "لوازنة العيوب المتأصلة في الالم التي الهاش "خلق ملعب أكثر استواء".

تتعدى القيمة الإجمالية للوائد التي تحصل عليها الولايات المتحدة من النظام المالي العالي إجمالى المساعدات الخارجية التي تقدمها واشتغل بمجال ضخم. فيله من عالم غريب حقيقة أمره أن الدول الفقيرة هي التي تدعم أغنى دولة، التي يتصادف في الوقت ذاته أنها بين أكثر الدول تقصيراً من حيث تقديم المساعدات في العالم



القيم الكونية

صحيح أن كتاب سوروس عن الاقتصاد، ولغته، شأنه شأنها جميعاً، أقرت فيه أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأدت تلك الأحداث إلى نسق اعرض من التصادمات - في كل من الحياة البشرية والطبيعية البشرية - وهو يشير إلى أننا لا يمكن أن نخسب، أنفسنا من الأخطار الجديدة «عن طريق زيادة التفوق العسكري على الدول الأخرى».

ولا تختلف الرغبات الكونية أن تكون معارضين لنسق ما، وحسب، بل إنها تستلزم أن تكون مؤيدياً بشيء ما. إن لدينا تحالفاً ضد الإرباب، ولا بد أن يكون لدينا كذلك تحالف من أجل المزيد من العدل الكوني وببساطة كونية أفضل. لقد جعلتنا العجولة على عدم احترام الاعتدال المتبادل، وهذا الاعتدال المتبادل يوجب القيام بعمل جماعي كوني. ولا بد أن تكون اللوائح المتعددة البادئة في توفير المصالح العامة الكونية - بما في ذلك القانون والنظام، وينبغي عليها أن تعمل من أجل تحقيق الإصلاحات في النظام الاقتصادي العالمي، في مئاة من إجماع واشنطن -، «مؤدج» أصولية السوق الذي يتصرح بدافع أيديولوجي. ولكن سوروس يوضح كذلك أنه لا تكون الرغبات لولايات المتحدة لا بد من حدوث بعض التغييرات الضخمة:

أول لنا من التخلي عن السعي الزرع من أجل تحقيق المصالح الذاتية الضيقة والافتراس بعض الشيء مستقبلي البشرية.... نحن بحاجة إلى إعادة التأكيد على الأخلاق وسط هومنا اللاأخلاقية، وقد يكون من السجاسة قانون تعغير في الطبيعة البشرية، إلا أن البشر قادرون على تجاوز السعي لتحقيق المصلحة الذاتية الضيقة. والواقع أنه لا يمكنهم العيش بدون شيء من الإحساس بالأخلاق. إنها أصولية السوق التي تعتبر أن بالإنسان خدمة المصلحة الاجتماعية كاحسن ما تكون الخدمة المساهم للناس بالسعي لتحقيق مصلحتهم الذاتية دون التفكير في المصلحة الاجتماعية التي هي شذو عن الطبيعة البشرية - فاضلحان متطابقان.

وفي نفس الإجراء ينهي سوروس كلامه بالتاكيد على الفكرة التي تتكرر في مواضع مختلفة من كتابه، وهي أن التعاطف هو الآخر مسألة واقعية براهمية:

لا يمكن للحرب ضد الإرباب أن تنجح ما نضع تصوراً لعالم أفضل. فلا بد أن نقوم اللوائح المتعددة المعركة ضد الفقر والجبل والويل بالنفس الأممية والتصميم والالتزام بالآثار الضار على الإرباب. ■

بترتيب خاص من: The New York Review of Books May 2002

ترجمة: أحمد محمود

الاستثمار المتصل بالتجارة تحريرها من تلك الالتزامات. ويقول سوروس أن تلك الميخيس المقصود، بها توفير ملعب سوي للأشروعات الأجنبية والمحلية، وهذا في ظاهره هدف له قيمته. ولكن الحقيقة هي في عالم يتمتع فيه رأس المال بحرية الحركة يكون الملعب مثلاً مبدأً لصحة الاستثمارين الدوليين والشركات المحلية للقيمة. والإجراءات الجديدة تؤسس التوزيع وتكرسه.

ويتفق سوروس مع الخبراء الدوليين مثل جاجديش باجواتي في الشك في تدخل منظمة التجارة العالمية في حماية حقوق الملكية الفكرية. وهو يقول:

لا بد من حماية براءات الاختراع وحقوق الملكية، فمما هو مقدار الحماية التي يمكن التجارة. فمما هو مقدار الحماية التي يمكن تجريبها؟ تختلف طريقة الحساب بالنسبة للدول المتقدمة تتحول لوجياً التي تستفيد من الابتكار عن تلك الخاصة بالدول الأقل تقدماً التي عليها أن تدفع ثمنها. وكانت حقوق الملكية الفكرية تحتل مكاناً متقدماً في جدول الأعمال الأمريكي، وكان لدى الدول الأقل تقدماً سبب في تشعر بالإستياء من التثقل الذي اتخذته حقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة.

وحين نحت موضوع مجلس المستشارين الاقتصاديين في حكومة كلينتون، كنا (ومعنا) مدينة مسببة الطعوم والتكولوجي) نخش أن يكون وزير التجارة الأمريكي، الذي يتفاوض على تلك الاتفاقيات، «باسم» الولايات المتحدة، يفسد من أجل ترتيبات خاصة بحقوق الملكية الفكرية قد تكون لها آثار ضارة. وكانت الولايات المتحدة تعكس مصالح شركات الأدوية أكثر مما تكمسه. على سبيل المثال، آراء الباحثين أو من يفسدون أن تصل القوانين الحاكمة للملكية الفكرية بالنمو إلى أقصى حد له، وأولى وزير التجارة الأمريكي اهتماماً ضئيلاً بمعاوقاً ناهيك عن مخاوف العالم النامي. وكما يقول سوروس، فإن «منظمة التجارة العالمية فتحت صندوق بانامورا (صندوق الترشور) حين شاركت في حقوق الملكية الفكرية، وإذا كانت حقوق الملكية الفكرية موضوعاً يتناسب مع منظمة التجارة العالمية، فلم لا نتناصب معها حقوق العمال والحققات».

وفيما يتوسع بالتعامل وساعدات التنمية، يعترف سوروس مراراً بأهمية المؤسسات الدولية، وهو يقول: «منظمة التجارة العالمية مؤسسة ذات قيمة كبيرة، ولو لم تكن موجودة لكن إيجابها وأجيباً، ولكنه لا يجد غضاضة في اقتناعها أو الترويج للإصلاحات. وبمينا يصرح بخبرون هذا أنه لم يصل إلى الذي الذي كان ينبغي عليه الوصول إليه، فقد جُمع أجندة «كان داني» يمكن أن يلف حولها هؤلاء الذين يريدون رؤية تلاح النظام الكوني - والعمل من أجل العالمية».

أحيان أخرى إلى الوقوع في خطايا الآخرين. ومن المؤكد، كما شترت من قبل، أن الأدلة التي حصلنا علىها من الدول التي اشترعت نفسها لـ «نظام» تدفقات رأس المال قصيرة المدى ليست مشجعة.

التجارة الدولية ومنظمة التجارة العالمية

كان الغرض من اجتماع منظمة التجارة العالمية في سببائل عام ٢٠٠٠ هو بدء دورة جديدة من المفاوضات التجارية التي تزيل أكثر وأكثر الحواجز التي تقف أمام التجارة في أنحاء العالم. إلا أن المظاهرات هناك عبرت عن الإستياء من فهم منظمة التجارة العالمية للعلوة؛ وألّا ما يمكن أن يقال عنها إنها لغت نظر الجماهير إلى فضائل القضايا الأكثر إحاحاً. ولا يزال نظم النظام الرأسمالي الذي أراد حدة في الدورة السابقة من مفاهيم التجارة العالمية، بحاجة إلى أن يرفع. فعلى سبيل المثال، فإنه يمكن لسبع الدول الغنية أن تتدفق بلا قيد وبسبيل إلى الدول الفقيرة، قد تجد الدول الغنية أنه من الصعبه يمكن أن تبني اقتصاداتها، بسبب التنافس القوي من الواردات. وفي الوقت ذاته نجد أن الدول الغنية، التي تتدحج رسمياً التجارة الحرة، كثيراً ما تستعمل التعرفة الجمركية والدعم للحد من الواردات من الدول الفقيرة، ما يجرح تلك الدول من التجارة التي هي بحاجة إليها لكي تنفخ في وطأة الفقر. وتسعى لتحقيق نموها الاقتصادي.

ويكاد يكون هناك اتفاق عالمي على ضرورة معالجة ذلك الظلم؛ وكانت دورة المفاوضات التي بدت في الدوحة يقتر في نوفمبر عام ٢٠٠١ (بعداً عن المتظاهرين الذين تجمعوا في سبائل وجدة) تسمى «دورة التنمية»، وتبين الحاجة إلى مراعاة التنمية في الضغط والإعانة على الدول المتقدمة، في اتفاق ولو على مناقشة بعض هذه القضايا الأساسية، مدى صعوبة حلها.

ولا يقدم سوروس معالجة شاملة للجدل الدائر حول التجارة الحرة، ولكن ما يقوله ينبغي أن يقرأه كل من اهتمام بالعلوة. فهو على سبيل المثال ينتقد «مقاييس الاستثمار المتصلة بالتجارة»، التي قيل إنها واحدة من «منجزات» دورة أورو-أوروبا للمفاوضات التي استكملت عام ١٩٩٤. انتقاداً حاداً، فقد قصد بهذه المقاييس عدم ممارسة الدول النامية للتمييز ضد الشركات المتعددة للقومية؛ حيث كان يطلب في بعض الحالات من الشركات شراء قدر معين من سلعها الرأسمالية من السوق المحلية. وكان المقصود بقوانين

إني اتفق بشدة مع روح اقتراحين من الاقتراحات، ومما أنه ينبغي على الدول الصناعية الأكثر تقدماً أن تستوعب قدر أكبر من المخاطر (بما في ذلك ما هو من خلال المصالح المالية الدولية) ولا بد من تعزيز ترويات الاستثمارات مع الإصلاح الدولي، بما في ذلك «اتفاقيات التجميد»، أي تأجيل سداد الديون. وقد ناديت أنا وآخرون منذ زمن بعيد بذلك. ويشير سوروس إلى أن النتائج في شرق آسيا كانت تنصيب أفضل بكثير لو أنه استفيد استفادة أكبر من تلك الاتفاقيات بدلاً من عمليات الإقذابة التي أتتحت من خلالها مبالغ ضخمة لتمسيد الديون والحفاظ على سعر الصرف المحلي في التدهور، ورغم ما أبدته الجشيت من فشل إستراتيجية الحماية، كان صندوق النقد الدولي يبحث في مكان آخر عن حلول. وتتحدث مبادرته الأخيرة المتعلقة باتفاقيات التجميد والإفلاس اهتماماً جاداً، ولكن ما يؤكد أنه يبدو أن وزارة الخزانة الأمريكية دمجت ما بدا أنه بحث حقيقي في إصلاح له أهميته.



الواقع أن سوروس يشير إلى النباط الواضح في تقلبات القوى إلى الأسواق الناشئة بعد أزمة ١٩٩٨ حين يقول: «إننا ما أخذنا في الحسبان كان أن الإرباض الخاص واستثمار المحافظ وتدفقات الائتمان الخاص لوجدنا أن هناك بالفعل تدفقا صافياً إلى الخارج من الأسواق الناشئة منذ عام ١٩٩٩، من ٨.٧ مليار دولار إلى ١٩٩٦ عام ١٠.٦ مليار دولار سلباً عام ٢٠٠٠، وهو ما عوضته التدفقات الأكبر قليلاً من الاستثمار الأجنبي المباشر والتحويل الرسني، وهذا موقف غريب، وهو محير إلى حد كبير بالنسبة لأي أسواق يعتقد أن مشكلة التنمية الأساسية هي نقص التمويل، ومن بين النقص، من فقرات سوروس تسهيل استئاف تدفق الائتمان.

إلا أنني أظن أن الحجة القائلة بأن التدفقات المالية (كالتجارة الخارجية الأجنبي) كان لها أثر إيجابي قوي على النمو - مع أخذ كل الأمور في الاعتبار - تبدو أقل وضوحاً. فاستثمار المباشر الأجنبي - على الأقل في بعض القطاعات وحين يفهم فيما صحتاً - يخلق فرص العمل، ويوجد سبل الوصول إلى الأسواق، وبالتالي فهو بالتكولوجيا الجديدة، إن «التجارة الأجنبي» في القروض قصيرة المدى هي مخاطرة بالنسبة لبلدية التنمية، إذ لا دفعها لإخراج أرباحهم بين غلوة وضخاماً. وربما توفر الأسواق النظام، ولكنها مع حبيها للنظام العصار تفسد بعدم الاستقرار والتذبذب؛ فهي تخفف الطرف من الخلفيات الكبيرة في بعض الأحيان، وتدفق الدول في



يستكمل الكاتب قراءته، للمشاهد الأدبي الجديد في محضر، والتي بدأها في العدد الماضي من مجلة «الكتب». وجهات نظر، ويلقى الضوء، عرضاً ونقدًا وتحليلاً استشرافاً، على مجموعة من الأعمال الروائية التي صدرت في الفترة الأخيرة.

المحرر

وهذا عمل دار حولها جدل إشراق حين حصل على جائزة ما. وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الجوائز لا تعني بالضرورة - امتياز حصل عليها هذا العمل أن تكون من أكثر تلك الجوائز انتقاداً للمعايير المضبوطة التي تمنح وفقاً لها، مرة مُنحت لقاص شهير بعد رحيله، ومرة مُنحت لكاتب - مصريين وعرباً - من أجيال مختلفة، وعن أعمال صدرت في أعوام مختلفة، ومرة تجاوزت كل الحدود فُشحت لعل لا يجرؤ أحد - حتى صاحبه - على القول بأنه عمل روائي!



مرة ثانية: لا عليك من كل هذه. العمل هو «أوراق الترس» رواية سمية وعضان الأولى (بعد مجموعته من القصص القصيرة). إن شئت وصفاً موجزاً لتلك الرواية أمكن القول أنها رواية «نخبوية ELITIST»، وربما رابت هذه الكلمة الواحدة تسري على موضوع الرواية وصياغتها ولغتها جميعاً. العمل كله يأتيان من وعي الرواية - وهو وعي معطوب، لو صح التعبير - ينتقل بحرية - دون روايات منطقية معظم الأخيان - بين خيرات ماضيها وولائم حاضرها. سوف تعرف أنها تختص لعائلته من أصول طليعية عليا، تنكلى تعليمها في مدرسة أجنبية، تتصارع في وعيا، وذاكرة طفولتها، الأساطير ذات الأصول الإغريقية والأوروبية، وحكايات ميريبتها «أمّة» ذات الطابع الفولكلوري، لتصبح السيادة - وهي شأية تدور الأدب الإغريقي في «بدن» أربع سنوات وفترات الثقافة الأوروبية بوجه الإغريقية بوجه خاص، الإرتندية بوجه أخص (قد يكون مفيداً هنا القول إن الكتابة نفسها دراسة ومدرسة لأدب الإغريقي). لتفترس من ملاحم الرواية أكثر، ليس الرواية كلها أو كتاباً، لأننا لا نرى الشخصيات الأخرى - وهي قليلة، بالضرورة، في رواية تتجاوز المائة بعدة صفحات - إلا من خلال وعي الرواية، ووقفها النفسي تجاهها يعطيها لونها، وهي - منذ البداية - منقسمة، منقسمة، تنقسم بتأثيرات راسخ عن حولها وعما حولها، تعيش في ذاتها عسيرة الألف، ولا تتيقن: تستدار: لماذا لا يتضح لديها ما يبدو منطوقاً لديهم؟، والمأساة أعققت أن تكون انقساماً بين قافيتين، وإن كان هذا الانقسام وارداً، تقول الرواية عقليّة على حكاية من الفولكلور حكيتها لها «أمّة»، ومع هذا كانت الحكاية تنتهي نهاية سعيدة كل مرة، لم يكن بها غيلان مثل الحكايات الإغريقية، ولم يكن



قانون الوراثة

ياسر عبد الحفيظ



أصوص متقاعدون

حمدي أبو خليفة

في الرواية المصرية الجديدة

نماذج مختارة

٢٠٠٠

يعن تفسير تماهيا بربيتها البعيدة «أمّة» في جانب من جوانب تجربتها وهي أنها أمية لا تقرأ ولا تكتب، حال أمها دون تعلمها، إلا في ضوء ما تنتهي إليه هذه الهالوس: «ما الذي كان يؤنبهم منى ليسعزوني هكذا؟ لماذا يتسامرون في يسر ويضاحكون ويتفهقون بعضهم البعض، وأنا لا؟ لماذا أشعر بكل هذه الغربة وسط أهلي وأهلي الناس جميعاً. كلهم كلهم في ثلاثة أيام؟ كتبهم لم مرفقهم عندما استولت فأسهم على هواء الغرفة وابتلعته ولم يعد لي مثقل في المكان...» (مدى الرواية لون من «الهداة» الخرسى يتفق تماماً وأحد القوانين الأساسية في اللاشعور، وهو قانون أن الرغبة تساوى الفعل، وإن الكتابة هم من همومها، اتخذ هذا الهداء شكل أنها حين «تكتب» الآخرين فهي «تقتلهم».) وليس هذا المنهج في الفهم والتفسير بعيداً عن الرواية، بل بعض حوار بينها وبين صاحبتها «شحكنا كخبراً وقتل لم أنتهي لأحب نهايهم كارب يونج، فقال إنه هو، شخصياً، فرويدي حتى النخاع».

منذ طفولتها المبكرة كان بين يديها كتاب «الأساطير الإغريقية الرومانية»، وحين تجاوزت طفولتها أحاطتها رموز ذات الثقافة وشخصوا وأعمالها، وإذا كانت تلك الأساطير

بها أناس يضعون الأطفال في القرن كما في حكاية «هانز جريتل»، ولم تكن الأخطار تحيق بالصغار الطيبين من قبل كبار أشبار كما في «بلاتش نيج... إلخ»، لعل هذا الانقسام هو ما ستمثله الرواية معاً إلى «بدن»، وما ستعقب منه الهوية الشاسعة بين تصورها لوطنها وتصور المحيطين بها لهذا الوطن (لاحظ أن اسمها «كيبي»)، حتى تدور راسها: «أين من كل هذا مصر؟ وعدت أراجع عنوان الحاضرة، كان كما قرأت من قبل، كان تاريخ مصر الحديث: أه يا كيبي قصة لم أجمع، لم تُسر، ولم تُفن إلا مُدرسة، استلوك فصاروا منك، هل صرت أنت منهم؟ في كتابها وداخل دماغها حرب أغلبية بين كل الأصمار، وهي كل الأصمار، ولعل هذا ما يسود بها - في النهاية - إلى «مستشفى سانت باتريك للأمراض النفسية العصبية»، حيث تقضي زمناً لعلاج بالصدمات الكهربائية، والليثيوم... قبل أن تعود إلى الوطن بعد أن غابت عنه عشر سنوات. وطبعاً عند بل هذا المشهد على يبعثر سردها للأحداث واستيطانها للمشاعر عن هذا كله. بل إن بعض صفحاتها ذات السرد (الصفحات من ٢٦ إلى ٣٠ في سبيل المثال) لا تكن قراءتها إلا باعتبارها «ملاوس» بمعنى الكلمة في التحليل النفسي والطب العقلي، ولا

سانت تيريزا

رواية

بهاء عبد الجود



دار فخرات للنشر والتوزيع

قد تصارعت، زمناً، مع فولكلور «أمّة»، ففقد انتهى هذا الصراع إلى انحصار كاسخ لتلك الغفلة التي تتردد فيها أسماء أوسكار وايلد وجيمس جويس وبييتس وديلان توماس وصامويل بيكيت (ألسا في أيرلندا)، جنباً لجنب جوجان وسلفادور دالي وهرت مور... إلخ. بل إن عنوان العمل ذاته عن لوحة لسلفادور دالي، بالمقابل: يكمل العمل تماماً من أية إشارة إلى «ثقافة» الوطن الذي جاءت منه «كيبي»، وتحمل اسمه القديم وتنتهي إليه (هي إشارة بخول إلى واحدة من رباعيات صلاح جاهين). هذا الصعود لا يلقف عند الجانب الفكري وحده، بل يتعداه إلى الجانب العاطفي والسلوكي، أعني علاقتها باستاذها الذي تقدمه لنا، أو تعرفنا به: «استاذ منلق وعلم نفس، يدرس فرويد ولا كان في «ترينيتي كولج»، ولو أصروا: من الشمال، ولو علقوا وقد عرفوا من أسماك: بروستانت؟ قلت: وماذا بهم؟...» هذه ملامحه الخارجية، لو صبح الوصف، أما ملامحه الداخلية فهي، أيضاً، لا تخفيها: «في حبرتها، على السرير الصغير كانت تتملى الجسد الأبيض الفارع - من قبل لم تكن تحب البيضاء، كان يوحى لها بالترهل، ولم يطرأ لها قط أن تعرف رجلاً لم تتسبه موسى الختان المظفرة، لكنه تركها مرادفاً للجمال الحاشي، الكتمان الوليد، متعته تمت وتقاطعت تعديت جسد صاحبا، فتفرج لها مسئلة اختراقه لأنه يتسربل في حذو المتفجع، فيجعلها الصلابة...»



يلفت «كيبي» إذن، تمام الانسلاخ، وفي لحظة استبصار ما، مألوفة عند أمثالها، ويعرفها المشغولون، تقول بصراحة جارحة: «أنا أعرف أن العيب في أنا، وعلى أنا يقع عيب النقص من هويتي، أو انصاف، وكأني أنا، فقط، لا أعل، ولا وطن، لا ذاكرة، ولا لحنين إلى مكان كان عالمي...» وقد لقيت جزاءها الحق: مستشفي «سانت باتريك» في بدن، وهي عادت إلى الوطن لم تصبح أفضل حالاً، لكن تشرّب حسداً وروحها السحر الأسود، حتى السكون، سكوتاً عليها في وطنها إن تلت الصورة التي تحب أن تكون عليها، ولكن ليس كان مثلها أن يختار: توشى الرواية روايتها في هي مثقال في قفة أزمينا، نؤسى بين أصحو والغياب «السرنياوات» أو «عراس الماء» يحطن بها، وجيمس جويس يجاورها، أما في الصوت الذي أمتد إليها: «هيا...» دعك من الحقيقة في السقف وقوى معني، وهي سائرال تكتب ونحو، لم تكتب من جديد.



الغلام... سوف يخلق الرواية هذا القوس بعد أكثر من أربعين سنة، وفي الصفحة الأخيرة من الرواية: تأتي سيده جميلة في حوالي الأربعين إلى الخمسة، تسأل: «كيويديني» عن قبري أمها وإبني، وتلقي باسمي يدون أن تدري ما يحدث هذا الإنسان في العجوزين: حين يضع دوتا ماسكول الطبيب شاو صن، كتاباً يضع الروائي التفتحة في نهاية السطر. الأرقام في الصفحة؛ ليكن: لا في بلا صنفه.

هذا الطبيب نفسه «شاو صن» يتقاطع مع حكاية أخرى تبدو تتواءم في الرواية أو شيئاً ملصقاً بها، ولعل ما يحول دون أن تصبح كذلك هو التداخلها بالعمل من حيث أفقه الإنساني العام، أعني حكاية البحارة اللببيين الذين أسرهم غوصاً إنجليزية وهم على ظهر سفينة شحن إيطالية، وفي نهاية الأسبوعية كان شاو صن هناك لاستقبال زوجته، واكتشف الملبأ أن البحارة مرضى بالفيلوس، وأدله على الحقيقة ذلك فامر بإعدامهم. هذا الطبيب حينهم يحقن الموت، واقتدى «خالده» نفسه بكيوس لقوده فنجأ من مصير الآخرين. وبعد عشرات السنين ما هو «خالده اللببي» يكون سيارة اللوري على الطريق بين أفريقيا وأمريكا، وفي واحدة من رحلاته يعطيه حمار أسود، متعلقات، وينطلق قوس آخر:

قلت إن هذه «الحكاية الداريلية» تتلقى مع أفق الرواية الإنسانية الرحب، هذا الأفق هو ببساطة: إدامة الحرب من ناحية، وجدل الحياة والموت، وحضورها معاً في كل زمان ومكان.

لعل طريقة السرد هي أول ما يلتفت النثر لـ «لصوص متقاعدون» ورواية قصص أبو جليل الأولى (بعد مجموعتين من القصص القصيرة): إنه يحاول أن يقول أن أول الأوروجية (القصيرة) بدأت قبل أن يفتتح أبو جليل بتبذ سمات الجدية الكاملة ثم لا يقول إلا هذا: ولغوا! هي ليست كتابية «سأخر» - لو كان لعل الوصف معنى محدداً، قدر ما هو كتابية لعل بداخلها تناقضها الخاص بين المضمون الهائل من ناحية، وسؤال التفتحة الرصينة من الناحية الأخرى.

ثم لا نأخذ مثلاً هذا: «سيف» يعرض على الراوي أن «يقوده» له «زوجة أخيه» كل ما عليه أن يترك باب شقته مفتوحاً في الليل، ويستولي هو ترتيب كل شيء... من المؤكد أن الأمور على ما يرام وأن سيف سيقوم بدوره على أكمل وجه. أغلقت الباب جيداً وانفتحت إليها فتمتعت كما هو متوقع، وانزلت مني إلى السرير فلففت ورامها، وبعد دقائق صمير من فقدان التوازن والتخبط نجحت في إخماد السبيرة عليها: لقد كنت ولكن في الوضع الخلفي، غير أن ذلك لم يعطيني قناتاً لا تروق عندي مسألة الأوضاع، وما هذا هو الوضع الأمثل بالنسبة إلي، ويعبر أن أخذت نفس عميقاً لتفتني الشك في أنها «سيف»، وإن تلك التي تنفض أماسي مؤخرته. كانت المسألة محرجة، وللحظة فقدت القدرة على التمييز وتذكرت بنوع من الإجلال صبر يوسف إدريس في «بيت من

«الضبيعة» والحيات والعقارب. أضف لذلك كله فيحكم طبيعة عمل أبطال الرواية، فإن الصخور أيضاً تجد مكانها. «الجيولوجي» في الصحراء حين تقع عينه على قطعة صخرية ويلتفتها فلا يجد غير عادية، أو أن بها خطوفاً ما يود أن يدرسها ويفحصها على مهل، يرجعها إلى أسياح وجدها في المكان الذي وجدها فيه... ثم إن الروائي يضفي حياة ذات أفكار ومشاعر على عالم الحيوان (في مشهد صيد الغزالين، وإنباج الجمل لأن هؤلاء البشر لا يطعمون الأرض والسما كما فعل سابقوهم، وحزن الكباش والخراف على الكيش الذي مرقق جدده الكباش غروباً كذا من مطمورا). إنما هي هذا المشهد تشغل هذه الرواية القصيرة مكاناً بين روايات الصحراء في أدبنا العربي المعاصر (خاصةً بعد استناديها للكبيرين: عبد الرحمن منيف وإبراهيم الكوثي).

الوجه الثالث هو رغبة الروائي في إقفال الوجه الرابع وضع القنطاط في نهايات السطور، وتتضح هذه الرغبة - أكثر ما تتضح - في قصة حب الشاب عبد الرحمن للسلام، الإنجليزية الجميلة «دوتا ماسكول» التي تحمل في الصليب الأحمر... كانت كتبه عجيبة مكررة، فيلقى إليها بعض النكتات مشيراً إلى عابثيتها بحركات من يدها، يتشرى وجعها وإحساس وعيناها الزرقاوان تشدته إلى ساحل البحر، تسلمه للهدى الملامح وتتركه في الأضواء، فيغمده قلبه المندفق ويعبره... نحن نعلم هذه العاطلة لم يكن مسوحاً لها أن توجد، هناك وأنداك، حين هذين... «حين رأى القائد ذلك التسجابان في الملامح دوتا» والشاب عبد الرحمن، ناداهما في خيمة مكتبته وسد عليها الباب... بعد ساعة، وجهها شديداً الإحصار وتخرجت إرتباكاً، تسوى ملبسها وتبسبب تسرحها الملامح خرجت دوتا ماسكول، أخرى غير التي تعرفها عبد الرحمن (-) بعد يومين نرى القائد أمر زوجها من الطبيب «شاو صن» أدار القوس وجهه الممتع، وتاهت المعالم تحت قدميه وتخطيت في

القائلة. فهنا «حقل انجراف في العالم، حقل «البويرات»، على بعد مائتين وخمسين كيلو متراً شرق طرابلس، والذي زرع فيه (مونتجرمي) مائة وخمسين ألف لغم... متاهاً للانفجار بشكل دائم، مانعاً الأول من الاقتراب منه، منزلاً الأرض تحت حوافر الحبوبونات الضالة، نازلاً لحوسها على الرمال... كيف تعمل البعثات الجيولوجية في هذه المنطقة إذن؟» ما يقرب من سبعين كيلو متراً مربعاً في حقل المنطقة التي تم مسحها من مساحة تقدر بألف الكيلو مترات مزروعة بالأغام، أعمال البحث والتفتيش على البترول تقوم به شركات أجنبية بشراكة شركات وطنية، في جو قلق وحذر من خطورة المكان، ومع رسم مساسر الماعلين لا يحيطون عنه تقريباً إلا مفاجآت تحدث... لكن المفاجأة قد حدثت: حادي الجيولوجي «تاسم» وبصحبته زميل أجنبي «جون» على المسار فاقبح لغم أطاح بصابع يدي جون. لم يكونا في العمل لهما مكان في رحلة صيد، وكان جون مثيراً للريبة لكنه أجنبي... «واقف» «تاسم» عن العمل لحسين أسكنهما القنطاط مع الجهات الأمنية المختصة، وسافر جون إلى بلدته بعد أن حصل على ملبوسين دولاً كتموضي يملده. بعد أن صعدت سفارته الأخرى إلى مستوى عال...

حسب الراوي، فقد قلتي كتاب جزاءه عنوانه الدائم على الفقرات - حبوبونات حصرية هذه الصلابة، يطرأ دون هوانة ويطلق عليها الرصاص دون رحمة. هذا المشهد كان في هذه المطاردة غير المتكافئة: الغزاة التي أصابها الطلقة في راسها كانت تلد، وضعت واحدة، والثانية أو شيء راته في الدنيا وجه القاتلين ليلقطها بأيديها ويدهاها. وضع ناسر الأم في صندوق الرحلة وحمل جون الضعيفين على ذراعيه فرحاً... بعدها بقليل انجر الغم، بقودنا هذا إلى وجه التميز الثاني: إن الروائي يضم - في نظره واحدة وكل واحد منطرباً - الطبيعة بما فيها من صحراء وفقيد وواويع وطير (نادر) ويتبذد في طبيعة خاصة تدور على مقاومة الجفاف القاسي، وحيوانات ضارية أو تم ترويضها: الجمال والأغنام والأرانب والتعالبي إلى جانب الضباع (وهو يروي الأسطورة المتداورة هناك حول اسم

عن تأثيرها عليه وما تؤدي إليه - من هلاوس (من الممتع حقاً أن يقران هلاوس الراوي هنا بهلاوس «أنيس زكي» بطل «الفرقة» ١٩٦٦ لنجيب محفوظ: هل الاختلاف راجع لطبيعة المخدر أم لطبيعة المتعاطي؟ يكفي القول أن هلاوس أنيس كانت تلطف حول مومو الوط هلاوس صاحبها فلما تكاد تتجاوز حدود جسدها).

«قسانون الوراثة» - هي العمل الأول لصاحبها - رواية «حديثة» بمعنى من المعاني: من حيث إيجازها وبناها والتفانيها نحو الأماكن واستطاق ماضيها وما يصحبها من طائفة العجائز (في وسط المدينة وفي حي عابدين ثم في الحدادي)، وما يمتلئها من روايات نافذة للمعارف (أما عن مشهد «فندق المشرق» ذات الصلة الأعلى والمخافة والصف الأسفل المتحور، ومشهد «صفية» صديقة الجد وما تحكي عن «كاترينا الفلاسقة» ابن باعج الحلي الذي ضاحك معظم نساء الحارة) وفي خلفية العمل كله حكاية التوبيين (الذين تسمى كاسي) بسميهم - من خلال أجانب ذاتة: الجد والحفيد وبيدهما «فيل العالقة».

يقول الراوي: «لما لاحول التخلص من رومانسيستي لكنني أحاول تقليصها قدر الإمكان... قد نجح في محاولته أن في كثير، تجب الرومانسية، والاستمتمتالية، أو طريقة العواطف، والمجروماتية في الأحداث والشاعر، وقدم عملاً صلياً ومتناسكاً.

إلى مكان كان ثابتاً - ولعله الآن لم يعد كذلك - بصحبته محمد العشري في روايته «السالقة» «نقاحة الصحراء» إلى منطقة «العلمين» وما حولها من صحرائنا الغربية، ولما قلنا «العلمين» تداعت إلى الذهن - على الفور - معركتنا الشهيرة التي حوت ميزان الصراع في أكثر مراحل الحرب الثانية حرجاً، وليست نقاحة الصحراء بعيدة عن هذه الفترة من التاريخ الحديث، والحقيقة أنني وجدت في هذه الرواية القصيرة (التي تبلغ المائة صفحة) أكثر من وجه من وجوه التفتحة: هذه الوجوه أنها تتحرك على مستويات، لو صبح التعبير، فما حاضرها هذه المنطقة وماضيها، الحاضر هو هذا المشروع الذي تقوم به إحدى شركات النفط، ذات راس المال المشترك والإدارة المشتركة، لاستكشاف إمكان استخراجه، وماضي هو أحداث الحرب العالمة في هذه المنطقة وما حولها.

ولمة أكثر من رابط بين المستويين: «الشيخ عبد الرحمن» الذي كان شاباً صغيراً أثناء الحرب، يعمل أبته حين يعمل في المبرة الجيولوجية. إلى جانب هذا الرابط الإنساني ثمة الآن التي خلفتها الحرب: الفترة الشهيرة التي تضم رفات جنود الحلفاء، وحارسها الإيطالي «كيويديني» الذي يعاونه عبد الرحمن، والنصب الذي أمر «روميل» بإقامته تخليداً لذكرى أحد طياريه الكفاء، وهم من هذه ذاك: حقلو الإلغام الرهيبة، فاستلحاص الصحراء

لعل طريقة السرد هي أول ما يلتفت النثر لـ «لصوص متقاعدون» رواية حمدي أبو جليل الأولى إنه يحاول أن يقول أقل الأمور جدية بأكثر الوسائل جدية. أشبه بخليط يتخذ سمات الجدية الكاملة ثم لا يقول إلا هذا ولغوا!

فى الرواية المصرية الجديدة

لحم... ذلك مثال نموذجي لطريقة السرد فى «المنصوص» متخاطرون»، ولعل ما كان جديراً بالراوى أن يتذكره، مادام مصمماً على عالم يوسف إدريس - ليس ضرورياً - بيت من لحم بين الأرملة وبناتها، بل بطل قصة أخرى فى ذات المجموعة، قصة «هى»، وهذه السطور التى تنتهى إليها: «وجأت للحظة واسترخت فوق الفراش تناديه، وليبيت النداء، وأشارت فأطشفت الأنوار، وأشارت فأطشفت القصر، وتحسست جسدياً وأنا ذائب معهما فى قبلة...» اكتشفت أن الألفى التى أتت غائص فيها كانت مؤخرة رجل فاجر الشؤنا...»



لا يجب ولا غربة، فمفعول الإطال فى العمل لا تكد تشغله سوى موضوعات ذات الطابع الجنسى - سوياً كان أو شأناً، من جانب، وتدخّل «البايجو» من الجانب الآخر، ولغة شخصيات لو لم يحصرهم الكاتب فى هذا النمط من الكتابة لإستدارت واكتملت لها أسباب الحياة (أشهر، بوجه خاص، إلى الشاعر الغنوصي واستشار الرثسي). بجارة ثابته، إلى الكاتب صاحب شخصياته بتلك الطريقة فى السرد، لولمعه بالطرز والغرابة، الساعية إلى الإرهاس، لم تحاصره كذلك بوجهه الخاص، لقد حاول أن يجعل من أحد أبطاله - وهو تاجر مخدرات صغير - كاتباً، لكن عدم الإلتصاق كان واضحاً بين مسلكه وما يفكر فيه، كان - جمال، يكتب أحياً، وهذا بعض ما كنت: «أخطأ القائل صديق الشيخ زوسميدي» فى «الأنفوس كراماؤز» على حد حمل على الصلحة الإختطأ العالم، يبدو أن طبيعة العمل التى عاش فى دستويفسكى أعنت هذا الرجل عن أن يرى الحياة كما ينبغي لحكم مثله، فالعالم الواحد حدث أو ناته، من فريدته، عن صلخته الشخصية الصيفية جداً، إلخ، إنه ليس - جيسمال - الذى يعرف دستويفسكى لكنه الراوى نفسه، ها هو يقول عن زوجته «إن جمال - أو مرة: لحظة خاطفة اكتشفت منها حقيقة أن الخيال يمكن أن يتناقض مع الواقع، كانت تشبه - بشكل ما - تلك المراهبة التى تلتقيها «روكوليتوف» فى «الجريسة والعقاب» - بل إن أرى الراوى نفسه لا يخلو من إختلاط يبعده «شخصية» وريقية، أكثر منه شخصيات مثقلة بالحياة والحضور، إنه يقول لنا - مرة - إنه كان عامل بناء، وأنه «تأل شهرة لا يأس بها على مغاير مقاولي آثار عادية»، وأحد من الشداد الذين يمكن الإعتماد عليهم تماماً فى مهمة نقل الشاير الرمل والإسمعت - إلى أعلى الأدوار على أكتافهم... ويبدو أنه نسي هذا الوصف وهو يحكى تاريخه الجنسى مع العادة السرية» فى الشانويو، وبالتحديد فى المنفى الأولي بدأ العصر الذهبي واكتشفت التليفزيون... إلخ، كما أننا لا نعرف ماذا يعمل بالضبط زمن الرواية، مرة ثالثة - وهو يحاول تصوير شخصية «القطيبي» - يقول عنه: «فيل الكلام، الآن أنه لا يلتزم مطافاً... ربما لو شوكرت له مهارة الكلام لو وصف حالته بشكل أعمق من تلك السيدة الإنجليزية التى التقاه عالم النفس روبرت برتون فى كتابه الشهير - «تشرير

المخوليا» - إذا خرجت من البيت فىلبنى لا استطيع التفتش... إلخ، ها أنت ترى: وعلى الراوى يخطط بوجه خياله، فكيف يمكن الحديث عن بناء رواي؟

من الناحية الأخرى، فإن هذه الطريقة فى السرد، والخلقة فى البناء، أدبا لأن يثبت الكاتب أحداثاً وقائع أو صورا أو تعابير تبدو له «طرية» دون نقل إلى علاقاتها بالمثل ككل. وإذا نحن تقليلنا كل تلك الحكايات عن القليلة التى تتحول من البداية إلى الفالحة، وعن الجد وزوجاته، خاصة جدة القليلة «نقاوة» واعتبارها جوانب من التاريخ الشخصي للراوى، فإن صفحات أخرى تبين علاقتها بالمثل كله، مثل تلك عن «الزوجين المسنين» (ص ١١٧)، إنها يمكن أن تتحول تماماً قصة قصيرة متماسكة، لها علاقة لها بالمثل الذى يحاوله الراوى (قل هذا أيضاً عن ماضى «عالمه» القطيبي، أو بالأحرى ماضى أبيه فى قرية الصعيدية البعيدة)، والحقبة أنه لم يكن يقوى على انتزاع حدث أو شخصية أو موقف يبدو له «طريفاً» يحقق أهدافه فى هذه الصياغة الخاصة.

حي عثولى (منشئة ناصر) وشخصيات وريقية، ومنع لا يخلو من طرافة... هؤلاء هم «المنصوص المتخاطرون»!



لعل الظهور الأول لحي «شبرا» فى الرواية المصرية جاء مع تجميع مسحوظ و«بداية ونهاية»، ١٩٤٩، فمن «حارة نصر الله» - معدة دقائق قليلة من «الدورة التليفونية» - واحدة من أقدم المدارس الثانوية فى مصر - خرج حسن وحسين وحسين ونفيسة، ليخوض كل صراع عن الحياة متصرف ثلاثينيات القرن الماضى، ولتختلف مظاهرهم فى هذا الصراع، وإن كانت المسألة تتطلمهم جميعاً، من عاش منهم ومن قتل أو انتحر، بعدما اختار فنتحي جانباً من هذا الحى لتدور فيه أغلب أحداث روايته التى سبقت الإشارة لها ببيت من «شبرا»، ١٩٦٥، إختار فتحي، أول «شبرا»، وكان هذا الجزء من الحى - على مرعى حجر من لدنية - يضم حشداً

كبيراً من قراء الجاليات الأجنبية فى مصر: الإيطالية واليونانية ووجه خاص، وعلى الجانب المقابل من الشانويو منطقة مزارت تحمل الاسم الدال على ساكنيها: «قصور الشوام»، وتعتبر - بتبعية تطورات الواقع المصرى بشكل تلك الكويكات الديومجرافية فى هذا الحى الذى كان معظمه حقولاً تنتج - أكثر ما تنتج - الخضروات التى تحمل إلى السوق الكبير الذى يتوسطه، ولعل ما يميزه اليوم أن ساكنيه يكادون يتمتعون لكل شرائع وطبقات المجتمع، لهذا كله أنه أول أحياء القاهرة للقادمين - بحثاً عن العمل ومن للاستقرار - من محافظات الدلتا القريبة، خاصة محافظتي القيدونية والمنوفية. وفى الرواية المصرية الجديدة كتب الخابر الدوب بغيره مصرى «شبرا» قبل أن يهجرها إلى «الحى السابع»، وكتب بهاء عبد المجيد «سانت تريزا»، وحدثنا عن هذه الأخيرة.

يقوم بناء العمل على شخصيات أربع، وتقوم صياغته على المقاطع الصيرفية الإختلافية ذات العناوين التى تحدد طبيعتها والشخصية التى تعيها، وإطاره الزمنى من متصرف الستينيات لأوائل الثمانينيات على وجه التقريب، وإطار المرجعي الأحداث السياسية الكبرى: ٦٧ و ٦٨ والصلى المصرى - الإسرائيلى حتى اغتيال السادات فى ٨١ - فحان من سن واحدة، الأولى سلمة والثانية قطيبي، اتكهما تتخلفان معاً إلى كنيسة الحى «سانت تريزا»، وإليها تلتصا القطيبي «بدون» فى النهاية التى تتحرر من خطاياها، وهذا كانت بدايتها، وهنا ستأتى عندما توت، لها تدمعت وغطست فى الماء الغمرى، هنا تزوجت، وهنا كانت تستريح، لماذا اغتراب الحب والعذراء وسانت تريزا وكل القديسين. كيف الخالص باست تريزا؟ وجدت طريقه الذى واثت فى الرابعة والعشرين، فتخلفت من وعده الحياة وترهبت وخدمته إلى أن فاضت روحه الطاهرة، لقد كنت مثلى طاهرة... يوماً، فأين أتى منك؟ خذى بيدي فى طاهرة...، ولكن: كيف اغتصب بدور «الرب والعذراء» وسانت تريزا وكل القديسين؟ إنه «لوكان» - يهودى من أصول يوناينة، جاء مصر مع أمه وهو فى الثانية عشرة، وهو - من الألمان - قد جاوز الخمسين، صاحب «الأنثييه» الذى يعمل بحدس - جرجس، زوج بدور. هكذا قام مثلث تقليدى. لا بأس، لوكان بحاجة لبدور،



«سانت تريزا»، تقييد بالنوايا خاصة مما تتحقق من الإنجاز خاصة والكاتب يثبت أنه ظل منشغلاً بكتابتها - فى أقل من مائة صفحة، ثماني سنوات (١٩٩٦ - ٢٠٠٠) بين القاهرة ودبلن وإيريس؟

هذه الرواية، لكنه ظل يأتى من خارجها تماماً! خارج هذا الملث، وقريباً منه، تقف «سوسن» صديقة زواجها منذ الطفولة، وإن يتسع المقام لتابعة طورها «وتطور وعيا أثناء دراستها الجامعية وعملها مدرسة للغة الفرنسية، فكيف تعلّق واحد حول «سليم» الذى يرتبط به فى الجامعة، كان ماركسيته شديدة القوة والرسوخ، ثم تحول ليصبح أحد قيادات الجماعة الإسلامية، ونجح فى الهروب من سجن حرب... هذه الشخصية

وهى بحاجة إليه، فهو سبيلها إلى تجاوز حياتها المحدودة بصعوباتها إلى حياة أرى وأرجح، خاصة نفسها أزهو إلى جدية، فلم لا استغل جمالي هذا؟» زيد أن أعيش حياة أفضل...، ومن الواضح أن زوجها لم يكن يعارض هذا الصلوح، ولا كان يعارض تحققة وقد فتح لها لوكا «بوتيكاً» فى الإسكندرية حيث أصبحت تقضى جانباً من أيامها هناك، بل «اتخفست فى الحب والعمل والكسب، بإستدناه ذلك كنا يحلمان بالشاء وشراء المنزل الذى يعيشان فيه وتأسيس بوتيك الملابس...» أكثر من ذلك حين لحث له بدور «لم يفهم جرجس، وقال لها إن هذه طريقته عن عدم إرتياحها ليعيش لوكا فى معاملته مع الناس»، أكثر من ذلك حين لحث له بدور «لم يفهم جرجس، وقال لها إن هذه طريقته على أن يحال جرجس فى السن والشغل، وهو، منه...» وفى «شبرا» أيضاً الأخير كانت له موضوع موجع، «لوكان أتت إلى شىء، تقدر تقولنى الحد والبكت الذى إيسمك دول معين؟ والبوتيك الذى عندى دولقى معين؟...»



أظلت عمداً فى تقصيه هذه العلاقة الثلاثية كي يرسو زويتى ما تطورت إليه، أو بالأحرى، ما تطور إليه جرجس، الذى أنهار وأدمى الشراب والصلياح وعاصف فى هذيانه عن «اليهودى» الذى زمر حياته، واضطر الروائى أن لا يتسلسل له تبيير...، ورغم أن جرجس لم يكن مطلقاً لحد الذى يجعله يحمداً إصرار على الجنس البشري، إلا أنه كان يهدى كره لظرفى لليهود، فهو يفرح حرضوا على الحب المسبب، وهم أعداء مصر، وهم الذين اغتصبوا أرض فلسطين ودسوا إلى المقدسة، هم الذين قتل فى الحرب بغيرهم إصرارهم أصفاءه والفريق وإحبابه، لهذا فقد زار حقله على لوكا وأوغل فى طلب النار منه... لكننا لم نكن نعرف له من موقفاً من اليهود من قبل وهو قد عمل مع لوكا، وكان معجباً به مطلقاً - لم يقل أن يعرف بدور - ولم نعرف أبداً أن له «أصدقاء» وإلارب وإحباب، فتولوا فى الحرب، من نأتى النهاية التى يضعها الروائى لهذه العلاقة، وروايته كلها، الإلتصاق الدائم بين لوكا وجرجس، وقد سعى الأخير إلى التليق: «جبرى إليه، وقبل أن يفيق لوكا من أثر الوقعة وجد جرجس مندفعاً ناحيته منهدماً مقصه فى يده، حاول أن ينفادها، ولكن الدماء تدفقت من بين أصابعه غزيرة ساخنة، رأى جرجس الدماء فجن جنونه وصرخ صاخكاً: قلته... إلخ... أقول، إن هذه النهاية الملوذرامية الزائفة قد تكون حلاً لإنهاء الرواية، لكنه ظل يأتى من خارجها تماماً!

خارج هذا الملث، وقريباً منه، تقف «سوسن» صديقة زواجها منذ الطفولة، وإن يتسع المقام لتابعة طورها «وتطور وعيا أثناء دراستها الجامعية وعملها مدرسة للغة الفرنسية، فكيف تعلّق واحد حول «سليم» الذى يرتبط به فى الجامعة، كان ماركسيته شديدة القوة والرسوخ، ثم تحول ليصبح أحد قيادات الجماعة الإسلامية، ونجح فى الهروب من سجن حرب... هذه الشخصية

«كولاج» غير متقن من نشرات متنبية لا تخلق شخصية متكاملة، بل تتناثر عناصرها، هذا ضافة إلى أننا لا نعرف أن «مخالقة» قام في أي وقت بين «الماركسيين» وإنشاء الجماعات الإسلامية في الجامعة نهاية السبعينيات. متى حدث هذا وكيف؟.. لا ندري.

«سانت تريزا» نقبض بالنهايا أكثر مما تحلق من الإنجاز. خاصة والكاتب يثبت أنه ظل مشغولاً بكتابتها - في أقل من مائة صفحة - ثماني سنوات (١٩٩٣ - ٢٠٠١) بين القاهرة وديبلن وباريس!



هل تعرف المثل العربي القائل «كل الصيد في جوف الفرا»؟ لعل هذا ما حاولته مثال القاضي في روايتها القصيرة «لا ظل ولا صدى» (بعد مجموعتين من القصص). في أقل من مائة صفحة تنسج الروائية عالمًا شديد التعقيد والشبكات. الآن لن نقول إن عالم ينقسم إلى عوالم متخالفة، ثلاثة ركيزا الأوتوبيا المنجى إلى القلعة، «عصفوران» بينهما شيخ، «مريم» ومحمد وبيتهما عبد الحميد. زمن الرواية هو الزمن الذي تستغرقه الرحلة، لكن كلاً من الأشخاص الثلاثة يستدعي عالمه، وهو عالم على جانب كبير من الخصوصية والتفرد. ومن ثم فإن الشغل الذي تستخدمه الكتابة (الأنف) الحائلي لكل شيء والعلم بكل شيء) والبناء الذي يقوم عليه (الانقطاع القصيرة المتتالية التي تحمل أرقاماً، والتي تنتقل - ييسر وسلاسة مخفف الإحسان - بين هذه العوالم المستعدة بدوام ثلثين من تماماً. إنه انهال سبيناريو عمل سيمثالي: بعد اللقطة العامة الأولى (الأوتوبيا المنجى إلى القلعة) يبدأ «الموتش» عمله: يقع من هنا ليوصل من هناك، مصفياً خطوطاً جديدة إلى كل من هذه العوالم، مستدعياً شخصاً واحداً أخرى، ولتاحت هذه العوالم بالأحداث والشخصيات لتجا الخاتمة إلى الإختراق، الإنجاز، مستعدة - اعتماداً قد يكون سيالفاً في تقديره - على الخبرة التراكمية لدى القارئ وقدرته على أن يفكك الخيوط، ويرد كل إلى صاحبه.



ولن يتسع المجال لرصد كل التفاصيل في كل من العوالم الثلاثة، يكفي أن نشير فقط إلى «زوايا الموضوعات، التي يقوم عليها كل من هذه العوالم: إن عالم بعد الموت يستدعي قيام ثورة يوليو وهو طالب بالثبات، ويقتضي في الحدث الكبير على زملائه في المدرسة واستجاباتهم المختلفة له، وبينهم ابن واحد من «البهوات» الذين بدأ عالمهم في التفتوح، وبينهم طالب عرف منذ البداية أنه له صلات وثيقة بالكتابة، وأنهم «طوع أمراً» - فمارس الاستبداد والابتزاز لزملائه ومدرسيه استناداً إلى سيوفهم بعد الفول، وغنما بعد اغتيل «مصطفى» من الشيوعيين، ولعل إنه قد أطلق سراحه لأنه كان يعمل مع السلطة ضد رفقاءه. وهو - زمن الكتابة - يأت بعراقاً له عبد الحميد أحياناً، وأحياناً يراه بين من يسوقون اللغو والهذير في برامج التلفزيون (شخصية قد



ترجع بأصولها إلى النموذج الكلاسيكي: روف علوان). وفي عالم عبد الحميد كذلك أخوه «علي» المحقق الذي كان يعقد «صالونات الخمسين» في بيته، وفي أوجها عرف «شاذ»، الشاعرة التي تعاطفت مع مصطفى، ولم تأبه بعدد الحميد.

محمد صبي في الثانية عشرة - له عالم آخر: أهم ما في عالمه زميله وصديقه اللسطيني «مريد»، الذي يتقرب معه على الوحات التي رسمها جد «مريد»: الرسام اللسطيني المعروف، وله - بطبيعة كونه فلسطينياً وفناً - مساهمة الخاصة، ذرة فردة من مساهمة شاملة، وبين زملائه كذلك «تايسون»، الصبي المصري الذي يحمل الجنسية الأمريكية (وهذه شخصية غير متوقعة...، وهو يباهي بجنسيته ويتباهى على الطيران، وأباه، طبيب التحذير، قرراً أن يكون مبالداً في «تاكسي» حيث يعيش عم لأمه «فيهيح موما» أمريكياً، ويقتله من وصمة العالم الثالث والتفريق بين دولة نامية ومتخلفة...، وهو يباهي بجنسيته ويتباهى على زملائه الذين يدخلون معه في معركة مفتوحة. إن الصراع بين «مريد» اللسطيني و«تايسون» الأمريكي، ومواقف محمد و«زلات» المصريين من هذا الصراع ليس تعبيراً رمزياً، عن حقائق تحدث اليوم على أرض الواقع، قدر ما هو «كافلي» أو «معادل» ما يحدث. (ولكي نشير الكتابة الدولة السياسية للوقوف كله، لا بأس ما تجعل صبي الثانية عشرة يفكر على النحو التالي: لئن «مريد» شغل أكثر لأنه لسطيني، وعلمه مثل أطفال الحجارة الذين يعبدون جديهم بن على من إسرائيل، كما قالت مديعة «الس» إن - إن - وفراً في «الواشنطن بوست».) أما عالم الصغيرة «مريم»، فحدث عن ولا حرج، يكفي أن تكون فيه كتابات «سنية» عن زوجها اللطيف، وحكاية المرأة النوبية العجوز «عاشقة سباحة» التي جاءت من النوبة بعد أن أغرت ابنتها «سبيلا» لأنها حبلت من الشيطان.

عالم مريم - بوجه خاص - يتأرجح بين الواقع وما وراءه، خاصة وهي بالغة الانشغال بالتفكير في كتابات «سنية»، التي تقص بالعباريات والشياطين من ناحية، وما تقولوه «ميس راجية»، الفرنسية، عن الاستنساخ. «لم تفهم مريم من كلام «الميس» سوى أنه يمكن استخراج مزيد أكثر من مريم، ويدت المسألة مستعدة ومربحة» من الناحية الأخرى.

في، إذن، عوالم ثلاثة مستعدة، كل منها غني بشخصه وأحداثه، لكن العلاقات والروابط التي تسعى الروائية إلى إقامتها بين هذه العوالم الثلاثة - لآتي - في معظمها - معقولة أو مقنعة، ولعل أكثرها وضوحاً محاولة الربط بين عالمي عبد الحميد ومحمد من خلال اللوحات المرسومة لوجوده ومساعد فلسطينية، فهي تبدو واضحة الانتعاش.

«لا ظل ولا صدى» عمل يعتمد على الإنجاز والحذف، ويتكى على خبرة القارئ ومهارته في التقاط الخطوط والتمييز بينهما، ويقرر نجاحه يتحدد مدى تفهمه وتذوقه للعمل كله. رأيث أشياء وفانتثي أشياء، من قراءة هذه «المناسج» المختارة، وقد فرحت، في العهد، على عرشها وتقديمها، كما يفكر الجواب عن بعض الأسئلة التي طرحناها أول هذه العجوبة» باصفي قدر يمكن من تدقيق الكلمات، ومن خلال هذه المناسج الخمسة عشر، إضافة

للأعمال التي لم تعرض لها لأنها دون مستوى المناقشة الجادة (لا حاجة، بطبيعة الحال، لتعديد الأعمال والأسماء)، يمكننا أن نثبت بعض الملاحظات:

الأولى: تفرص نفسها على الفور، وهي المتعلقة «بحجم» هذه الأعمال، أو عدد صفحات كل منها، نجد ثمة عملياً لسبق مما اللذان تتجاوز صفحات كل منهما المائتي صفحة (عمارة يعقوبيان ٣٣٤ ص، ثم نوة الكرم ٢٩٤ ص) وواحدة يقارب المائتين (من حلاوة الروح ١٧٥ ص)، أما معظمها فيقع بين المائة والمائة والخمسين، ومنها ما لا يبلغ المائة (تصريح بالغباب، ٧٥ ص، قانون الوراثة، ٨٧ ص، لا ظل ولا صدى، ٩٢ ص، تسأحة الصحراء وسانت تريزا، ٩٧ ص).

إن هذه ليست ملاحظة شكلية. وإنني لست من المؤمنين بتلك القواعد التي يضعها «معلمو الأدب» للفرقة بين القصة والرواية، سواء من حيث عدد الكلمات (كان يقولوا إن القصة لا يجب أن تتجاوز الثلاثة آلاف كلمة) أو من حيث الزمن (كانوا يقولوا إن القصة يجب أن تقرا في جلسة واحدة) أو ضرورة أن تقتصر القصة ما كانت لتزعمه المسرحية الكلاسيكية من حيث وحدة المكان والزمان والحدث، أو ضرورة أن تكون في القصة شخصية واحدة رئيسة، وتقوم بقية الشخصيات بالعمل على توضيح معانيها، أو ضرورة ألا يتجاوز زمن القصة حياة فرد واحد.

أية إخفاقات تلك القواعد إن القائلين بها لم يجدوها جامعة ولا مائعة، ومن ثم أسرفوا في التقسيم والتصنيف، فمن «قصص»، «قصص قصيرة»، «قصص قصيرة طويلة»، «نوفيل» أو «نوفيليتا» حسب اللغة التي تفضلها - ورواية، من الناحية الأخرى فقد أطاح المبدعون الكبار بكل تلك «التعديلات»، وفي ظني أن أيًا منهم لو قعد بكتب «قصته» أو «روايته» ملتزمًا أيًا منها، ما كتب شيئاً على الإطلاق!

عند: يتداخل شكل القصة والرواية ويتوحدان، وكثيراً ما نرى - في الفصل المناسج - أن في أحد الشكليات بعض خصائص الآخر المعلن، إذن، هو تسيع العمل نفسه وطريقة صاحبه في تناوله. له بكتب «على اتساع الصفحة، كما يقولون، أم يتعدد الإيجاز والاقتصاد؟ هل يستعين بالتفاصيل الكثيرة - لرسم في الوصف السرد والتحليل والحوار - لرسم لوحة التعبير أم يعتمد الانشغال الدقيق بالنسج الرقيق كسما في «المنمنمة»؟ أقرب وصف أتصوره لاختلاف بين كاتب القصة والرواية أن الأول لا يملك في جعله سوى طلاقات محدودة، ومن ثم فلهية أن يحسن استخداما وصحوبة والإفادة منها، أما الثاني فيملك «ترسانة» كاملة تحوى مختلف الأساليب التي يمكن أن يستخدم هذا أو ذاك منها، أو استخدامها جميعاً في وقت واحد.

على أنني أميل لأن أفسر ظاهرة وقوع أغلب هذه المناسج في هذا القدر المحدود من الصفحات بما يمكن أن ندعوه «تراكم الخبرة» عند القارئ والمكتوب معاً. بعبارة ثانية: لا شك في أن اتساع قاعدة قراء

كتاب الرواية



حرب النهر سقوط أم درمان

يتحدث تشرشل عن أجواء ما بعد سقوط أم درمان عاصمة الدواويش والنهاية السريعة لحكمهم في السودان.

لم يدرك الخليفة عبدالله التعايشي بعد أن غادر أرض المعركة، أن جنوده لم يطيعوا أوامره واستمروا في تفقههم ولم يصل المدينة إلا بضع مئات للدفاع عنها. ذكر خادمه الأثيوبي أنه تلقى صدمة الهزيمة وهو متماسك، تناول بعض الطعام ثم رجع إلى القبة، تعرض في هذا الضريح المقدس لروح محمد أحمد أن تعينه على تحمل هذه المحنة، كانت آخر صلاة تقام حول قبر المهدي. سمع الخليفة أن السردار يدخل المدينة وأن الفرق البريطانية وصلت ميدان الاحتفالات في الغرب. امتطى ظهر حماره واصطحب زوجته الأولى، وبعض خاصته وأتجه ناحية الجنوب. كانت الجمال السريعة تنتظره على بُعد ثمانية أميال من أم درمان سرعان ما انطلقت به إلى حيث بقايا جيشه في انتظاره. عندما وصل لم تكن معه أية حراسة ولم يكن يحمل أي سلاح. كان النازحون لديهم كل الحن في أن يكونوا ثائرين، لأن قائلهم قد جرهم إلى الخراب والدمار، قطع رتبة هذا الرجل الوحيد الذي كان سبباً في كل معاناتهم ما أسهله على أي واحد منهم ويمكن أن يتم ببراءة ولكن لم يهاجم أحد.

هرع الأمراء الناجون إلى جواره، سقط أغلبهم على السهل الميت، عثمان أزرق البطل الصندي ود بشاره، يعقوب وكثيرون لم تعتم أسماؤهم الغربية هذه الصفحات ولكنهم جميعاً كانوا رجالاً عظماء وقداً وأنظارهم نحو النجوم.

في الرواية المصرية الجديدة

والأفكار، وهما جناح الإبداع الذي لا يمكن أن يحقن بينهما، ومن ثم فإن القرب الشابة المصرية من العمل الإبداعي الجاد، والمثابرة على تحمل أعباءه هو أمر جدير بالتحفاة.

ثم إنني لم أجد عند كاتبنا هاته ما يمكن أن ندعوه «حروب الجنس» التي اغلقت كتابات قبيلهن، وهي حروب شتى عند الرجل بما هو كذلك، أي بطبيعته البيولوجية وحدها، لأنه – بالتعريف – قاهر ومصدر للفرح، فالأم ومصدر للظلم، مستطس ومصدر للتسلط، وإذا بدت النساء مقهورات في بعض هذه الأعمال، فيجب أن نضع في الاعتبار أمرين: الأول: أن هذا الفهر مكون من مكونات «ثقافة البدو»، في الصحراء أو الصعيد (عند ميرال وأسامة وأيضاً عند حمدي أبو جليل) وهي ثقافة منحسرة أمام خلو الضياء والتقدم، رغم كل محاولات بحث الحياة فيها. الأمر الثاني: أن النساء مقهورات بقدر ما أن الرجال مقهورون كذلك. إن وأيضاً نقياً من الفقر والحاجة والافتقار للإن في الحاضر والأول في المستقبل بقهر الجميع، وتطيش السهام، فتوجه سهام المقهورين إلى المقهورين بدل أن تتوجه جميعاً ضد مصادر الفقر.

وكان هناك ما يميز كتابتين عن كتابة مجابيلهم من الرجال فربما أفن القول أن لديين اهتماماً بالطبوق والمارسات داخل البيوت (indooos) بانكسر معاً في الرجال، وهذا طبعه يحكم الواقع الاجتماعي ذاته، ومن ثم أكثر حفاظاً وتربطاً للمال في شعر ونثر، لكنهن تتقدمن ليخضن صراع الحياة، مثل الرجال، ومنهن أيضاً يلقين ما فيها من شر وخير، انكسار وانتماض.

وغنى عن القول أنني لم أجد عندهن ما يدعو البعض «لعمل الفضيل» من ضرورة، ثم بالجدد، ومازالت لأفهم معنى لهذا القول: الملاحظة الرابعة والأخيرة: إنني أفهم من استخدام «العمل الفضيل» من ضرورة، ثم إنني من المؤمنين بأن الزمن هو خبيث غريبال، والقدره على الاستمرار خير مصفاة، المستقبل وحده هو الذي سيفرزن لنا من الذي سيواصل التقدم، ومن الذي سيبقي براوح في مكانه، يقول ما سبق له (ولأخريين) قوله، ومن الذي ستسوخ قدماء في رمال واقع قاسد معاد للإبداع، ومن سيدخل بهو الإبداع، ويبقى مدحاً في صورة ذات طابع نرجسي طُلب، وإن قام تعثر في زمن.

نعم، رأيت أشياء وفاتنت أشياء. (هـ)

(هـ) الأعمال الواردة في هذا القسم هي، على الترتيب:

- سميرة رمضان: «أوراق النرجس»
- شرفيات، ٢٠٠١
- صفاء عبد المنعم: «من حلاوة الروح»
- كتاب «رؤى» للنقصة والرواية، ٢٠٠١
- ياسر عبد الطيف: «قانون الوالدة»
- ميريت، ٢٠٠٢
- محمد العشري: «ثقافة الصحراء»
- الحضارة العربية، ٢٠٠١
- حمدي أبو جليل: «لصوص متقاعدون»
- ميريت، ٢٠٠٢
- بهاء عبد المجيد: «ساعات تريبزا»
- شرفيات، ٢٠٠١
- مثال القاضي: «لا ظل ولا صدق»
- مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢

العدد الثالث والأربعون، أغسطس ٢٠٠٢م



الثانية: أن اصحاب هذه النماذج – في أغلبهم – مهمومون بالواقع المعيش، وإذا جاز لنا القول بأن الهدف النهائي لأي عمل إبداعي هو الإسهام في العمل على تغيير هذا الواقع عن طريق كشف الجيوب العميقة والمخلفة فيها، والإصرار بوجود سبيل نحو عالم أكثر أمناً وعدلاً وجمالاً (حتى حين يبدو أحدهم منصرفاً عن هذا الواقع فإنّه هذه رسالة فسحوا أن والتمعن هذا غير جدير بالاعتناء، وهذا اهتمام لا شك فيه)، فإن اصحابنا هؤلاء تختلف سلوكهم في التعامل مع هذا الواقع، الوطني والاجتماعي والسياسي، وتنسج رقعة هذا الواقع حتى تكاد تشمل الجسد المصري كله: صحاريه الشرقية (ميرال الطحاوي) والغربية (محمّد العشري) وقرى الصعيد وجنوبه (خالد إسماعيل، أسماء هاشم)، وطبيعته، وتشغل أحياء القاهرة مكانها الذي يكافئ مكانة العاصمة في هذا الواقع، وتكاد تشمل وسط المدينة وجنوبها (علاء الأسواني، ياسر عبد الطيف) وشمالها (بهاء عبد الجليل) مع اهتمام خاص بديارها «العشوائية» (صفاء عبد المنعم، حمدي أبو جليل). عمل واحد فقط هو الذي يتجاوز هذا الواقع، مرتكزاً في التاريخ نحو واقع آخر (نوة الترم). تحمل هذه الملاحظة أن «الحس التاريخي» أو «الحس بالتاريخ» موجود في أعمال عديدة (أوراق النرجس، قانون الوالدة، ثقافة الصحراء، لا ظل ولا صدق). هذا من ناحية، من الأخرى فإن ذلك الرجوع إلى التاريخ (البعيد أو القريب) يحمل مشابهاً واضحة بالواقع المعيش.

الثالثة: إن نصف هذه النماذج تقريباً (سبعة من خمسة عشر) كتابات. وإنني اعتقد أن هذه الحقيقة – في ذاتها – هي واقعة ثقافية واجتماعية جديرة بالاهتمام والتقدير (بعيداً، بطبيعة الحال، عن الغمزا والمزمار والكلمات المسمومة)، فحين جميعاً نعرف أننا نعيش واقعاً ومازالت ترتفع فيه أصوات – جاهلة أو ماجورة أو ما مفاً – تجرم الإبداع وتؤلمه، فضلاً عن أن الطابع العام للمجتمع ما يزال «ذكرياً» و«بطريكيّاً»، في كل من جوانبه، بكاد أن يحول بين المبدعة الشابة وتكوين ثقافتها الجادة، واكتساب الخبرات الحقيقية بالحياة والناس

العربي والدولي

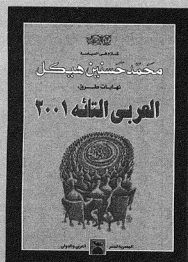


المصرية للنشر

تقدم لكم أحدث إصداراتها

محمّد حسنين هيكل

كلام في السياسة



نهايات طرق:

العربي التائه ٢٠٠١

الزمن الأمريكي:

من نيويورك إلى كابول

تطلب من

دار الشروق، ٨ شارع سيوفيه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ ومكتبة الشروق، ١ ميدان طلعت حرب تليفون ٣٩١٢٤٨٠ ومكتبة الشروق، مبنى فرست أمام حديقة الحيوان ٣٥ ش الجيزة محل رقم ١٩ تليفون ٥٧٣٥٠٣٥

ومن المكتبات الكبرى

كما يمكنكم شرائها إلكترونياً www.e-kotob.com

٩٩ ترحب، وجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تعليقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرس على نشرها، مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلاً مثل المقالات ذاتها. لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة أو هيئة تحريرها ٦٦

رضوان الكاشف مع السلامة يا أخى،

فى عالم «المضحكون الجدد» الذين سيطروا أو كادوا على المرحلة الراهنة من حياة السينما المصرية. هناك سينما جادة تتناول بعمق وجراحة ويتكئذ فى راق أحوال مصر المحروسة فى نهايات القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة.. وقد كان الراحل رضوان الكاشف فى مقدمة الخريجين الجادين المعبرين عن تلك الرؤية.

ويعد أن قرأت موضوعي «المضحكون الجدد فى مصر» و«السينما وموم الشباب» أرجو أن تتاح لى الفرصة بالكتابة عن رضوان الكاشف.

«رضوان الكاشف».. فنان السينما نابغاً والشباب الذى باغتوا رحيله فى ٢٠٠٦/٦/٥ هو ابن عصره، بكل المعاني.

رضوان الكاشف.. ابن عصره ثقافياً وإبداعياً، وظيفياً وسياسياً، ابن عصر انغمس فيه وفى تضاريسه «حتى النخاع».. ليحبر عنه، وليعبره مع وطنه. ابن عصره بسمات ذلك العصر ومعاله وأحزانه وأذلاله وتحولاته العنيفة ولوفسائه فى كل مكان.

ورضوان.. ابن أشرف المحاولات لتجسيد وتعبير الفنون والأفكار عن كل ذلك ومع (سوق) منه. وابن أعقى الاجتهادات وأوضاعها ونخباً وحداته، باستهوا أن تكون السينما فى مصر جزءاً أصيلاً وجديلاً من ثقافة مصر الوطنية.. وأن تكون بدورها «بنت العصر» وأن تكون مع غيرها عوناً على الاجتهاد والشاق، والخاص العنيف، نحو الحلم.. والأفق الجديد، ونحو عصر جديد ومختلف منقود.

«الفتى احمد على».. رضوان.. ابن العصر والأوان الذى لم يتم مشروعه المباعث بالرحيل، مع أنه أكثر من كان يقاوم الرحيل، مثل روع وأنصع إطلاله «احمد».. فى شخصه السينمائية «عرق البلع».. الفتى الذى أسمر على أن يبقى ولو وحده، ولو غادر كل رجال القوم. واجمعين، واستجابوا لنداء المجهول!.. إنه لذلك من الرجولة الحقة.

وهو أيضاً مثل الفتى احمد.. الذى رغم كل مقاومته للرحيل، الطويلة، والمستسلمة، باقته الرحيل ذات حين، دون توقع منه.

ودون توقع أو استعداد مثلاً! لقد قلنا بحق – ودون أدنى مبالغة – «أملاً كبيراً» من أمال السينما المصرية والعربية، «فنان السينما» بكل معنى الكلمة / المصطلح.

ثلاثة أفلام طويلة فقط (ليه يا بنفسج ١٩٩٢ – عرق البلع ١٩٩٧ – الساحر ٢٠٠٢)، وأربعة قصيرة (الجنوبية ١٩٨٤ – الورشة ١٩٨٥ – حياة بائع متجول ١٩٨٦ – نساء من الزمن الصعب ١٩٩٩). وكان هذا شأن كثيرين فى حياته، حاضرتهم ظروف متوحشة، وكان إبداعهم يتطلع لى الشروع متاخراً، ويستمرهم فى بلورة مشروعه فى المجاهدة أو المخاطبة على الرغم من عراقيل مستكثرة، ولكنهم يواصلون.. خاصة النماذج الصلبة الواقعة.

الواقعة

مثل

«رضوان»

تضفى لى

طريقها

عاقدة

العزم

منيرة

صابرة،

بصل

«ناصر»

حصارها

على حد

تعبير

مضمود

درويش

الرائع

ذائع

الصيت؛

لم

يبتعد

رضوان

الكاشف قط، لى حياته ومن ثم فى أفلامه ومشاهده ما من منها ولم وكان يعد (ومن بينها فيلم عن حياته وعصره يتعدون «نحن» أو بعنوان «علاء»!) لم يبدع عن الإنسان العادى البهائم (الناس الحقيقيين) الذين جرحهم لى «هامش» تعس، عصر القرف والعنف، ووجه اليهم أقسى ضرباته، ولكن ملما لم يتخل الكاشف لى حياته يؤمن أن إسماعته الهادئة الواقعة، رغم كل الصخب من حوله التشويش المظلم، لم يتخل على الإطلاق عن (رؤية واستشعار) الإنسانيات الصافية والحقيقية رغم كل شيء فى حياة هؤلاء البهائم.. ودفها دنائش لى أفلامه وسط تراكم ودواعى السخاء وعلى الرغم من «كل هذه

المزارة»..! وقد أطلق على ذلك تعبیر (نظريه) فى آخر أفلامه.. أو رسائله الأخيرة – «الملاح» (نظريه) (الباحثة) وكان تعبيره هذا هو عنوانه الأصلي للجيل لم أبقي عليه كعنوان إضافي!

ونفس ذلك المزيج – ولا نقول الخائبة – فى ما النقطه، وأسره، فى إحدى أغنيات الشبن المزدوج بالإنهاج المصرية: «ليه يا بنفسج.. بنفسج.. وانت زهر حزين»!، حتى أنه وضع التعبير عنواناً لى رأس فيلمه الأول، ويكنى فيلم «ليه يا بنفسج» إلى سينما إنسانية غنية وأسرة، جماله البالغ والخاص ينبع من يساطته وأصاله الاتنعم أو تلك «الإنسانية» الصادقة والدافقة.

أمن

رضوان

(بنظره)

(البهجة)

على الرغم

من كل

الأشياء

وحاصر

الأزنان

الحكم،

وأتمن

بنظره

النقد،

وأن الغد

لا بد أفضل

وأبهى..

للإنسان

العادى

ومن

البدائيات

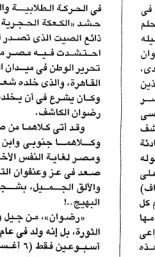
المحركة،

منخرطاً

فى الحركة الطلابية والوطنية، منذ حشد الختعة الحجرية» ومشهدا ذائع الصيت الذى تصدر السبعينيات، احتشدت فيه مصر من أجل حرب تحرير الوطن لى ميدان التحرير وسط القاهرة، لى ذلك عشرين أم دقل، وكان بشرى فى أن يخلده سينمائياً رضوان الكاشف. وقد أتى كلامه من صعيد مصر، وكلاماً جنوبى وابن بار للجنوب ومصر لغاية النفس الأخيرة وكلاماً سعدى فى عز وعفوان التدفق فى حسنة والأروق الجميل، بشجته / حسنة البهيج..! «رضوان».. من جيل ولد متعاً مع الثورة، لى إنه ولد فى عام قيامها وبعد أسبوعين فقط (٩ أغسطس ١٩٥٢).



مدير التحرير



مدير التحرير

تراجيديا هذا الجيل كامئة لى لحظة فتحت وعيد وإدراكه على السقوط الكبير، فى السبعينيات، لى تسليم المقدرات والإرادة وكل شيء، كان الجيل السابق «جيل ٦٨» مصدوماً بالهزيمة الكبيرة فى يونيو ١٩٦٧ وفقدان الأرض، لكن مصر بالقيادة الوطنية التقدمية لجمال عبد الناصر لم تفقد إرادة المقاومة، والإصرار على التحرير بل والشروع على الفور رغم المخاطر لى حرب استنزاف على الطريق إلى حرب التحرير. ولأن تسلم مصر الرسمية السبعينية إرادتها مختارة وتلحق الوطن – بالتسوية المنفردة والانفتاح الباس – بركاب منظومة الرجعية العالية بقيادة الولايات المتحدة.

هذه الترديات، أو بتعبير جمال حمدان الحاد المفاد «حركة التاريخ إلى أسفل»، وحدت جيل مقاومة الردى، بخلاف الفصائل والتوجهات والمواقف، وإيماء وقف، بعيداً كان، أو يساراً «معرضاً».

وغلب على طلائع الجيل التوجه يساراً، ويغلب المد الواضح والعفوان برحمتها نحو الجملة فى هيئة ١٨، ١٩ يناير عام ١٩٧٧.. كما أن تلك الترديات وحدت مختلف أجيال مصر التى حضرت السبعينيات العاصفة، لى جيل مقاومة الردى، وجيل مقاومة الهزيمة السابق عليه، وجيل مقاومة الاحتلال البريطانى وتغيير الثورة السابق عليها.

أى جيل الفتان، وجيل الأيوه الكبار، وجيل الآباء.. معاً لى مواجهة النكوص الشامل، وهزيمة من نوع جديد.. وبدا للكانة أن الأمر لى هذا الموال – رغم التضحيات – قد طال بل وتعقد وازداد استحكاماً.

وحينما تبلغ.. مع انتصاف سنة ٢٠٠٢.. دورة يوليو من الخمسين تماماً ومعها رضوان الكاشف، فى تلك اللحظة المشحونة بالمتى، يعرض رضوان الكاشف عينيه، ويخفى بلا تهديد، كخشخاش الأساطير، يمسى بلا توقع ودواع، لىظلل بل بالنا طول الوقت كأنما لىد سيمود.

يركب حصانه، حصان الموت، كما كان يركب إبطاله فيرحلون لى الأبد، فى قلبه المرموق «عرق البلع».. لكن جيل الموت فى «عرق البلع»، كان أيضاً جواد حياة جديدة، ذاهب إليها الراكب، راضياً مرضياً يهين باسمستين.. وكان يودع إبطال

نحن وهم؟

في العدد الأخير من المجلة لغت نظري مقال الأستاذ سلامة أحمد سلامة الذي أثار لدى أدينا أوجاعاً كانت مختلفة على غلى حتى جاء لقاء الأستاذ مهيل على قناة دريم وتحدث عن ضرورة تحديث الشخصية في مصر بكافة أنواعها السياسية، ثقافية، صحافية، دبلوماسية.. وكان الرئيس مبارك قد تحدث في هذا الموضوع منذ أكثر من خمس سنوات ولأننا نكاد سر وبيضا نتحدث الأستاذ سلامة عن جيل الستينيات الذي تولى السلطة في أوروبا والولايات المتحدة لم يذكر أن هناك الآن رؤساء أكبر صف العالم «دلي لتجاربنا» ومستشارين لكثير شركات العالم، محلفين دبلوماسيين لبلادهم ولم يتعدوا الخاصة والتأليل. وفي مصر فإننا جيل التسعينيات وأواخر القرن العشرين نعتبر المصدر الرئيسي لمعلوماتنا عن الشخصية العالمية للمعلومات «الانترنت» والدراسة على Email. بل لدينا شباب قاموا بإنشاء شركات ومواقع ثقافية مصرية بهذه عالية وتصميم راجد بينما هذه الأولوية الثقافية القليلة جدًا بينما نتحدث عن ماركس ونظريته التي يستطيع الشاب من تفهيمها كل ولذا من ولن نتجج أبدًا ومازالوا يتكلمون عن الخلاف حول تنظيم الحياة الإسلامية فدى الوجوديين والماركسيين هم القادة للتغيير الإسلامي وهل الإسلام قادر على المعاصرة أم لا وتناصروا صراع السياسات وليس صراع الحضارات التي فسرها الإسلام في مفهوم ثقافي وتناصروا أن أصولهم متجنسون مستشار لأن القوي واحد المشاركين في صناعة السياسة ليس في الولايات المتحدة، وإنما العالم كله، ومازالوا يتكلمون عن الحق الشرعي لنا في القدس وخيراتنا وأثار وحكايات ولم يفكروا في المواجهة مع عناصر صهيونية مسيحية تعكف ما يزيد على ١٥٠٠ محطة تلفزيونية في الولايات المتحدة بل وضعت الصالة بهم إلى ناصحتهم لنا بأن نواصل هذه الفتوات دون إدراك علاقتنا بالصهيونية. إلى جانب أكثر من ٢٠٠ كلية لاوتوية تمولها بأكبر الجامعات الصهيونية وشرائها وإصداراتها التي تصل إلى أكثر من ٤٠٠ مليون أمريكي من سجل ٤٨٠ مليوناً.

يحدث كل هذا ولإزالة هؤلاء المنقون محاربين بين قصيدة الشعر، بل سعاف حسني ماتت أم التحتر، هل فك الأسر عن عرفات أو عن القدس.

اختبرت الأدبية وهي أول حضارة عرفت الثوب والعقاب والتوحيد جوهراً الإيهان. إذده أدلة انقفا كما شواهد استمرارية وحسوبة راحة؟

لقد سطر مصر بحروف مضيفة أول فصول الحضارة الإنسانية وكان فضلها عليها واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار وإذا كان العرب قد أعادوا إحياء التراث الكلاسيكي ذي الأصول المصرية فإن من واجبتنا نحن إحياء التراث المصري وتدرسي اللغة المصرية القديمة وهو ما لا يتناقض مع روح مصر الإسلامية ولسانها العربي. فالحضارة المصرية القديمة ليست كما يدعى البعض هي راسهم الأستاذ أحمد حسن الزيات الذي نعب في سخرية إلى وصلها بأنها دفين دفنت روحه في الأثمة وصحائف موت نعت سرها مع الكهنة.

ليست الحضارة المصرية كذلك بل هي راسخة وفائرة بالحياة ونافذة في فلسفة اليونان وتشريعات الرومان ومزامير داود.

كيف نعت حضارة نشأ الضمير الإنساني في وجدانها وأشرق شمسها أول ما أشرق على أرضها؟ ليس هناك داعياً لتفتاح النقاش بين مراحل تاريخنا وتراثنا سيقول الأزهر والمصر المنصف الإسلامي والمتحف الهرم رموزاً عزيزة عن حياة مصر تصنع تاريخها وتشيد مجدها وتؤكد عبقريتها، وهل من المصافاة أن مصر هي بلد الأهرامات في العالم الخارجي وبلد الأزهر في العالم الإسلامي؟ أين التناقض في ذلك؟

إن تدرسي التراث المصري القديم ليس أسلحة عن عروبة مصر وروحها الإسلامية التي لا تنفك عنها مدامت فيها حياة مستقل مصر تنطق بلسان مصر، وروحها هي روح عمرو وقيظارها الذي توقع عليه الحان النيل هو قيثارة أمرو القيس.

ليس الأمر تفاخراً بإنجاز الماضي فاجادنا صنعها أجدادنا والفصل بين وجدهم وليس استغناء التاريخ عن حضارتها في بورصات السياحة، بل أهم وأخطر.

إن قراءة التاريخ هي المداخل الأساسية لأي نهضة حضارية حقيقية ومن العيب أن نقرا قراءة انتقائية بل لابد من قراءة كاملة واعية وقادرة على استخلاص الأصول عن الدخيل وهو سلاح قوي قادر على مواجهة أي محاولة لتزوير التاريخ وتزييف الوعي.

مصطفى عبدالعزيز ربحان
ديماط

جادات به عقول وسواعد ابنائها وصهرته في مزيج حضاري متناغم وثرى كان فضله على الحضارة الأوروبية عظيم حيث أعاد العرب بحث التراث الكلاسيكي الأفريقي وحفظوه وأضافوا إليه شيئاً وتعليلها وقاموا على رعايته خير قيام وحينما أشرقت هذه الحضارة على الغرب الأوروبي كانت عاملاً رئيسياً في انتشاله وانتقاله من ظلمات العصور الوسطى بكل انقائها وجهالاتها إلى عصور النهضة.

ولكننا إذا تبعنا أصل هذا التراث الإفرقي الذي أكد العرب بإحيائه فقلهم على أوروبا يومناً أن مظهره يعود إلى أصول مصرية حيث كانت مصر القديمة هي منبع الذي نهل منه الإفرقي معارفهم وشبوا معجزته الإفرقية على أساسه فاصول الفلسفة اليونانية العظيمة تضرب بجذورها في أعماق الحضارة المصرية التي امتد تأثيرها في الحضارة الإفرقية إلى جميع المجالات تقريباً في الفن والفلسفة والتشريع والعمارة.

يعترف رونو بهذا الفضل ويقول: لقد امتلكتنا نحن الإفرقي ضمن مملكة الأب والنيل العظيمة وأصل كل تراثنا وشرائعتنا. هنا يسود تسلسل الفضل للحضاري متطلياً بين تدين أوروبا لمصر الذين استفادوا من الإفرقي هؤلاء يدينون بحضارتهم لمصر القديمة أصل الحضارات الإنسانية بما فيها الحضارة الإسلامية ونسرى في كثير من مكوناتها والشاعان أن الانقفا الثقافي الحضاري بين مصر القديمة ومصر الإسلامية لم يكن كاملاً بل هناك استمرارية خلاقية في مجالات كثيرة وسيل المثال تأثر العمارة الإسلامية بالعمارة المصرية القديمة بشدة فالتذات الإسلامية هي الترجمة الفنية للعظمة المصرية، ويبدو مسند السلطان حسن أهم روائع قاهرة العصور الوسطى بعدد الشافق الذي يبعث الرهبة والجدال في النفوس وكأنه جزء من العمارة المصرية القديمة.

وسلعل هذه الاستمرارية توضح لنا السبب في تفرع مصر بإنجاب كوكبة أسطورية من كبار القراء تصدح بالبحان ساوية بديعة وتشدو بأذان وإيهالات لم يخلل لروعتها في العالم أجمع، إن مصر الإسلامية حين تجد حرسه الاستعانة بالموسيقى في صلواتها كما كان الأمر في الصلوات القديمة والبطنية تنجبا إلى إبراز الموسيقي الباطنية الكائنة في القرآن في استمرارية نادرة لأحسان التراتيل المصرية والعظيمة.

إن مصر كما يقول سالوحي التي

وشخصيات رضوان راكب الجواد، بالتلويح والصوت لأحب بلا بكاء، المرقد جيلال وشجن أسر بلا نصيب: «مع السلامة يا أخصي.. مع السلامة يا جيبين».

وأذكر أنني قلت لرضون الكشاف عند مشاهدة ذلك الفيلم: لم أشاهد في فيلم من الأفلام، مثلما شاهدت في فيلمك «عرق البلع.. الموت؛ بهذا الرائي الجوع، وبهذا الخيال الخصيب الخاص، والتقاليد الفلسفي المبعيد البديع، بالعقل والحدس، والوجدان والروح».

وكمعادت. مع ابتسامته الهائلة، ونظراته التي تنفذ إلى بعيد، وصفاء أخذ يهب متعمفاً، ويوفو بدعته رفيق إلى الفن والخيال، والوقت والحياة، والجمال والجلال!

ظل «رضوان» نادماً ذلك المزيج المتفرع من الابتسام الهادي والاعتمال والأشفاق والحب الجوى والخوف في كل القضايا الجادة بجدية تليق به إلى أبعد.

ومضى «رضوان»، وفيلمه الثالث فيلم النوع «الساحر» والمعرض لم يزل وقت الرحيل في عدد من الدور.. هو فيلم العام، ونوصفه الأول على الأقل، الفيلم الأجل والائق والأبلغ.

كان فيلمه حديث السينما والأفلام المتصور خلال شهر. ولأن أصبح الحديث عن صاحب هو الحديث الأول والحين في كل مكان، ونحسب أن الحديث عن عمله وعمره - على قصره - يصبح باستمرار تحليل متعمفاً وقراءات متجددة لعلمه ودوره. والذي لن نحسب أبداً بعدد الأفلام، أو عدد أفلامه، وإنما بمسقط التأثير، ومعنى الدور، وقبلة الإسهام.

محمد بدر الدين
عضو مجلس إدارة
جمعية نقاد السينمائيين



تأثير الحضارة المصرية

في دنيا وثقته وتعاون «تأثير الثقافة العربية في الحضارة الغربية الحديثة» تحدث. «سوقي ضيف في إسهام من الفضل التاريخي للحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية الحديثة» والذي أثير في عصر النهضة. حقا لقد أديع العرب حضارة زاخرة استصفت أفضل ما أنتجت الحضارات السابقة وتمثلته وأضافته إليه ما

کتاب عربیہ

التاريخ العام لليمن

من طيب بغير الحضرمي
مركز عبادي للدراسات والفكر،
ناب اليمنيه للفكر، ٢٠٠٢، ٢٦٠



يلقى الكاتب أضواء على تاريخ اليمن مستفيداً مما ذكر في الكتب المقدسة ودراسات المستشرقين والدراسات التي سبقت عن تاريخ اليمن قديماً وحديثاً. تحدثنا المؤلف عن عباد وشمور.

والأولى كانت الحضارة الأولى في جزيرة العرب بعد الطوفان. وكان أصحابها من النضجاء بحيث نكحهم القرآن بإدم العمداء التي لم يخلق مثلها في البلاد. وقد اغتروا بقوتهم حتى جاءتهم عاصفة فاصفوا من البنائين علباً على غرورهم وتجرهم. أما لثود فيذهب أكثر المومنين إلى أنهم أقاموا بن الشام والحجاز في المنطقة التي باتت تعرف بمدائن صالح. وتشير كتابات عدة أن ذلك هو المسجد.

وفيه المؤلف فصلان عن الأنبياء الذين يتنصرون إلى الدين السعيد ومنهم الذين إبراهيم وإسماعيل والذين جميعا السلام، وفيه تشتمل حاضرات عديدة أخرى من المؤمنين، وفيه اسم أصحابها ينصبت في أواخر في حاضرة عصرهم، ثم مملكة سبأ ومصر، وقد ذكر الأولى في القرن الأول الميلادي، وسورة كاملة تم تحصيلها، سورة سبأ، وفيه تشير إلى أسباب تضعيف قوتهم وانحطاطهم وترده إلى تعامل ذويهم وتكثر عليهم وأعراضها عن بعد الله وكفرهم، ما أدى إلى سطرته عليهم والانهيار فاحالوا عزمهم ذلًا وخضعهم جدا ثم كان الأخوة معهم في ذلك، وفيه تشتمل.

ولا يغفل المؤلف طبعاً سيرة «بلقيس» الملكة الشهيرة التي اُقرن معها بقصتها كما فعل سليمان كما زعموا في القرآن الكريم. وقد دخلت مع زهورها في دين سليمان وأسعجت له رب العالين بعد ما رأت قولها ما سمعت.

ويواصل المؤلف سرد التاريخ العثماني ويقفل عن ابن هشام في السيرة الأخيرة للعديد الصالحين فيميون وتلميذه عبدالله بن نافع اللذين دعا إلى طاعة الله المحمدية واستجاب عليها طاق كبير من أهل اليمن إلى أن وصلنا إلى الرسالة المحمدية التي كسبت أنصاراً عديدين من أهل اليمن

عُذِّبُوا وسُجِّلُوا في تَبْيِيتِ عَالَمٍ مَوْلِدٍ
الرَّسُولِ وَالْغُرَّةِ الرَّاشِدِينَ من سِجْدِهِ،
وَيُعْرَضُ لِعَظَمَةِ الْحَرَكَاتِ النَّسَبِيَّةِ
إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَالَمِيَّةِ وَأَنْ يَجِدَ بَعْضُهَا
يُخْفِي أَعْلَامًا وَمَعَانِيًا مُدَوِّيَةً، وَبَدَنَاتُهَا
عَنْ نَدَى اسْتِجَابَةِ الْإِيمَانِ الْعَمِيَّةِ
وَالْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالْهَادِيَّةِ
وَالْوَارِدِيَّةِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى يَصِلَ إِلَى
«الْهَادِيُون» كَمَا يَسَمِّيهِمْ وَنَتْمِ الْهَادِي
يُحْيِي بِمِنْ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ وَالْإِسْلَامِ
بِعَدَالَتِهِ بِمِنْ حِزْبَةِ الْإِمَامِ وَجَيْشِ مِنْ حِزْمَةِ
الْإِسْلَامِ إِدْمَحَ مِنْ وَجْهِ الْمُرْتَضَى الْإِمَامِ
وَسَلَّطَ الْدِينُ فَمِنْ الْإِمَامِ جَيْشِي حَقِيقَةِ الدِّينِ
وَأَسْرَفَتِ الْإِثْمَ سَعَتْ إِلَى تَوْحِيدِ الدِّينِ
وَحَتَّى وَصَلْنَا إِلَى مَرَحَلَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ
وَيُؤَدُّ الرِّوَايَةَ الْمَشْرُوعَةَ عَنِ عِدَالَتِهِ
الرَّوْثِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يَصُدُّهَا
صَالِحُ الْإِثْمِ يُسَمِّيهِهَا «الْمَوْلَفُ» الرَّئِيسِ
التَّخَرُّجِي لِلْمَنْ.

تكوين النهضة العربية

دمشق: وزارة الإعلام السورية ٢٠٠٦.
٢٢٠ صفحة



يلخص هذا الكتاب مشروعاً كاملاً
استمر لسنوات، مداره النهضة العربية
منذ بدايات القرن التاسع عشر وحتى
اليوم، ونشر في ثلاثة عشر مجلداً تحت
عنوان «قضايا وحوارات النهضة
العربية».

سعى المؤلف إلى تتبع مشكلات وقضايا عصر النهضة ومؤسساته، بتفكيك هذه المشكلات والقضايا وإعادة تركيبها من جديد لاكتشاف ما إذا كانت النهضة قد جرت فعلاً أم لا. وتحري أسباب الفشل والانتكاس إلى أن وصلت الأمور إلى ما لا إليه الحال.

أمرين كان الوعي بهما وراء كثير من القضايا التي أثارها المصلحون ورواد النهضة آنذاك هما: الخلف في الغرب الذي كان قد خطا خطوات واسعة في التقدم، والتساقط من العصر الزرعي إلى الصناعي، من المجتبع الريفي إلى المجتمع المدني، بما أشتمل عليه ذلك من بنى وهياكل قانونية وسياسية واقتصادية... إلخ. في مجتمعاتنا العربية لم يجد الأمر على قدر ذاته، لم تتحول المدن إلى مراكز صناعية تبتئس لشعاعاً تقنياً وحضارياً ونسهم في تحسين الحياة في الطبقة الوسطى، ولم تملكها

أوروبا، بقيت حوزتها لخيرات الري،
سأسمعت في إفقار وإبزازة إلى أقصى
مدى، وما هي أرق أن ينهش إلى
الحد بحثاً عن فريضة لتعيش، فزاد
الهم فقر وفقر، وتسوّعت المدن وعانت من
الزحمة فقر حاصرتها بالجريرة والعنف
حولتها إلى عشوائيات كبرى، بما تعنيه
العشوائيات من سلوك انحرافي وشذو
وقساد، وفقه هذا التحليل إلى تقديمه
المؤلف، فإن المنطقة العربية بأكملها، بريغها
ومذهنها، تنسحق إلى ما قبل العصر
الحديث، هالِك من محاولات النهج إلى
عصر ما بعد الحداثة. عصر الكمبيوتر
والانترنت وجرة الحداثة.

هذه البداية المرتبكة أنفكت على طبيعة الأفكار التي طرحها عبر عصر النهضة إثر احتكاكهم المباشر بالثقافة التي لم يكن يجرؤ على التفكير بالانفصال عن الدولة العثمانية - دولة الخلافة الإسلامية - وأقصى ما رآه هو حاجة الأمة الإسلامية إلى بعض العلوم المناسبات كأساس القاعدية للمجتمعات

المسألة، أي بعد الإطعام خطا ما جازوا أن
يعطوا ويؤمروا، ومثلهما خطا آخر
خطوات في الاتجاه ذاته، وكان لبعضهم
الجرة في طريقها لفرقة الانفصال عن
دولة العثمانية، فلهذا مفهوم الخلافة،
والشيخ علي عبد الرزاق ثمن
اجتهاده الذي ثمن إلهاماً سياسياً في
مجال إلزامنا - بل يقاضه هنا - هيئة
العلماء عقب صدور كتابه "الإسلام
وأصول الحكم"، الذي تجاوز به طروحات
سابقين من المعتمدين أمثال الأقباني
جميعاً، فبعدما كان يرى أن

تبارى مفكرون وصالحون في دبابات
الصينيين في استنساخ آقق الأزمة التي
أوح بسحلها بين العودة إلى الأصول
«سلفية»، والارتقاء في حضن الغرب
وصحاحاته «حديث»، أو التوفيق بين
الدعوتين كي لا نلقد ذاتنا في مواجهة
الأخر، وصدرت اتجاهات عديدة في الفكر
المؤلف في بعضها منها: «أزمة الفكر
العربي» لإسحق موسى الصني،
«أزمة التمدن العربي» محمد وفي،
«أزمة المجتمع العربي المعاصر» مذكر
عبدالحليم الطيب، «أزمة الضمير
العربي» لغالي شكرى و «أزمة الحرية في
عالمنا» لخالد محمد خالد. وغيرها.

وكان الرد الذي تبنته معظم الأنظمة العربية منذ الخمسينيات لتجاوز الأزمة راديكالياً ينجح إلى العنف الثوري بادعاء التسريع بالتحويلات الاجتماعية، وقد جرى ذلك في معظم الأحيان على حساب الحريات المدنية والسياسية للمواطنين.

عبر هذه الخلفية، التي تبدو قاسية ومتشائمة، لكنها علمية وموثقة، يتتبع المؤلف تكوين المجتمع الجديد، من حيث تطور المدينة ونشوء النقابات والحركات العمالية ومؤسسات المجتمع المدني والمجالس النيابية والوزارات والقوانين

والاستاذين والأحزاب السياسية، وكذلك الدور الذي لعبته المؤسسات الثقافية التي تم استحداثها وإسهامات المطابع وتوسيع دائرة الصحف والمجلات حتى أصبحت تعرض للأخبار المحلية والوطنية، فضلاً عن توسيع دائرة القومية الاشتراكية والعلمانية، وقضايا المرأة وحريات الإنسان، ويقدم بأشوارها للأوضاع الاجتماعية ويبرز عن أوجه جديدة من الثقافة والحداثة الجديدة في الشعر والفن التشكيلي والرواية والنقد، ليتلخّص من ذلك أنه إن النهضة العربية هي عملية تغيير مؤسسي ثقافي تاريخي شامل، وليست مجرد أفكار فردية وزعت في ساحل الزحج العربي، بل هي عملية عريضة السواحل المؤلمة: هل ثمة نهضة عربية فعلاً؟

الحكمة الضائعة

عبد الستار إبراهيم
الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٢، ٢٢٧ صفحة



ربما لأن الإبداع يتطلب قدرات شخصية وذنية خارقة، ظهرت نظريات واتجاهات فكرية تفسر سلوك المبدعين بالشذوذ والاضطراب، لكن هذا الكتاب يسعى إلى إثبات العكس وتأكيد أن الإبداع لا يعيش بمعزل عن الصحة النفسية وتكامل الشخصية.

النمذجة عن الاستغراب النفسي، ونماذج لعباقرة عانوا اضطرابات نفسية بينهم العقاد وتشيرشل ولينكولن وروزفلت وصالح عبد الصبور ومي زيادة وعبد الرحمن شكرى وبكاسكو ورمبرانت وفان جوخ ومونتسارت وبيتهوفن وعشرات غيرهم من الفنانين والأدباء والناسيين.

وقد سعى كثير من المبدعين منذ القرن السادس عشر والسابع عشر إلى إثبات أن العبقرية تنشر بشكلًا من أشكال المرض النفسي والجون، هذا ما فعله لامارتين وبيرتون وجرزوز، وزاد هذا الاتجاه رسوخًا مع نظريات فرويد على التحليل النفسي التي سار على نهجها عشرات المحللين النفسيين بعده، وقد نظى فرويد إلى المبدع كإنسان شديد علىه الكآبة وتزقه الإحباطات وعدم الانسجام مع العالم من حوله، ويعجز عن إشباع

موجزة

سنة ١٩٤٨، فالدواعي الفلاني ١٩٥٦، تم حرب يونيو ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف وأخيراً حرب أكتوبر ١٩٧٣. وهو يبدأ بدراسة عن نشأة الصراع العربي الإسرائيلي، ومسرح الحروب العربية الحديثة، ويشير إلى أن إنشاء دولة إسرائيل وزرعها في المنطقة وضع العرب أمام خيارين: إما القبول بتفوقها الاقتصادي والعسكري والسياسي، أو إغراق المنطقة في سلسلة من الحروب والصراعات التي من شأنها أن تلتفت وحدها، وهما الخياران اللذان يتأرجح بينهما الصراع حتى اليوم.

ويشير الفريق واصل إلى أن حرب ١٩٤٨ أوضحت دور قصور رؤية القيادة السياسية والعسكرية العربية على وضع التصور الصحيح للحرب ووضع الخطط والبدائل لمواجهة التحديات المحتملة.

كما يشير - بعد تحليل عسكري وسياسي - إلى ما أبرزته حرب ١٩٥٦ من تأثير القرار السياسي على القرار العسكري، حيث كان تأخير قبول اللواء الثاني مشاة إلى شرق القناة سبباً في تعرض لغارات الطيران الفرنسي المعاون للواء الإسرائيلي.

وعرض المؤلف تفصيلاً لسير أحداث حرب يونيو ١٩٦٧، ويتساءل في النهاية عما كان يمكن أن تكون نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ لو لم يصدر التمشير - بعد الحكم عامر قرار الانسحاب، وتسكت التكتيكات والخطط والوحدات وما وقعها - وأدى الفداء وجهيه في الحركة، «هل كانت النتيجة ستكون هي ما سجله التاريخ على الجيش المصري أن كانت ستكون مثل ما سجله التاريخ للواء ١١ مدرع مستقل، وهو اللواء الذي حقق بقيادة السريحي واصل واحداً من الانتصارات القليلة في هذه الحرب.

ثم نصل إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ والتي يلعب لها الفريق واصل باباً مستقلاً شارحاً مقدماتها واستخداماتها للحالة والتحالفات الدولية قبلها ولتأثيرها وحالة الجيش على الجانبين، ثم سير أحداثها وصولاً إلى الضربة المضادة الإسرائيلية وبعدها في مسار الحرب وحدوث ما أصبح عليه تصنيفه بشفرة «الفرسوار»، والتي نجحت فيها القوات الإسرائيلية في نصيب كمين اللواء ٢٥ مدرع مستقل، ويرى صاحب الأفكار أنه لو سمح للواء ٢٥ مدرع بتأخير لتدمير قوات العدو - وهو العليم بمشاكله عند المنقلة والتي اشتبك فيها مع قوات العدو في معركة كبدية فيها خسائر فادحة - لكنت النتيجة مختلفة تماماً.

وما أن صدرت قرارات وقف إطلاق النار وبدأت عمليات الانسحاب بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية، حتى بدأ الطرفان يشتران أو تهماتهما لكسب مزيد من الإحباط قبل وصول القبول الدولية، غير أن إسرائيل كانت تستهدف الاستيلاء على مدينة السويس لأسباب

مع شيوع الحرمان والفقر بعيداً عن المساواة والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان.

ويؤكد المفكر السوري عبد الله عبد الدائم أن الثقافة العربية الإسلامية منذ تنجنت منذ أكثر من قرن في صنع حدثاتها لأسباب أهمها عدم الإدراك الواضح للفروق بين التحديث والتخريب كما أن ازدهار هذه الثقافة الذي يمتد إلى بداية ظهور الإسلام يحدث نوعاً من الانتماء يصبح التجديد في إطاره أصعب مثلاً.

أما أمين عام المنتدى العربي عبد الله بلقزيز فيرى في هذا المجال أن المطور استعمار حول الدفع التي أطلقتها الانتفاضة وعدم تجديد مكتسباتها التوجيهية التصحيحية من هنا استمارة إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية وهما مهتان مرتبطتان.

ويتقدم وليد خوري المخصص في قضايا الخطط المساع في تدغدغ الكثيرين من الذين يتحدون عن الخط العربي وكأنه حقيقة ثابتة مشيراً إلى أن وجود الخط بكميات وفيرة في الدول العربية لا يعني أن هناك نطقاً عربياً نرس في ضوءه الخطط الاقتصادية والمصالح الإقليمية المشتركة.

□ □ □

الصراع العربي الإسرائيلي
عبدالمعزم واصل
القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، ٢٠٠٢، ١٠٠ صفحات

التراث العربي الإسرائيلي



من مذكرات ونكبات
الشيخ عبد الحفيظ واصل

شارك اللواء عبدالمعزم واصل في حرب يونيو ١٩٦٧ بوصفه قائداً لأحد الأوامر المدرعة، وخاضت وحده واحدة من المعارك القليلة الناجحة ضد الجيش الإسرائيلي. وفي نوفمبر ١٩٧٠ تولى قيادة الجيش الثالث الميداني، وشارك به في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وانتخب خدماً في عام ١٩٧٤ كأحد لوزر الدفاع ورئيساً للجنة لغتشر القوات المسلحة، ليتقدم بعد ذلك عدداً من الوظائف العسكرية، محافظاً لسوهاج ثم محافظاً للشريعة. الكتاب يضم مذكراته ونكباته في الحياة زمنياً يتطرق لصف القرن، شارك خلالها في حروب ومواقع عدة، بدءاً من الحرب العالمية الثانية ثم حرب فلسطين

العرب... إلى أين؟

مجموعة مؤلفين
بيروت: مركز دراسات الوحدة الوطنية، ٢٠٠٢، ٥٢٨ صفحة



يلقي هذا الكتاب أضواءً كاشفة على جوانب محددة في الواقع العربي الراهن من منظور استشراف الاحتمالات المرتبطة بتطور وخاصة في المستقبل المنظور. ويحسب الكتاب على أنه عشر فصلاً مقسمة على أربعة أقسام رئيسية، يتناول القسم الأول منها مجموعة من القضايا القومية الأمام حول نهضة الأمة ومتغيرات الخطط والثقافة وتقاليد المعلومات، ويتبع القسم الثاني الانتفاضة الفلسطينية التي تجرت في ٢٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠ وإتزال في وقتونها، ويعرض القسم الثالث لنسق التحول الديمقراطي الجاري في الوطن العربي، سواء في أقطار عربية معينة، أو في منظور فئات اجتماعية معينة، أو في ظل انعكاسات مسبيرة التسوية السياسية للصراع العربي - الإسرائيلي. أما القسم الرابع فيركز على متابعة حالات محددة، وبخاصة حالة الجزائر وحالة الصومال، فخصائص الضوء في الحالة الأولى على دور الجيش والدولة وتفاعلات المجتمع المدني في الجزائر، ويبحث في حالة الصومال شكل واداة جديدة للدولة فيها.

وقد شارك في إضوئه كل من: أسامة الخولي وأسامة عبد الرحمن وإيمان إبراهيم الدسوقي وإيثار سلمان النجار ونداء فؤاد عبد الله وحسين توفيق إبراهيم وسعد غائب ياسين وعبد الله عبد الدايم وعبد الله بلقزيز وفواز جريس ومحمد الميلي ومعن بشور وبغدي الزوي وميلاء سالم الشامي ونابغ عبيد ونجوى أمين القوال وعادى حسن ووليد خوري وويل كرفورف. ويحدثت الحروب القومية اللبنانية مع يشور عن عروية جديدة يتأزم بوروما مع مقاومة النظام العالي الجديد، وتعرض على الاستفادة من التجارب والخبرات السابقة للحركة القومية العربية، بينما يتناول الاقتصادي العراقي هادي حسن ما يسميه «دولة الرغاب العربية»، مستبعداً أن تتقلد هذه الأخيرة من حالة الدولة في الرغاب في ظل فرض النخب الحاكمة نمط شكلي للديمقراطية يفلتون حوله متى يشاهون

حاجاته الرئيسية، ما يدفعه إلى الاتجاه نحو الإبداع كي يعوض به ما يفقده في الواقع. وشجع على شيوع هذه الأفكار سلوك بعض المبدعين الشباب والمضطرب من ناحية، والخطأ في فهم طبيعة المرض النفسي من ناحية ثانية، وإقامة علاقات سببية بين وبين الإبداع دون سند علمي حقيقي.

ومع التطور في مجال الدراسات النفسية ظهر خطأ هذه التصورات، إذ زادت أهمية التفكير العلمي في علم النفس الحديث، وتقلصت إلى حد كبير الأحكام التي تنسب بالعمومية دونما توفر براهين كافية، وطلو العلماء كثيراً من التفتيات والمناهج التجريبية التي يبحث في السلوك الإنساني وتنبت عن الدوافع النفسية للإبداع وما الذي يعيقها أو يسير ظهورها.

وقد تتبع المؤلف في كتابه تبايرين رئيسيين من تيارات دراسة العلاقة بين الإبداع والشخصية، استند الأول منهما إلى التطور في حركة القياس النفسي في علم النفس، وبفضل هذا التباير أصبح من الممكن وضع مقاييس للإبداع في شتى مجالاته، تبيان ما ينشعب المبدعين من خصائص شخصية مميزة أو صريحة.

أما التباير الثاني فقد استند إلى دراسة السير الشخصية للمبدعين، وهو اتجاه تقليدي، إلا أن للمراجع التي استخدمت في مجال الدراسات النفسية جعلته أكثر انضباطاً ودية، وانتشر المؤلف إلى عدة استنتاجات أهمها: إنه لا صفة للفرضية التي ترى أن الإبداع يعانى مرضاً عقلياً أو نفسياً، وما يتسبب به بعض المبدعين من غرابة في التصرفات والسلوك وشكواهم من الخلق والاختلال، فإن هذه الاضطرابات لا تصل إلى درجة التشويش الذهني والاضطراب العقلي الذي يتسم به عادة المرضى النفسيون والعقليون.

ويشير المؤلف إلى أن المبدعين يتميزون بخصائص إيجابية لا تحدها عند المجتمع العاديين، منها أنهم مستقلون في أفكارهم وأرائهم، وأن استجاباتهم للأفكار الجديدة أكثر من غيرهم.

كما يشير إلى نتيجة بالغة الأهمية انتهجتها دراسة سير المبدعين الذين وصفهم البعض بالاضطراب والجنون، وهي أن عمليات الإبداع والخلق الفني والإنتاج المميز تتم وهم في أحسن حالاتهم، وفي الفترات التي خلقت فيها حياتهم من الاضطراب، وقل إنتاجهم وعلاؤهم في الفترات التي عاشوا فيها اضطراباً، ما ينتج الحمية التي انتهت إليها المؤلف أيضاً، أن نسب الاضطراب النفسي والعقلي تزيد بين الفنانين والمثليين أكثر منه بين العلماء والساسة، كما أن المبدعين الذين يعانون اضطرابات نفسية كانوا في معظمهم مدعي خور أو عقائري أو أنهم وروا هذه الاضرار عن آبائهم، بما يعني أن اضطراباتهم النفسية يمكن ردّها إلى أمور لا صلة لها بالإبداع.

□ □ □

عروض موجزة

كتب أجنبية

Napoleon And Wellington
(تايلور وويلنتون)
Andrew Roberts
London, Phoenix press, £ 9.99



ما أن انتهت معركة وترولو الشهيرة في بدايات القرن التاسع عشر بين إنجلترا وفرنسا حتى بدأ عراك المؤرخين حول من هو الفصل فاشد في المعركة. وويلنتون الإنجليزي الذي فاز بالمعركة أم نابليون إمبراطور فرنسا الذي خسر وكانت نهايته.

وبالنسبة لكل المؤرخين نوى الثقافة الفرنسية أو المتعاطفين معها فإن نابليون يبقى الأضطر والأذى رغم خسارته في المعركة.. وهناك عبارة شهيرة للكاتب الفرنسي الشهير فيكتور هوجو تقول: «إن ويلنتون هو مهندس أو فني حرب، أما نابليون فهو مايكل أنجلو حرب، وأما نابليون الذي فاز الرأي لا يتفق ورأي المعلقين والمؤرخين البريطانيين، وعلى سبيل المثال وصف المؤرخون الإنجليز ويلنتون بأنه: أمين، مخلص، موقوف به، بينما نابليون مخادع، فني مخلص وغير أخلاقي.

وفي حقل الأقسام هذا يضع المؤرخ الإنجليزي الشاب أندرو روبرتس، الذي ألف عديداً من كتب عن رجال دولة بريطانيا بين كبار من قبل تشرشل ولورد سالزبوري وغيرهما، نفسه في هذا الحقل ليدلي هو الآخر بدوافع وهو يركز في الكتاب على العلاقة بين نابليون وويلنتون رغم أنه لم يتلقا على الإطلاق جيشاً لوجي. وتلك بالفعل معضلة كبيرة لأي مؤرخ، كيف يمكن بناء كتاب على فرضية ضعيفة، لكن روبرتس تغلب على تلك المشكلة بتناول المراسلات بينهما.. وإعطائنا كل منها من الأخر.. ويصل روبرتس إلى أن الاستنتاجات التي أتت عنك ما يقول المؤرخون من تباين كبير فيما بينهم فويلنتون قاس متجرب القلب مثل نابليون تماماً، وضرب المؤرخ أمثلة كثيرة منها أن ضابطين أحدهما سعى معاملة مؤرخ ويلنتون لها.

ويبقى بعد ذلك أن يؤرخ ويلنتون. يكاد يكون شخصية تاريخية لا يتكلمها سوى البريطانيين الذين يعتبرونه من أعينهم المؤرخين إن لم يكن البطل الأكبر، أما نابليون قد امتدت شهرته ومازال

ويلاحظ المؤلف أن كتاباته طه حسين في هذه الفترة فعلاً كانت ملكة ناقصة بقلب عليها الطابع التجريبي، وهي السمة التي أكسبتها أهميتها من وجهة نظر المؤلف. كونها تكشف عن صاحبها وهو في طور التكوين.

يضم الباب الأول مقالات طه حسين عن الأثر والجماة والتي يمكن اعتبارها نهجاً للأثر الرئيسية التي تناولت تاريخ المعركة والمعروف أن طه حسين انتقد نظام التعليم الأثري في مراحل مختلفة من حياته، والمغالطات اللتان احتارهما المؤلف كتبهما طه حسين سنة ١٩١٢ أي بعد أن انقطع تماماً عن الدراسة الأزهرية. وهما إلى جانب أنها تتناول رأيه في هذا المؤسسة العريقة. تتصلان ببعضاً من نضج أفكاره وخصوصية أسلوبه الذي مرّ به فيما بعد، فضلاً عن رأيه الحاسم في أداء الأثر، الذي اعتبره مقصراً في أداء رسالته من ناحيتين: الفكر التي يخلط فيه العقل بالخرافة، واللغة المعقدة التي تصرف النظر عن الفكر والمحتوى.

ويرى المؤلف أن الطريقة التي استخدمها طه حسين في التعبير عن أفكاره في ذاتها التي تلورت فيما بعد في سيرته الشهيرة «الأيام»، أما حديث طه حسين عن الجامعة والنهضة في مقالته الثمين نشرها في العام ١٩١٣، فيستفيد من المثل العديدة التي حددها مؤسسوها، التي تستند أساساً إلى حرية الفكر والتعبير قبل تحصيل العلوم.

وتشير كتابات طه حسين المبكرة تلك إلى وقوعه تحت تأثير أحمد لطفي السيد من ناحية والشيوخ عبدالعزيز جوايش من ناحية ثانية على ما بينهما من خلاف، فأول صاحب نزعة إصلاحية تدريجية فتح أفقاً رحباً من المعارف وعلّمه لطفه حسين ما كان له أن يعرفه وحده، والثاني صاحب نزعة ثورية خطابية مناهضة للاحتلال ولاترى إصلاحاً إلا بعد حره وولائه عن البلاد.

وتشير المقالات أيضاً إلى وقوع طه حسين لفترة من الوقت تحت تأثير أفكار الأيام صاحب عهده، خاصة ما يتصل منها بإصلاح الأثر وتطوير الدراسة فيه، لكنه في فترة تالية انصرف عن تلك الأفكار، واتجه نحو القول بضرورة الفصل بين الدين والعقل.

وفي جانب مؤلف هذه ذات طه حسين خصوصاً في منهجه التاريخي لدراسة الأدب بإسنادته من المستشرقين خصوصاً «تايلور»، وهو ما يؤكد المؤلف في دراسته.

ما يتنبه إليه الكاتب بين السطور أحياناً وبصرامة في أغلب الأحيان، هو أن هذه الكتابات المبكرة كانت الثروة التي شكلت منها كتابات وأفكار طه حسين في مراحل حياته التالية، وأنه استطاع أن يكشف ذاته في وقت مبكر، وإن بظلال وفي أفكاره الإنشائية رغم تعدد محاولات.

عديدة يذكرها صاحب المذكرات. لكن الجيش الثالث الهادي وشعب السويس البطل كان لهما رأي آخر، فلم يمتدأ أبداً تحقيق هدفه، ويشعر صاحب المذكرات إلى خيالاته في وجهات النظر بين القيادات العليا في الجيش حول كيفية الدفاع عن مدينة السويس، غير أن الأمر انتهى ببحر العدو وانسحابه من المدينة وبدأت الجهود الدبلوماسية لفصل القوات وما تلاها، لينتهي الأمر بجلاء القوات الإسرائيلية الكامل عن سيناء وتحرير كامل القرب المصري في ٢٥ أبريل ١٩٨٢.

طه حسين.. الكتابات الأولى
عبد الرشيد سائق الحمودي
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢، ٢٦٢ صفحة



يضم الكتاب مجموعة من المقالات التي نشرها طه حسين في الفترة التي سبقت حصوله على الدكتوراة في عام ١٩١٤، بالإضافة إلى مقاله من حلقين عن النشأة.

ويشير المؤلف إلى أن هذه الفترة كانت مختلفة بالأحداث والتطورات الكبرى. فقد التقى بأحمد لطفي السيد في عام ١٩٠٧ وأصبح من يومها أحد تلامذته المقربين، وبدأ من عام ١٩٠٨ بنشر مقالاته في صحيفة الجريدة التي كان يرأس تحريرها. ثم تعرف على الشيخ عبدالعزيز جوايش الذي احتلّ بمقالاته في صحف الحزب الوطني، وفي هذه السن انتدق طه حسين بالجامعة الأهلية إلى جانب استمراره في دراسته الأزهرية. ومن الشائع - كما يقول المؤلف - أن طه حسين نشر بدأ من عام ١٩٠٩ سلسلة «الفتاوى» من المقالات هاجم فيها كتاب «الفتاوى» للمنطوي وأعرب فيما بعد عن عدمه لتكثيها. وقد اعتاده طه حسين في بداية كتاباته أن يهاجم المروقيين من أدباء عصره طلباً للشهرة من أعمال حافظ إبراهيم ومصطفى صادق الرافعي وبرسبند رضا وعبد الرحمن شكري والمنطوي بطبيعة الحال. لكن بعض كتاباته في هذه الفترة كانت محكمة البناء إيجابية وسجالية أيضاً. لكن صاحبها لم يجمعها في كتاب لأنه اعتبرها أقل من حيث المستوى وإحكام البناء مما اعتاده بعد حصوله على الدكتوراة عن أبي العلاء.

هناك في أماكن كثيرة من العالم من يعتبرونه عقيدة نادرة لم يجد التاريخ كثيراً يملها ليس فقط على الصعيد العسكري ولكن على صعيد سن القوانين والتشريع والرؤية اليهودية التي حاول حكام آخرون وقادة بعد ذلك تقليدها.

□ □ □

The Jews from 1656 to 2000
(يهود بريطانيا من ١٦٥٦ حتى عام ٢٠٠٠)

Todd M. Endelman
University of California Press,
347PP, £ 37.95, 2002



رغم أن عهدهم لا يزيد على ٢٠٠ ألف شخص حالياً إلا أن اليهود في بريطانيا يشارسون دوراً متميزاً للغاية فيها. فهناك العديد من المسؤولين والكهنة يهود أو من أصول يهودية، كما أن هناك مؤسسات كثيرة لليهود في بريطانيا، والتأييد البريطاني لإسرائيل وسياساتها في الشرق الأوسط واضح للجان.

لغداً اليهود في إنجلترا في العصور الوسطى لكن صدر قرار بفرهم عام ١٢٩٠، وبالطبع يمكن تصور مدى العداء لليهود الذي كان منتشراً في أوروبا كلها في الوقت الذي عاش فيه اليهود حياة آمنة مطمئنة في العالم الإسلامي آنذاك، وقد أعيد إدخال اليهود إلى بريطانيا مرة أخرى في القرن السابع عشر، ومرت أجيال بينهم وبين المجتمع البريطاني بمراحل عديدة وطويلة.

ومع مرور الوقت اكتسب اليهود نوعاً كبيراً خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين منهم حياة أمان وشركات وأصبح التأييد اليهودي خاصة في مجال البنوك وأيضاً بشكل كبير. ومؤلف الكتاب اجتماعي ولذلك فهو يركز على مدى التوقع الاجتماعي ومشاهدة اليهود في أنشطة المجتمع اليهودي بحيث لم يعودوا أقلية متعزلة تعيش على حافة المجتمع، وكذلك كان هناك العلماء وأساتذة الجامعات وقبائل الأحرار والزوار والمثقفون والقانون من اليهود في بريطانيا. إن سر نجاح اليهود في بريطانيا - حسب بعض المفكرين - هو أنهم وضعوا يهوديتهم تحت قدمهم وعاشوا أو حاولوا العيش كما لو كانوا بريطانيين تماماً علاوة على أن المجتمع البريطاني فلتوح

عروض موجزة

ويقول المؤلفان أن ليفنجستون لديه سلطات كثيرة وموارد طيبة لكي يقوم بتفكيك طموحات سكان المدينة وحل مشاكلها وأن عليه أن يستخدم هذه السلطات والممارز بدلاً من أن يظل يشكو من أن حكومة بلير تحاول التضييق عليه وإفشال مهمته.

□ □ □

The Shade of Swords

M.K.Akbar

Routledge, 2002, PP 272, £ 16.99

(ظل السيف)



على أحداث ١١ سبتمبر مباشرة، أصبحت كلمة الجهاد العربية عالمية وتحدث عنها الساسة والفيلسوف والمصنفون فساء البعض قاءاً اليها مثل سلفيسير بريلسكوي رئيس وزراء إيطاليا الذي اعتبرها (كلمة الجهاد) مثلاً للتخلف الذي يعيشه العالم الإسلامي حسب ادعائه، وبالنسبة لآخرين فقد كانت الكلمة بمثابة تحدٍّ لغوي كبير لماذا تعنى كلمة الجهاد حقاً؟ وخلال أيام ظهرت معان كثيرة على الإنترنت للكلمة فهي تعنى جهاد أو مجاهدة النفس أو المأثرة ومعاني كثيرة أخرى جذابة حتى للغرب لكن المشكلة أن هناك من أخذوا الكلمة في «الحرب المقدسة»، وهذا الكتاب «ظل السيف» ظل السيف، هذا صفحي هندي مسلم هو ام. كى. أكبر وهو يقوم في الكتاب برحلة عبر التاريخ الإسلامي وبالطبع ينتقى ما يحلو له ويبحث كثيراً عن الإسلام في الهند ويطلق بعض جازمات يقول أن المسلمين الجيوشيين الذين يتبعون بالديمقراطية حالياً هم الذين يعيشون في الهند، دون أن يدرك صحة هذا الحكم، فهناك مسلمون في مناطق أخرى يتمتعون بديمقراطية أيضاً. ثم يمر المؤلف بدور الكرام على حوادث كثيرة في تاريخ الإسلام مثل حركات التمرد والخوارج وغيرها.

□ □ □

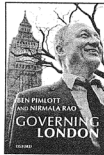
انارت الاعتماد في كأس العالم الأخيرة بكوريا واليابان، أما هذه التساؤلات والقضايا الجادة فاستغل على الأرجح مسألة تهم المثقفين وقاد التعتب لفظ.

□ □ □

Governing London

(حكم لندن)

Bin pimlott and Nirmala Rao
Oxford, 208PP, £ 15.99, 2002



يتناول هذا الكتاب التجربة الجديدة التي سرت بها لندن عاصمة المملكة المتحدة خلال السنوات القليلة الماضية والتي بلغت ذروتها بانتخاب لندن ومجلس تشريعي لها في يونيو من عام ٢٠٠٠، وذلك بعد مئات السنين من عدم وجود حاكم منتخب للمدينة التي شهدت التطور الديمقراطي في بريطانيا التي تعد أقدم دولة ديمقراطية في العالم حالياً. ويعيد المؤلفان الكتاب يد بليرميت ونيرمالارو، وكلاهما استاذ في جامعة لندن، رواية قصة مشروع القانون الذي تقدم به حكومة العمال البريطانية لتغيير نظام إدارة لندن وانتخاب عمدة لها من خلال الاقتراع المباشر. ويدور أفعال الأحزاب السياسية البريطانية على هذا المشروع إلى أن وافق البرلمان عليه، ويتحدث المؤلفان أيضاً عن نظم إدارة المدن ديمقراطياً في عديد من المدن في العالم. إن لندن كانت إحدى مدن جديدة يتنخب سكانها عمدة لها بعد سبعمائة من عديد أسهرها نيويورك وباريس. وقد بدأ بعض السياسيين البريطانيين يجادلون بأن لندن لها وضع خاص وأن عدم وجود عمدة منتخب لها لا يعني أن الخدمات غير متوفرة أو أن آراء السكان ليست مأخوذة في الاعتبار إلا أن هذه الآراء أصبحت حالياً في ظل التاريخ.

Learning To Fly

(تعلم الطيران)

Victoria Beckham
Penguin, 2002, 528PP, £ 6.99



تحظى كتب نجوم المجتمع والفنانين ونجوم الكرة والرياضة في جميع أنحاء العالم بمبيعات واسعة النطاق ويحتل كثير منها مراكز متقدمة ضمن قائمة أعلى المبيعات في المكتبات الشيرة. وتعد فيكتوريا بيكام واحدة من نجوم الفن والمجتمع في بريطانيا فهي علاوة على كونها عضوة بارزة في فرقة «سبايس جيرلز» الغنية الشهيرة فإنها بيكام لاعب نادي مانشستر يونايتد، وكاتبة المنتخب الإنجليزي لكرة القدم، وذلك استغلالاً للجماهير باهتمام كبير بكتابتها وهو يعاون «تعلم الطيران» حيث تتناول سيرة حياتها، لكنها تتحدث عن أمور صغيرة خاصة ليس من المرجح أن تكون مقام اهتمام واسع لكن بالنظر إلى حجم المبيعات كما سبق القول فإنه يبدو أن الجماهير تتطلع إلى معرفة هذه الأمور الصغيرة عن نفسها الفصل أو نجمتها المفضلة. فهي تتحدث عن ظهور حب الشباب في وجهها وعن وزنها ومحاولاتها الحفاظ على قوام نحيف. وكذلك عدم شعورها بالامكان وتحدث فيكتوريا عن كل هذه الكنايات إن صح هذا التعبير بشكل بسيط ودون إبراز للثنا.

ورغم الحديث عن أشياء خاصة بالنسبة لها فإنها تلمت أن لا تنطرق إلى موضوعات مهمة وربما تكون جذابة فهي لم تشرح مثلاً أسرار نجاح فرقها التي تعدت من أشهر الفرق الفنية في العالم وليس في بريطانيا فقط وكيف تغلبت تلك الفرق على الخلافات التي مرت بها ولم تتحدث أيضاً عن تسلط الرغبة في الشهرة بعد التهدييات الكثيرة بالقل لها. والعلاقة بينها وبين وسائل الإعلام ودور الإعلام في الترويج لها.

ولكن هل القارئ العادي الذي يقبل على حلات فرقة سبايس جيرلز وعلى شرائط الفيديو الخاصة بها سوف تستويه مثل هذه القضايا الشائكة. إن هذا المؤلف قد استمتع بحديث فيكتوريا الخاصة عن حياتها وعلاقاتها ومصطف الشعر الخاص بها وحلاتها وتسريرة شعر زوجها ديفيد بيكام التي

□ □ □

وقادر على استيعاب الاقليات دون أن يجبرها على أن تؤيد فيه كما هو الأمر في مجتمعات أخرى.

The other Face of America
chronicles of the Immigrants
shaping our Future

(الوجه الآخر لأمريكا)

Jorge Ramos
Rayo, 252PP, \$ 24.95, 2002



مؤلف هذا الكتاب صحفي مكسيكي عاش أكثر من عشرين عاماً في الولايات المتحدة وفاز بجائزة «إيمي» للصحافة، وهو يعتبر نفسه صوت من لا صوت لهم. ومع أن هذه الحالة المهاجرين من أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة. ويتحدث راموس في كتابه عن التمييز الذي يعانيه هؤلاء المهاجرون خاصة غير الشرعيين منهم، ويبدو الكتاب في عين قاربه كما هو كان العمال ينقسم إلى «بيض» وهم الأمريكيون ثم أصحاب البشرة البنية أي هؤلاء المهاجرين من أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة ويصف المؤلف المهاجرين غير الشرعيين بأنهم اناس شجعان يعاونون من تمييز دائم من جانب السلطات الأمريكية التي قررت أن تعطي ظهرا لهم. ويقدم راموس أمثلة كثيرة للمعاملة العنصرية التي يواجهها أصحاب البشرة البنية في أمريكا.

ويكتب المؤلف في ٧ فصلات قصير، بعشرات القصص والرسائل والشكاوى التي تعبر عن حال المهاجرين غير الشرعيين ومن بين ذلك رسالة يعتد بها لحافة مكسيكية إلى الرئيس السابق بيل كلينتون عندما كان في السلطة تقول له فيها أن أسرتها على وشك أن يتم ترحيلها من الأراضي الأمريكية لأن التغيرات الأمريكية معادية للمهاجرين غير الشرعيين.

ورغم صدور الكتاب خلال العام الحالي إلا أن مصادته، وهي عبارة عن مقالات وتقارير كتبها المؤلف، تعود إلى عام ٢٠٠٠ أي أنها كانت قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١. الأمر الذي يشير إلى أن المؤلف لو أعاد النظر مرة أخرى لوجد أنه يتعين عليه تعديلها فقد أصبحت قوانين وإجراءات الهجرة إلى الولايات المتحدة أشد صعوبة عما كان عليه الأمر من قبل.

□ □ □

Alamein
(العلمين)

Jon Latimer
J Murray, 2002, 411PP., \$ 25.00

قال ونستون تشرشل عن معركة العلمين التي دارت في صحراء مصر عام ١٩٤٢ أن قبلها لم تعرف بريطانيا طعم النصر ويعدّها لم تعرف الهزيمة. ومناسبة الذكرى الستين لهذه المعركة الفاصلة في تاريخ الحرب العالمية الثانية ظهرت عدة كتب ودراسات تتناول أبعاد المعركة، من بينها هذا الكتاب الذي يكشف مؤلفه من خلال مصادر المادية أن الجنرال روميل كان يخطط لتوسيع أهداف حملته لتشمل القاهرة وقناة السويس متجاوزاً بذلك الأوامر الصادرة إليه. ويتناول الكتاب الصعوبات التي واجهت الفكر المصري وفصول المعركة، كما يتعرض لخبرات الرجال الذين شاركوا في القتال من بريطانيين وأستراليين وهنود وفرنسيين وإيطاليين... الخ.

رويات***

John Motovalli
Viking 2002, 336PP., \$ 26.95

يتركز الجانب الأكبر من الكتاب على تجربة شركة «تاتو وارثر» في التواجد على شبكة الإنترنت والأطباء التي ارتكبتها في علاقاتها مع شركة «امريكا أون لاين» التي اندمجت معها عام ٢٠٠٠.

تاريخ***

الأهرام. ديوان الحياة المعاصرة
يوان ليب رزق

القاهرة: مركز تاريخ الأهرام، ٢٠٠٢
بدأ المؤلف هذه السلسلة منذ سنوات، حيث يقدم دراسة تحليلية لما نشرته جريدة الأهرام من مقالات في الستين الأولى من القرن، من أخبار ومسائل وتحليلات وإعلانات، وحتى ما اشتمل عليه أبواب الاجتماعيات والولايات وغيرها. بما يعكس أن يعطي صورة عامة عن مصر في تلك الفترة، وهذا الكتاب هو الجزء الأول من القسم الرابع من السلسلة، وقد تناولت الأقسام السابقة أحوال مصر منذ عام ١٨٧٦ وحتى ١٩٠٠.

الفتح الإسلامي للفلسطينية

نيقولا بارباري
ترجمة: حاتم عبد الرحمن الطحاري
القاهرة: دار عين للدراسات والنشر، ٢٠٠٢
يمثل فتح المسلمين للفلسطينية مفارقة تاريخية، إذ في الوقت الذي فقد فيه المسلمون قاعدة مهمة لهم في الأندلس (فقرصن غر أروبا)، إلا بهم يفقدون قاعدة في شرق أوروبا، وعلى نفيها المسلمون في الفلسطينية التي فتحها المسلمون في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، والتي صارت عاصمة الإسلام لعدة قرون.

قصة الحضارة الضرعونية

أحمد عثمان
القاهرة: مكتبة الشرق، ٢٠٠٢
يروي الكاتب في صفحات قصة الحضارة المصرية القديمة منذ فجر التاريخ وحتى عصر بناي الأهرامات، ويشير إلى الدعم الأساسي التي قامت عليها هذه الحضارة، والركائز الروحية والمادية التي معتنها من احتلال موقع الحضارة وسط الحضارات المعاصرة لها.

مدرسة الفنون والصناعات الإسلامية
بطرانس على مادة عام

تحرير: عماد جدير
طرانس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٢
يعرض الكتاب لتاريخ ودور واحدة من أعرق المدارس في ليبيا، والتي كانت قلعة من قلاع المقاومة ضد الاستعمار الإيطالي، وعلى جدرانها عُكِب الفاضلون وسالت مداوم الزكية.

الكتاب هو نتاج تعديل الكتاب الرابع من قانون المرافعات الخاص بالأحوال الشخصية، والذي يبالغ كثيرًا من الخل في العلاقة الزوجية الناتج عن استبعاد الطرف الأقوى (الرجل) بما يتبنيه له القانون، ومسائل الأحوال الشخصية صارت مهمة للغاية خصوصًا بعد إقرار قانون الخلع وبدء العمل به.

قرية الزوايا

عواطف عبدالرحمن
القاهرة: مركز القسطا للدراسات والاستشارات، ٢٠٠٢

دراسة من واحدة من القرى القابلية في عمق صعيد مصر، وهي ناتية قرية المؤلف في استاذة في كلية الإعلام، وهي تعني بالذات بأوضاع المرأة في هذه القرية وكيفية تعاملها مع وسائل الإعلام وكيف تعاملت وسائل الإعلام خصوصًا للتلفزيون معها، لتكشف بيساطة عن التلفزيون لا يعلم شيئًا عن الريف وأن البرامج الموجهة التي يقدمها والبرامج التي يبنيها منبئة الصلة بالواقع.

Below the Bredline

(تحت خط الخبز)
Fran Abrams
Profile Books, 2002, 184PP., £ 6.99
انفتحت دار النشر عن المؤلف قرآن إبرام التي تعمل صحفية في جريدة الجارديان البريطانية على قضاء شهر كعالة في مصنع محلات بيروكش، تحصل من خلاله على أكل من الحد الأدنى للأجور في بريطانيا، ثم تقفها إلى سكوالات لقضاء شهر آخر كعالة نظافة مساعدة. وفي هذا الكتاب خلاصة تجربة قرآن إبرام التي تصف شكل الحياة في ظل أدنى أجر في بريطانيا، أي يمكن أن تسكن؟ وما الذي يمكن شراؤه من طعام؟ وما الذي يمكن عمله في المساء؟ وخبرة العمل نفسها وتوعية زملاء العمل والرؤساء في مثل هذه الوظائف.

اقتصاد***

الغاز الطبيعي المصري. الواقع والمطوح

أحمد مختار
القاهرة: عن نفقة المؤلف، ٢٠٠٢
بدأت سلسلة اكتشافات الغاز الطبيعي في مصر منذ عام ١٩٩٠، حيث تم العثور على احتياطي خام وضع مصر في المرتبة السابعة عشرة بين الدول المصدرة للغاز والتي يبلغ عائد ١٢ دولة، المؤلف يبين أهمية الاستثمار الجبيرة للغاز الطبيعي، والقائدة المادية التي يستجلبها على مصر واقتصادها.

Bamboozed at the Revolution: How Big Media Lot Billions in the Battle for the Internet

(كيف خسرت شركات الإعلام الضخمة المليارات في معركةها من أجل الإنترنت)

أشعار***

الأثر الإسلامية في القاهرة
كارولين ويليامز

القاهرة: الجامعة الأمريكية، ٢٠٠٢
خمس عشرة فصلًا تقدم تاريخ الآثار الإسلامية بدءًا من العصر العباسي ثم الفاطمي فالأيوبي فالملوكي فالعثماني ثم عصر محمد علي، وتقدم المؤلف شرحًا لطبيعة العمارة الإسلامية في كل عصر، والسمات التي تميزها وترتيبها جغرافيًا حيث تبدأ بجزيرة الروضة في النيل ثم آثار حبش القديمة وهكذا.

The View from Nebo: How Archaeology is Rewriting the Bible and Reshaping the Middle East
(المشهد من النبق: كيف يعيد علم الآثار كتابة الكتاب المقدس ويعيد تشكيل الشرق الأوسط)

Amy Dock Marcus
Little Brown & Co., 2001, 295PP., \$ 14.95

يرى البعض أن الأحداث المذكورة في الكتاب المقدس يجب فهمها بشكل رمزي، بينما يرى آخرون أنها سجل دقيق لتاريخ الشرق الأوسط قبل آلاف السنين. في هذا الكتاب تقوم المؤلف وهي صحفية في جريدة وول ستريت جورنال الأمريكية الميمنية ومارسلفها بيتا بيل بتغطية المعارك الجديدة التي تشتت بين علماء الآثار حول الأدلة الأثرية على صدق روايات الكتاب المقدس.

من بين ما أحدثته الكشف الأثرية الجديدة في المنطقة وتناقشه المؤلف أن بناء الأهرام هم المصريون وليس العبيد الإسرائيليين، وأن مملكة سليمان وداود لا تكن أبدًا مملكة موحدة، كما أن النقي البابلوي وقع على قلعة بينما استمرت الأغلبية تعيش في أرض يهودا كما كانت. وترى المؤلف أن كثيرًا من معارك اليوم نجد جذورها في الكتاب المقدس وأنها إذا بحثنا قد نجد الحل أيضًا هناك.

اجتماع***

إقبال مصر

بربارة والترسون
ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم
القاهرة: عن الكاتب، ٢٠٠٢
تجمع المؤلف جميع عناصر العصر القبطي، الاجتماعية والفنية والأثرية والسياسية والفكرية منذ عهد العصر الإغريقي وحتى اليوم، وكيف تأثرت حياة الأقباط بتوالي الحضارات التي مرت على مصر.

قانون إجراءات التقاضي في مسائل الأحوال الشخصية

محمد قنسي نجيب، محمود غنيم
القاهرة: دار الشرق، ٢٠٠٢

سطور
القاهرة: دار سطور، ٢٠٠٢
يقدم العدد الأخير من مجلة سطور التي كانت مهتدة بالتوقف قبل أسابيع قليلة، ملفًا خاصًا عن عالم الفوضى، ودراسات عن البكتاتورية وأصولها في الفكر السياسي، وكيف أمكن لبعض المفكرين تأويل نصوص دينية مقدسة لتزيين مفاهيم الاستبداد، كما تقدم المجلة ترجمة عن «الغوكوسياما الجديدة» للدكتور أحمد مستجير.

مجلة الدراسات الفلسطينية

مجموعة من المحررين
بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٢

موضوعات عديدة عن الوضع الفلسطيني الراهن وتأثيره على مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، يتضمن مقالات لنيل عمرو وعزى الشعيبي ومحمد حمزة غنایم ونزار البشري وخالد عايد، ومقابلة مع حنان عشراوي.

رواية وقصص***

حوش آدم
محمد إياي

القاهرة: الهيئة العامة للقصور الثلاثة، ٢٠٠٢
رواية عن الحياة اليومية في مجتمع المدينة، وقد اختصار المؤلف حوش آدم بوصفه واحدًا من الحارات الشعبية الشبهية، حيث يعيش المجهنون الكادحون بكل أحباطها وتطلعاتها الصغيرة، وقد عمد المؤلف إلى إبراز التناقضات بين عالم مؤلّه ودنيا الأحياء الرثاءة في المدينة.

قراءات جديدة

فك وتركيب

محمد الجمل

القاهرة: دار الوفاء، ٢٠٠٢

يرسم المؤلف بانوراما كاملة لما جرى للناس منذ أواسط السبعينيات أي مع الانفتاح الاقتصادي والتحولات الانقلابية التي أصابت المجتمع المصري وقيمه وتقاليده.

٢٠٠٢

وتلك قضية أخرى

هدية حسين

عمان: بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢

متوالية الخصصية للخاصة العربية هدية حسين، لا تلتزم بهيكلية واحدة تضم مجموعتها، وإنما تختلف الموضوعات وتتنوع الأفكار وتنتمى المؤلفة بحرية بالغة إلى النص والحكي، والتمسقة المخرقة التي تلعب عليها المؤلفة في تيمة الغياب والانفصال، معتمدة الدعايات والتدلائات الزمنية واللغة الواحة والجميل القصيرة التي أسهمت في تحريك النص وإكسابه حيوية أكبر.

سياسة

الأمة العربية والألفية الثالثة

محمد أبو القاسم

مراكش: على نفقة المؤلف، ٢٠٠٢

تدخل الأمة العربية الألفية الثالثة وهي في حال تبعث على الأسى فحن في حالة في التكلف من شتي مناحي الحياة، كيف يمكن تجاوز هذا الوضع الميّن والاستفادة من السواعد والعقول العربية وكذلك من الثروات الطبيعية الموجودة فيه، خصوصاً أن لدينا ما يمكن من تفعيل هذه الثروات البشرية والطبيعية.

النظام العربي وأفاق المستقبل

عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان ودار

الشرق للنشر، ٢٠٠٢

محاضرات ألقاها باحثون عن النظام العربي بين الحاضر والمستقبل ضمن برامج المحاضرات الأسبوعية لمنذتي شومان، ويضم بشكلًا تتناول شسكًا محلية سياسية واقتصادية في عدد من الآفاق العربية، ومن أبرز المشاركين في بحوث الكتاب: محمود عبدالفضيل وأحمد يوسف أحمد وبالس البستاني ومجدد حماد وإبراهيم العبدوي ورجب أبو دويس وإبراهيم سطلي ومطاهر كنعان وآخرون.

انتفاضة الأقصى وقرن من الصراع

عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان ودار

الشرق للنشر، ٢٠٠٢

يضم الكتاب محاضرات ألقاها عدد كبير من الباحثين في مقدتي شومان الثقافي ودراسات جيوانتي الصراع العربي الإسرائيلي خلال القرن العشرين، والكتاب به له المتكور خمس نافعة ويضم خمسة محاور أساسية، ويشارك فيه

عبد الوهاب المسيري ومحمد علوان وسلمان أبو ستة وميخيل كيلاشي وغسان الخطيب وزيد أبو عمرو وآخرون.

حالات الأمة العربية

بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،

٢٠٠٢

الأوراق الكاملة للمؤتمر العربي في دورته الحادية عشرة، وهي في مجملها تقدم رؤية سياسية ثقافية اجتماعية اقتصادية وعسكرية للأوضاع العربية خلال عام ٢٠٠٠، ولأيجابيات طبعاً الصراع العربي الإسرائيلي عن هذا التحليل.

حقوق الإنسان

أحمد منبى

القاهرة: مركز الدراسات السياسية

والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢

صدر الكتاب ضمن سلسلة الضباب السياسية والغرض منها تقريب المفاهيم السياسية المستحدثة للطلاب، والكتاب يتناول معلومات تفصيلية ومبسطة حول مفهوم حقوق الإنسان، والتطبيق الدولي لحقوق الإنسان، ويلى أعضاء على واقع حقوق الإنسان في الوطن العربي.

مصر والعربية

أحمد صلاح الملا

القاهرة: دار مصر العربية، ٢٠٠٢

يبحث في هوية مصر المتنازع بين الفروغية والعربية والإسلامية والشرق أوسطية، وقد برزت الهوية العربية وتعاثت أسهمها في المرحلة التاريخية عديدة، ويبدو أن قضية مصر عادت إلى سطح الأحداث من جديد من تفسير الخلف التاريخي، المؤلف يتناول هوية مصر العربية والموقف منها منذ بزوغها حتى اليوم وإحتمالات تطورها واتساع دائرة منافعها أو انكماشها في المستقبل.

من داخل إسرائيل

تحرير: عباد جبار

القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٢

تحليل لبيئة المجتمع الإسرائيلي وما يحمله من متناقضات، والآليات التي تحكم وحدود دور المؤسسة العسكرية والعلاقة بينها وبين المؤسسة السياسية منذ نشأة إسرائيل قبل أكثر من نصف قرن وحتى اليوم.

تاجر السلام

Marrack Goulding

J. Murray, 2002, 378PP., £ 25

ماراك جولدنج دبلوماسي بريطاني بارز، رأس عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام منذ عام ١٩٨٦ وحتى عام ١٩٩٣، أي الفترة التي شهدت أكبر توسع في

عمليات حفظ السلام التي تعد أهم أنشطة الأمم المتحدة وأكثرها إثارة للجدل والمشاكل.

يصف جولدنج النجاحات التي تمثلت في انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان، وقرار إطلاق النار بين العراق وإيران وتحرير الكويت وتسويات السلام في ناميبيا وأنجولا وكامبوديا وموزمبيق. ولكن مع بداية عام ١٩٩٣ توالى الخلفات من أنجولا إلى البوسنة والصومال. ويصف مارك الفرق في العمل في ظل رئاسة كل من خافيير بيريز دي كويار وبيترس بطرس غالي، كما يروي يومياً التي توثقها عن غرائب وتفاصيل عمل المنظمة من الداخل. فهو يرى أن الإثارة الكفة مستحيلة في الأمم المتحدة لأن معظم الدول الأعضاء ترسل أولادها وبناياتها هناك باعتبارهم يشغلون وظائف شريفة، وتلف الحساسيات الدبلوماسية عائلاً أمام التقييم الحقيقي لأداء معظم العاملين.

Perpetual War for Perpetual Peace:

How We Got to Be So Hatred

(حرب دائمة من أجل سلام دائم: كيف

أصبحنا مكرهين لهذه الحرب)

Gore Vidal

Thunder's Mouth/Notion, 2002, 144PP.,

\$10.00

جمع الروائي الأمريكي الشهير جور فيدل مجموعة من مقالاته حول ١١ سبتمبر في كتاب الصير. وتعتبر آراء فيدل مختلفة عن الكثيرين في الولايات المتحدة، فهو يلتفت لجميع السياسات الأمريكية التي تلت كارثة ١١ سبتمبر، حيث يرى أن هجوم الحكومة على الحريات المدنية الأمريكية أشد ضرراً من هجوم أسامة بن لادن على مركز التجارة العالمي، وأن الحرب على أفغانستان كانت خاطئة، كما يصرح من مفردات بوش وما يقرب عليها من مشكلات جسيمة مثل «الحملة الصليبية»، والإرهاب، ومحور الشر.

سير ومذكرات

سندريلا تتكلم

منير مالح

القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٢

قراءة في مذكرات الفنانة الراحلة سهام حسني ومراحل حياتها مع الفن وقلمه، ثم حصتها في السنوات الأخيرة مع المرض والشتات التي راقت سونها المخرج أنى مزالى البعض بصر على أنه انتحار.

You Cannot Be Serious

(لا يمكن أن تكون جاداً)

John Mc Enroe With James Kaplan

Putnam, 2002, 336PP., \$ 25.95

اشتهر لاعب التنس الأمريكي جون مكنور بمهارته الفاتكة ومشاقبه العديدة في كل البطولات فهو يستطيع التحكم في غضبه ولا يستطيع أن يتألمل الهزيمة.

في هذا الكتاب يشرح جون مكنور لجمهور أسباب هذه المشاعر الشخصية النابعة من تركيبة خلقه وتقسيمته منذ الطفولة، ويحدث عن مشواره في البطولات وعمله الجديد كمسئول رياضي بل يعلن أيضاً عن عزمه الدخول في معتزلة السياسة!

شعر

المظهر

تميم البرغوثي

القاهرة: دار الشرق، ٢٠٠٢

قصائد بالعالمية المصرية ترسم مشاهد من واقع الحياة، وقد اختار الشاعر نماذج من الشعر العبودي ذي التفعيلة الواحدة والبحر الواحد، وعنى أكثر ما يكون بالموسيقى الداخلية لتحقيق الانسجام لدوائه.

الذهب المقدس

مفدى زكريا

القاهرة: هيئة قصور الثقافة، ٢٠٠٢

مفدى زكريا هو شاعر الثورة الجزائرية بامتياز، وقد ألهم قصائده الماضيل سيل التحنر كما أشعلتهم حماسة دافعا عن وطنهم حتى نال استقلاله، وهذا الديوان يضم بعضاً من أهم قصائده في الثورة والحنر.

مؤلفات حامد طاهر

القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢

يضم المجلد الأول بيانات حامد طاهر الذي كان عصباً لكثير من العلوم مع الشعر، وقصائده في مختلف الأغراض، وبينها ما يسبغ قصائد فلسفية وقصائد عصرية وقصائد في حب مصر، وتتناول المقدمة مسيرة المؤلف العلمية والأدبية.

علوم

البحث العلمي مناهجه وتقنياته

محمد ريان عمر

القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢

دراسة عن الأسلوب الأمثل للبحث العلمي ومناهجه، والأمعية الدلائل والبراهين والجدوال الإحصائية في البحث، ويقدم المؤلف مبحثاً خاصاً عن أهمية الكمبيوتر وشبكها المعلومات في تسهيل البحث العلمي وتقنيته.

العلوم

العصر الرقمي وثورة المعلومات

محمد صلاح سالم

القاهرة: دار عين، ٢٠٠٢

تنطوي ثورة المعلومات على خير كثير للبشرية، لكنها تنطوي أيضاً على سلبيات

*** نقد أدبي ***

انتاج النقد الروائي المعاصر

مصطفى عبد الغني
القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢
دراسة نقدية تحليلية لغن الرواية
والأجناس الأدبية فيه وأهم الروايات
التي كتبت في إطارها مثل الاتجاه التأثيري
والتاريخي والنفساني والواقعي
الاجتماعي وغيرها، وإظهار هذا الجنس
الأدبي في مسيرة السرد العربي.

انتاج الدلالة الأدبية

صلاح فضل
القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٢
يحاول المؤلف في كل ما يكتب في أن
يقرب معنى الأحداث في الأدب والاتجاهات
الجديدة في النقد الأدبي. ويقدم نماذج
تطبيقية تقرب إلى قارئ النص العربي
معنى ما يقول، وفي هذا الكتاب يواصل
المؤلف مسيرته عن إنتاج الدلالة الأدبية عبر
الكتابة والقراءة أيضاً.

الإبداع.. قضايا وتطبيقاته

عبد الستار إبراهيم
القاهرة: مكتبة الأنجلو، ٢٠٠٢
الإبداع شروط ذاتية خاصة فضلاً عن
سياق عام يسجعه وينضى مثيراته، وهذا
بعض ما يناقشه المؤلف في كتابه شاملاً
في كيفية اكتشاف المبدع ل ذاته، وكيفية
استماع الناس بالإبداع والتعامل معه.

الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب

المنتم بالاسلام
عبدان النحوي
الرياض: التحري للنشر، ٢٠٠٢
الرياض: نقدية في الأسلوب النحوي
دراسة نقدية في الأسلوب النحوي
العربي، ومخارطة بين وبين العلمانية
وتيارات الحداثة والبنوية والتفكيكية،
ويعرض مسيرة الفكر والأدب عند المسلمين
وكذلك لسانون الطرفة ونظرية «بزوغ»
الفكرة وعلاقتها بعلم السائيات.

Literature, Partition and the Nation
State: Culture and Conflict in Ireland,
Israel and Palestine

(الأدب والفصل والدولة القومية؛
الثقافة والصراع في أيرلندا وإسرائيل
وفلسطين)

Joe Cleary
Cambridge Up, 2002, \$23

هذا الكتاب يقدم دراسة في الميراث
الثقافي والاجتماعي لتقسيم الدولة في كل
من أيرلندا وفلسطين. وفي خلال التركيز
على المرحلة التي بدأت منذ الستينيات، مع
تصاعد احتجاجات الوطنيين الأيرلنديين
والفلسطينيين ضد مشروعات الفصل، تقوم
المؤلف بتسليط الضوء على تلك الحقبة
الأدبية القومية وعلى أعمال كبار مؤلفين
أيرلنديين وإسرائيليين وفلسطينيين.

تعليمية وترفيهية وتخلو من زجر
وتوجيه، والمؤلف صاحب دواوين شعرية
صدر آخرها في عام ١٩٩٩ قبل وفاته
بقليل.

Cow
(بقرة)

Malachy Doyle
Angelo Rinaldi (Illustrator)
Simon & Schuster/ Mc Elderry, 2002,
40PP., \$17.00
كتاب مصور مخصص للأطفال من سن
الخامسة إلى التاسعة، ويدير حول يوم في
حياة بقرة.

في المؤلف يتتبع الروتين اليومي للبقرة
منذ الفجر وحتى الغروب، يورز يوجياتها
وتغيراتها الطقس حولها في الريف،
وعلى حبلها، وعلاقتها بأسرة الفلاح الذي
يربها.

*** متوعات ***

دليل القارئ إلى الثقافة الجادة

آرثر والدورن، أولجاويو، آرثر زيجر
ترجمة: أحمد عمر شافين
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢
القارئ هو الطرف الذي يمنح النص
حيوية إذا لا وجود للنص ولا للمؤلف دون
قارئ يكتشف أفكار النص ودلالاته.
من هنا تأتي أهمية القراءة، لكن القراءة
ليست كلها جيدة وصحيحة، وهو ما يبينه
إليه المؤلفون الذين يقدمون أيضاً دراسة في
أنشاء أدبية ثقافة تعنى بالقراءة،
فضلاً عن أمهات الكتب في الشقاقات
المختلفة.

عاشقات بيروت الستينيات

عصام محفوظ
بيروت: رياض الريس للنشر، ٢٠٠٢
يضم الكتاب قسمين هما في مجلتهما
حوارات قصصية يمتزج فيها الواقعي
بالمخيل.
وهي تستعيد نبض الحياة العاطفية
في بيروت الستينيات، حيث امتزجت
الطغبات إلى القيم الجديدة بالحنين إلى
القديم.
وهي جدلية ما زالت لم تحسم تعيشتها
العواصف الثقافية العربية وبينها بيروت
حتى اليوم.

*** موسوعة ***

موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية

رشاد الخاسي
القاهرة: الكتب المصرية لتوزيع المطبوعات،
٢٠٠٢

موسوعة متخصصة في المصطلحات
الدينية اليهودية هدفها تقديم إطار معرفي
كامل للقارئ العربي حول كل ما يتصل
بالديانة اليهودية، الشريعة والرموز
الدينية والعقيدة وغيرها.

*** فلسفة ***

ابن رشد فيلسوف عربي بروح غربية

عاطف العراقي
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢

مزال قاضي قرطبة أبو الوليد ابن رشد
يلجز جدلاً في الأروقة الأكاديمية. المؤلف من
أكثر المحققين لفلسفة ابن رشد، وقد كتب
عنه أكثر من دراسة وتلزم أكثر من ندوة في
مصر وخارجها تبحث في تأثير ابن رشد
على من لحقوه، وكتباته في الطب
والفلسفة والعلوم وغيرها، فضلاً عن
معاركه الفكرية وأهم القضايا التي ناقشها.

*** قصة ***

اللاتينية العربية

على فهم خشم
القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٢
يقدم المؤلف أدلة علمية على تقارب
الفكرين اللاتينية والعربية، ويعرض
لتاريخ هذا التقارب من خلال مقابلة
النماذج والتشابه بين المفردات في كليهما.

إشكالية الترجمة بين العربية والعبرية

أبريطي: مركز زايد للتسويق والمتابعة، ٢٠٠٢
تصل الترجمة من العربية للعبرية
والعكس مكاناً مهماً خصوصاً مع استمرار
الصراع العربي الإسرائيلي وتاريخه بين
دعوات المواجهة العسكرية وادعاءات
السلام التي تبث زيفها وتفتتها أمام
الانصراف الإسرائيلي لغتصاف فلسطين،
لكن تلك إشكالات تواجه علمية الترجمة من
والى العبرية، وهذا ما يناقشه الكتاب.

التخلف الآخر

محمود الزاوي
تونس: الأطلسية للنشر، ٢٠٠٢
تدور فصول الكتاب حول ما يسميه
المؤلف بالتخلف الآخر، وهي ظاهرة لغوية
وثقافية ونفسية تنتشر في مجتمعات
العالم الثالث المعاصرة ترتبط أكثر
بالتخلف الفكري والثقافي النفسي، ويحسب
المؤلف فإن التخلف في هذين المعنيين أي
تخلف اللغة العربية وتهميشها يؤدي إلى
اغتراب الفرد في مجتمعه ويضاف إلى
التخلفات الأخرى في الاقتصاد والصناعة
والتكنولوجيا.

*** للأفضل ***

حكايات شعبية

مدى الجابري
القاهرة: الهيئة العامة للنشر والثقافة، ٢٠٠٢
٢٧ حكاية شعبية للأطفال يقدمها
الشاعر الراحل، هي في معظمها ذات طبيعة

عديدة خصوصاً بالنسبة للمجتمعات
الأقل تقدماً، هذا ما يناقشه المؤلف إجمالاً
في كتابه.

لقطات من المستقبل.. بحث في حدود
الممكن

آرثر سي كلارك
ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢

ثمة أسلام مستقبلية وتصورات
تبدو للبعض خيالية موقعها الطبيعي
أفلام الخيال العلمي.
لكن كثيراً من هذه الخيالات تحولت
بالفعل وفي غضون سنوات قلائل إلى
واقع يشاهده الناس ويسعدون ويتناجيه،
وبعض ما يعرض المؤلف له هنا يرتبط
بتلك الاتجاهات المستقبلية ذات البعد
الخيالي

منها مثلاً سكن الكواكب المحيطة
بالمجموعة الشمسية والتخلص من
الجابايا الأرضية وإكتشاف معادن
جديدة ومصادر بديلة للطاقة قد تغير
شكل العالم وتقلب موازين القوى الدولية.

استنساخ الإنسان.. الحقائق والأوهام

مارتن تاس نسوم وكاس سانشين
ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي
القاهرة: دار العلم، ٢٠٠٢
أكثر من مشيرين مثلاً لعلماء ومفكرين
وفنانين ورجال دين في علمية استنساخ
الإنسان، وما إذا كانت ممكنة أم أنها
ضرب من الوهم خصوصاً على بعض
التأثيرات البيئية والاجتماعية التي
تجعل الاستنساخ أسيراً لها ولا تهمته
مجرد جنيناتها جيل بعد جيل
بكل صفاتها الوراثية في الشكل
والضمون والمزاج.

Hydrogen: The Essential Element
(هيدروجين: العنصر الأساسي)

John. S. Rigden
Harvard University Press, 2002,
280PP., \$28

تمد ذرة الهيدروجين أبسط ذرة في
الطبيعة، ونتيجة لذلك كان الهيدروجين
محيطاً انتشار علماء الطبيعة خلال
القرن الماضي كله. يقوم المؤلف جون
ريجين الذي يعمل مدير لمشروعات
الخاصة في المعهد الأمريكي للفيزياء
برواية تاريخ الفيزياء في النصف الأول
من القرن العشرين من خلال معرفة ذرة
الهيدروجين، ثم يبين كيف ساهمت تلك
المعرفة في تطور مختلف أنواع
التكنولوجيا في النصف الثاني من القرن
نفسه.

ففي بداية بحث العلماء عن التكوين
الأساسي لمادة تم اكتشاف مكونات الذرة
من خلال نموذج ذرة الهيدروجين بسبب
كونها الإيسة على الإطلاق، وبالتالي
تتابع المعرفة بديناميكا الكم والنسبية
الخاصة.

ثلاثة اختيارات تمنحك أعلى عائد على مدخراتك

١١,٢٥ %

وثيقة ادخار البنك العربي ذات العائد المدفوع مقدماً

تحصل على عائد شهري مقدماً يصل إلى ١١,٢٥ %* مما يضاعف من العائد الحقيقي لمدخراتك . تصدر الوثيقة بالف جنيه ومضاعفتها ويمكن الاقتراض بضمانها.

وثيقة ادخار البنك العربي الذهبية

أعلى عائد على مدخراتك يصل إلى ١١,٢٥ %* . مع الحصول على جنيهات ذهبية . تصدر الوثيقة بالف جنيه ومضاعفتها مع إمكانية الاقتراض بضمانها.

وثيقة البنك العربي ذات العائد متعدد العملات

استفيد بالفارق بين سعر الفائدة على العملات الأجنبية والجنيه المصري . وأحصل على عائد يصل إلى ١١,٢٥ %* مع إمكانية صرفه بالعملات الأجنبية . يمكن اصدار بطاقة فيزا والاقتراض بضمان الوثيقة.

أياً كان اختيارك ... فالبنك العربي يقدم لك أعلى عائد على مدخراتك، فقط أختار الوثيقة التي تناسبك.

* (العائد يساوى سعر الخصم المحدد من البنك المركزى + ١/٤ %)

البنك العربي

رؤية جديدة



أكبر شبكة مصرفية عربية

لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال برقم

٣٣١ ٩٩٢٢

٧ أيام فى الأسبوع من التاسعة صباحاً وحتى التاسعة مساءً



SHIRTS FOR MEN

pierre cardin
paris

شركة النيل للملابس

Pierre Cardin

هاتف: ٣٤٥٤٣٧٧ - ٣٤٦٨٠٩١ - ٣٠٣٠٩٢١ - ٣٤٥٦٦٨١ فاكس: ٣٤٦٩١٩٦

الإدارة العامة وإدارة المبيعات ١٤ ش جزيرة العرب - المهندسين